كتاب التهجد

وما ورد في ذلك من الكتب الصحاح

وعن العلماء والصلحاء والزهاد رضي الله عنهم

تأليف

الإمام المحدث الحافظ

أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي

المتوفى سنة ٥٨١ هـ

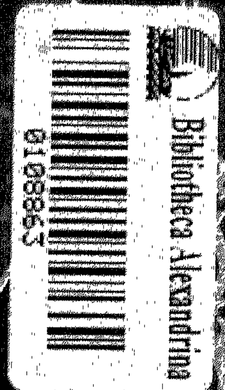
حققه وعلق عليه

مسعد عبد الحميد السعدني

أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



كتاب التهجد

وما ورد في ذلك من الكتب الصحاح
وعن العلماء والصلحاء والزهاد رضي الله عنهم

تأليف

الإمام المحدّث الحافظ

أبي محمّد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي

المتوفى سنة ٥٨١ هـ

حقّقه وعلّق عليه

مسعد عبد الحميد السّعدني

أبو عبد الله محمّد بن الحسن بن إسماعيل

المشهور بطالب العلم

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le -
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٣ ٦٠٢١ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢/٠٠- ٣٣ ٦٠٢١/٩٦١١/٠٠

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مـقـدمـة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

أمّا بـعـد:

بين أيدينا ــ عزيزي القارىء ــ، تحفة جليلة، ودرة نفيسة، وكنز مكنون، ألا وهو: «كتاب التهجد» للعالم الجليل أبـي محمد الإشبيلي.

وما أدراك ما التهجد؟، فالتهجد زاد المسلم يؤمن العرض على ربه ــ عّز وجّل ــ.

والتهجد: صلة مباشرة بين الإنسان الفاني، ومولاه ــ عّز وجّل ــ الباقي الدائم، جل جلاله.

والتهجد: الموعد المختار للالتقاء بالنبع الذي لا يغيض.

والتهجد: مفتاح الكنز الذي يفنى ويقنى ويفيض.

والتهجد: الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير.

والتهجد: الروح والندى والظلال في الهاجرة.

والتهجد: هو زاد الطريق ومدد الروح وجلاء القلب.

هذا هو التعريف المبسط للتهجد، دون الدخول في بحور معانيه اللغوية، وغير ذلك.

والترغيب في التهجد، أو قيام الليل، حثّ عليه ربنا ــ عّز وجّل ــ، والرسول الكريم ﷺ، في كثيرٍ من الآيات والأحاديث النبوية الصحيحة، كما سيأتي في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

والمؤلف رحمه الله، بدأ كتابه هذا بمقدمات لصلاة التهجد، فبدأ كتابه بفضل الطهور، والصلاة في الجماعة، وفضل بناء المسجد، وغيرها من الصلوات، ثم بدأ في فضل صلاة التهجد، وذكر أحاديث رسول الله ﷺ، منها ما في الصحيحين، وأصحاب السنن، منها

الصحيح، ومنها غير ذلك كما سيأتي إن شاء الله في تخريج هذه الأحاديث.

ثم بعد ذلك؛ يتحدث عن السلف الصالح، وأحوالهم في قيام الليل، وسهرهم في طاعة ربهم، رحمهم الله ــ عزّ وجّل ــ برحمته الواسعة.

وأخيراً، نترككم مع هذا الكتاب الجليل، بفصوله الكثيرة، داعين المولى أن ينفعنا بما نعلم، ويعلمنا ما ينفعنا؛ إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه ومولده:

هو: الإمام الحافظ الفقيه الخطيب البارع المُجود أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأندلسي الإشبيلي المعروف في زمانه بابن الخراط.

ولد رحمه الله في شهر ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة.

كذا قال الإمام النووي رحمه الله.

وقال الحافظ الذهبي: مولده فيما قيده أبو جعفر بن الزبير سنة أربع عشرة وخمسمائة.

شيوخه:

حدث عن: ١ ــ أبي الحسن شريح بن محمد.

٢ ــ أبي الحكم بن برجان.

٣ ــ عمر بن أيوب.

٤ ــ أبي بكر بن حدير.

٥ ــ أبي الحسن طارق بن يعيش.

٦ ــ والمحدث طاهر بن عطية. في آخرين.

وكتب له بالإجازة الحافظ أبو بكر ابن عساكر وجماعة.

تلاميذه:

وممن روى عنه:

١ ــ خطيب القدس أبو الحسن علي بن محمد المعافري.

٢ ــ أبو الحجاج ابن الشيخ.

٣ ــ أبو عبد الله بن يقيمش، وآخرون.

ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ أبو عبد الله الأبار:

«كان فقيهاً، حافظاً، عالماً بالحديث وعلله، عارفاً بالرجال، موصوفاً بالخير والصلاح والزهد والورع ولزوم السنة والتقلل من الدنيا، مشاركاً في الأدب، وقول الشعر» اهـ.

وقال ابن الزبير: «كان يزاحم فحول الشعراء، ولم يطلق عنانه في نطقه».

ووصفه الذهبي فقال: «الحافظ العلاّمة الحجة».

شعره:

ومن شعره قوله:

إن في الموت والمعاد لشغلاً ... وإدكاراً لذي النهى وبلاغا
فاغتنم خطتين قبل المنايا ... صحة الجسم يا أخي والفراغا

وقال أيضاً:

واهاً لدنيا ولمغرورها ... كم شابت الصفو بتكديرها
أي امرىء أمن في سربه ... ولم ينله سوء مقدورها
وكان في عافية جسمه ... من مس بلواها وتغييرها
وعنده بلغة يوم فقد ... حيزت إليه بحذافيرها

مؤلفاته:

وله الكثير من مؤلفاته منها على سبيل المثال:

١ ــ الأحكام الكبرى، مخطوط.

٢ ــ الأحكام الصغرى.

٣ ــ الجمع بين الصحيحين.

٤ ــ الجمع بين الكتب الستة.

٥ ــ المعتل من الحديث.

٦ ــ كتاب الرقائق.

٧ ــ كتاب العاقبة، مخطوط.

٨ ــ كتاب في اللغة، ضاهى به كتاب الغريبين للهروي.

٩ ــ كتاب التهجد، وهو كتابنا هذا.

وفـاتـه:

توفي رحمه الله ببجاية في أواخر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة. كذا قال النووي.

أمّا الذهبـي، وابن العماد قالا أنه توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

مصـادر ترجمتـه:

وللمزيد عن حياته انظر:

١ ــ بغية الملتمس (٣٧٨).

٢ ــ تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٥٠).

٣ ــ شذرات الذهب (٤/ ٢٧١).

٤ ــ تهذيب الأسماء (١/ ٢٩٣).

٥ ــ فوات الوافيات (٢/ ٢٥٧).

٦ ــ العبر في أخبار من عبر (٣/ ٨٢).

٧ ــ مرآة الجنان (٣/ ٤٢٢).

٨ ــ طبقات الحفاظ (ص٤٧٩ ـــ ٤٨٠)، وغيرها.

وصـف المخطـوط:

المخطوط محفوظ بدار الكتب القومية تحت فن: «مصورات خارج الدار»، وهو من المكتبة الأزهرية، فن تصوف، برقم (١٥٥٦ ـــ حليم).

وقد كتب بخط النسخ المشكل، بخط سالم بن الحسن الشافعي البعلبكي.

وعدد أوراقه [١٧٥] ورقة.

مقاس الورقة ١٨ × ٥٦سم؛ أي حجم كبير.

وعلى غلافه تملك للنسخة ونصه:

«دخل في ملك الفقير إلى الله سبحانه وتعالى عبد الرحمن قائفة مصرف الغلال في سنة ١٠٧٨هـ».

كتاب الزهد

وما ورد في ذلك من السنن الصحاح

وعن العلماء والصلحاء والزهاد رضي الله عنهم

تأليف الشيخ

الإمام العالم الحافظ المتقن المحدث أبي محمد

عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي

الإشبيلي قدس الله

روحه ونور

ضريحه

بمنه

إنه على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل

والحمد لله رب العالمين





صورة الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب

[illegible] وصلاة [illegible]

تم كتاب التهجد للإمام العالم العامل الحافظ أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله

الأزدي الإشبيلي قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه بمنه

[illegible] حامدا لربه ذي المنن

مصليا مسلما سائر الزمن

الشافعي مذهبا البعلبكي الوطن

في عام [illegible] في شعبان ذي اليمن

الحمد لله على نعمه الوافرة

ولد الولد المبارك [illegible] أنشأه الله نشو العارفين

وجعله من عباده الصالحين وأقر به عين

أبويه برحمتك يا أرحم الراحمين في ليلة يسفر

صباحها نهار الجمعة المبارك حادي عشر جمادى الأول

سنة اثنين وثمانمائة عند مضي درجتين ونصف من الغروب

من الليلة المذكورة الموافق لما [illegible] من الشهور القبطية

الموافق لثامن عشر كانون الآخر من الشهور الرومية وكان في

الدرجة برج الجدي سبعة وعشرين يوما وكان القمر في برج

الجوزاء [illegible] وكني بأبي البركات وسمي محمدا ولقب ناصر الدين

وهو في حفظ الله وأمانه

وصلى الله على محمد [illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب

بسم الله الرحمٰن الرحيم
وهو حسبنا ونعم الوكيل

قال الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد الحقّ بن عبد الرحمٰن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي رحمه الله تعالى:

الحمد لله دل عباده بآياته عليه، وجعل لهم من الإيمان والصلاة سبيلاً موصلاً إليه، وأعزهم بالسجود له، والتذلل بين يديه، وأجزل على ذلك حظهم مما عنده، ونصيبهم مما لديه، وقسم لمن أحب من عنايته ما وفقهم به لطاعته، وجعل لهم إحدى كراماته أن أقامهم لمناجاته، فتمثلوا له قائمين، وخضعوا له راكعين، وتذللوا له ساجدين، سألوه حاضرين، ونادوه مخاطبين، كأنهم نظروا إليه معاينين، وتحققوا وجود ذاته سبحانه وتعالى، مشاهدين، لم يرسل دونهم حجاباً، ولا أغلق بينه وبينهم باباً، ولا خفض دون لقائه أودية ولا رفع عقاباً، نعمة أنعمها لا يبلغ شكرها، ومنة امتنها لا يقدر قدرها، ولا يفضى إلى ساحل بحرها.

أحمده بمحامد الحامدين، وأذكره بأذكار الذاكرين، وأعتقد له شكر الشاكرين، أبد الآبدين، ودهر الداهرين. وأشهد أن لا إلٰه إلاّ الله الملك الحق المبين، وأن محمداً عبده المسكين، ورسوله الأمين إلى الجنة والناس أجمعين، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين الطيبين، وعلى أصحابه الأكرمين الأعظمين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وشرف وكرم.

أما بعد رحمنا الله وإياكم فإن الصلاة أعظم قواعد الإسلام، وأرفع أعمال الإيمان، وأقرب وسيلة إلى الرحمٰن، وهي مفزع التائبين، وملجأ الخائفين، وبضاعة العاملين، وقرة أعين العابدين، تجلو صداء قلوبهم بأنوارها، وتهتك حجب نفوسهم بأسرارها، وترشدهم بمنارها إلى فخار مقاصدهم وأغزارها، فهم في رياض أنسها يترددون، وفي ظلال أشجارها يتقلبون، ومن طيب نسيمها يتنسمون وإلى مراقيها يتسنمون، وفي جميع ملاذها يتفكهون ويأكلون ويشربون، كما قال القائل:

اشرب كؤوس الأنس في روضة ... لم يغترسها غارس الأُنس
وانظر إليها ملئت زهرةً ... تجل أن تدرك باللمسِ
واسمع لألحان بها رددت ... ترديد الأنفاس على النفسِ
واطرب فقد جاءك ما تشتهي ... من طرب صاف ومن أنسِ

وارق كـراسـي معـروشـة فيهـا ... لـرب العـرش والكـرسـي
واشكـر فقـد أعطيـت مـا شكـره ... يعجـز عنـه كـل ذي حـس
واعمـل مـدى عمـرك فيـه إلـى ... أن تتـوارى فـي ثـرى الـرّمـس[١]

وهي تنقسم إلى فرائض لا يسع تركها، وسنن يتأكد التمسك بها، ومندوب إليه قد ورد الترغيب فيه والحض عليه، وأنا إن شاء الله أذكر هذه الأقسام، وأرتب في أبوابها ما يكون ميسراً لطلابها، ومعيناً على النظر فيها لمن أراد من أربابها، وأخرجها من الكتب الصحيحة والدواوين المعروفة ككتاب الموطأ، وكتاب البخاري، وكتاب مسلم، وكتاب النسائي، وكتاب أبي داود، وكتاب الترمذي، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة، ومسند البزار، وغيرها من الكتب؛ وأقتصر من السند على اسم صاحب الكتاب واسم الصحابي رضي الله عنه، وقد يكون الحديث فيها كلها، أو في أكثرها فأجتزي بحديث واحد منها، وأسكت عن سائرها، وربما قلت في قليل منها: قال رسول الله ﷺ، وذكرتُ الكتاب ولم أذكر الصحابي، ومع ذكر الصلاة أذكر أصولاً في صفتها، وقواعد لا تتم إلاَّ بها، وأحاديث تحتاج إليها ولا تستغني عنها، وأتخير منها أصح ما أجده في الباب وأحسنه، وفيه أحاديث في الفضائل كثيرة صحيحة، وأحاديث حسان، ومراسيل قليلة، والكل مما يرغب فيما عند الله، ويحث على المبادرة إلى الله، ولعل من تعبوا الوجوه له ويوقف بالآمال عنده سيضرب لي في أجورهم نصيبٍ، ويسقيني من شرابهم بذَنُوبٍ[٢]، إنه سميع قريب، رحيم مجيب، لا رب غيره، ولا معبود سواه، وهو المسؤول جل جلاله أن يغفر لي ولجميع المسلمين برحمته.

ولما كانت الصلاة لا تكون إلاَّ بطهارة رأيتُ أن أبدأ بها، وأذكر فضلها وفريضتها، ومما تكون، وأُخرجها من الكتب المعروفة كما تقدم ذكره؛ والله المستعان.

(١) ثرى الرمس: أي، تراب القبر. فالثرى: التراب، والرمس: القبر.
(٢) الذَّنُوب: الدلو فيها ماء، وانظر: «اللسان» مادة [ذنب].

باب في الإبعَادِ عنْدَ قضاءِ الحاجةِ وَالاستنجاء
وَمَا يكُون بهِ، وَمَا يتعلق بِهذا البَاب

١ ــ روى ابن عمر، قال: «كان رسول الله ﷺ يذهب لحاجته إلى المغمس نحو ميلين من مكة». وهو حديث صحيح ذكره أبو جعفر الطبري(١).

٢ ــ وذكر مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا اللعانين». قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم(٢)».

٣ ــ وقد ورد النهي عن التخلي في الموارد ــ يعني طرق المياه ــ ذكره أبو داود من حديث معاذ بن جبل(٣).

٤ ــ وورد النهي أيضاً أن يبال بأبواب المساجد، وفي قبلتها. ذكر أبو داود ذلك في المراسيل(٤). ويكره البول بالمكان الصلب مخافة تطايره. وكان عليه السلام إذا أراد هذا في عرزٍ من الأرض ــ وهو المكان الصلب ــ أخذ عوداً فنزله. وقع هذا في المراسيل.

٥ ــ ونهى عليه السلام عن البول في الجُحْرِ. ذكره النسائي من حديث عبد الله بن سرجس(٥).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو يعلىٰ برقم (١١٠ ــ زوائده)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج١٢ برقم ١٣٦٣٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٠٣): «رجاله ثقات من أهل الصحيح» اهـ.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٦٩). واللعانان: قال الإمام أبو سليمان الخطابي: «المراد باللعانين، الأمرين الجالبين للعن، الحاملين الناس عليه، والداعين إليه. وذلك أن من فعلهما شتم ولعن. يعني عادة الناس لعنه، فلما صارا سبباً لذلك أضيف اللعن إليهما».

وقوله: الذي يتخلى في طريق الناس: معناه يتغوط في موضع يمر به الناس.

وقوله: «في ظلهم»: قال الخطابي وغيره من العلماء: المراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلاً ومناخاً ينزلونه يقعدون فيه. وليس كل ظل يحرم القعود تحته.

(٣) حسن بشواهده: أخرجه أبو داود برقم (٢٦)، وابن ماجه برقم (٣٢٨)، والحاكم (١/ ١٦٧)، والبيهقي (١/ ٩٧) من طرقٍ عن أبي سعيد الحميريّ عن معاذ مرفوعاً بلفظ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»، واللفظ لأبي داود. قلت: وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وليس كما قالا، وذلك لأنه منقطع، لأن أبا سعيد الحميري لم يسمع من معاذ، ثم إن الحميري مجهول كما قال ابن حجر في التقريب، ولكن يشهد له ما قبله وغيره.

(٤) ضعيف: وذلك لأنه مرسل، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف.

(٥) ضعيف: أخرجه النسائي برقم (٣٤)، وأبو داود برقم (٢٩)، وأحمد (٥/ ٨٢)، وابن الجارود في =

٦ ــ وذكر مسلم عن أبـي هريرة، عن النبـي ﷺ أنه قال: «لا تبل في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه». وقال البخاري: «ثم يغتسل منه». وقال النسائي: «ثم يتوضأ منه»[1].

٧ ــ وقال مسلم: عن جابر بن عبد الله، عن النبـي ﷺ أنه نهى أن يبال في الماء الراكد[2]. ولم يذكر اغتسالاً ولا وضوءاً.

ونهى عليه السلام عن البول في المغتسل. ذكره أبو داود[3]. وأتى سباطة قوم فبال قائماً. ذكره البخاري وغيره[4]. ولعله خاف عليه السلام أن يقعد فيها للبول أن يصيب ثوبه أذى السباطة. ويروى أنه عليه السلام إنما فعل ذلك لجرح كان برجله لم يقدر على القعود للبول بسببه. وكانت العرب تستشفي بالبول قائماً من وجع الصُلبِ، ذكره الشافعي رحمه الله تعالى. ولعله عليه السلام كان به ذلك إذ فعل ذلك الفعل والسباطة المرملة ويكون البول في السباطة إذا أمن تطايره.

٨ ــ وقد شدد عليه السلام في اجتناب البول، فقال: «أكثر عذاب القبر من البول». ذكره أبو بكر بن أبـي شيبة من حديث أبـي هريرة[5].

= «المنتقى» برقم (٣٤)، الحاكم (١/ ١٨٦)، والبيهقي (١/ ٩٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٣٨٥). وسنده ضعيف، وذلك لأن قتادة لم يسمع من عبد الله بن سرجس.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٣٩)، ومسلم برقم (٢٨٢)، وأبو داود برقم (٧٠)، والنسائي (١/ ٤٩)، و(١/ ١٩٧) وابن ماجه (٣٤٤)، والدارمي برقم (٧٣٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٦)، وأبو عبيد في «الطهور» برقم (١٧١ ــ ١٧٣/ تحقيق مسعد السعدني)، وغيرهم كثير.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٨١)، وأبو عوانة (١/ ٢١٦)، وابن ماجه (٣٤٣). وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وأبو عبيد في «الطهور» برقم (١٦٩)، وابن حبان برقم (١٢٤٧ ــ إحسان)، والبيهقي (١/ ٩٧)، وغيرهم كثير. وانظر: «كتاب الطهور» لأبـي عبيد القاسم بن سلاّم.

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٢٧)، والترمذي (٢١)، والنسائي (٣٦)، وابن ماجه (٣٠٤)، وأحمد (٥/ ٥٦)، والبخاري في «التاريخ الأوسط» (٢/ ٢٣)، وابن أبـي شيبة (١/ ١١٢)، وعبد الرزاق برقم (٩٧٨)، وابن الجارود برقم (٣٥)، وابن حبان برقم (١٢٥٢ ــ إحسان)، وغيرهم.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٢٢٦)، ومسلم برقم(٢٧٣). وأبو داود (٢٣)، والترمذي (١٣)، والنسائي برقم (١٨)، وابن ماجه (٣٠٥)، وأحمد (٥/ ٣٨٢، ٤٠٢)، وغيرهم.

(٥) صحيح: أخرجه ابن أبـي شيبة (١/ ١٢١)، وابن ماجه (٣٤٨)، وأحمد (٢/ ٣٢٦، ٣٨٨، ٣٨٩)، وابن خزيمة كما في «الفتح» (١/ ٣١٨)، والحاكم (١/ ١٨٣)، والدارقطني (١/ ١٢٨)، والآجري في «الشريعة» ص(٣٦٢، ٣٦٣) والبيهقي في «سننه الكبرى» (٢/ ٤١٢)، وفي «عذاب القبر» برقم (١٣٣)، =

٩ ــ ذكر مسلم من حديث أبـي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمس أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه، ولا يتنفس في الإناء»[١].

١٠ ــ وذكر من حديث أبـي أيوب الأنصاري، أن النبـي ﷺ قال: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها ببول ولا بغائط، ولكن شرقوا أو غربوا». قال أبو أيوب: فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت قبل القبلة فننحرف عنها ونستغفر الله[٢].

وقد قال قومٌ: هذا إنما هو في الصحاري والمواضع التي لا يكون فيها حائل دون القبلة، واحتجوا.

١١ ــ بحديث عبد الله بن عمر: رَقِيتُ على بيت أختي حفصة، فرأيت رسول الله ﷺ قاعداً لحاجته مستقبل الشام مستدبر القبلة[٣].

وذهب قوم إلى أن النهي عام في الصحراء وغيرها مما يكون فيه حائل، ومما لا يكون. واحتجوا أيضاً على ذلك بفعل أبـي أيوب رضي الله عنه.

١٢ ــ وذكر مسلم عن سلمان الفارسي، قال: «نهانا رسول الله ﷺ أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وأن نستنجي باليمين، وأن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، وأن نستنجي برجيع أو بعظم»[٤].

= وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٤)، والجورقاني في «الأباطيل» برقم (٣٤٨). وصححه الدارقطني والحاكم والذهبـي، والبوصيري، والمنذري وغيرهم.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري برقم (١٥٣)، ومسلم برقم (٢٦٧)، وأبو داود (٣١)، والترمذي (١٥)، والنسائي (٢٤)، وابن ماجه (٣١٠)، وأحمد (٤/ ٣٨٣، ٥/ ٢٩٥، ٢٩٦)، والحميدي برقم (٤٢٨)، وغيرهم.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٤، ٣٩٤)، ومسلم (٢٦٤)، وأبو داود برقم (٩)، والترمذي (٨)، والنسائي برقم (٢١)، وابن ماجه (٣١٨)، وابن خزيمة برقم (٥٧)، وابن حبان برقم (١٤١٤ ــ إحسان)، والشافعي في «المسند» برقم (١٣)، وفي «السنن المأثورة» برقم (١١١ ــ رواية الطحاوي)، والحميدي برقم (٣٧٨)، وغيرهم كثير.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري برقم (١٤٥، ١٤٨، ١٤٩، ٣١٠٢)، ومسلم برقم (٢٦٦)، وأبو داود برقم (١٢)، والترمذي (١١)، والنسائي برقم (٢٣)، وابن ماجه (٣٢٢)، وأحمد (٢/ ٤١)، وغيرهم كثير.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم برقم (٢٦٢)، وأبو عوانة (١/ ٢١٧)، وأبو داود برقم (٧)، والترمذي (١٦)، والنسائي (٤١)، وابن ماجه برقم (٣١٦)، وأحمد (٥/ ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩)، وابن أبـي شيبة (١/ ١٥٠، ١٥٢) وابن الجارود برقم (٢٩)، والدارقطني (١/ ٥٤)، والبيهقي (١/ ٩١) وغيرهم.

١٣ ــ وذكر أبو داود من حديث أبـي هريرة، عن النبـي ﷺ قال: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه»[١]. وكان يأمر بثلاثة أحجار، وينهى عن الروث والرمة. وقد صح عنه عليه السلام الاستنجاء بالحجارة. وصح عنه ــ أيضاً ــ عليه السلام الاستنجاء بالماء. ذكر الحديثين مسلم والبخاري، تفرد البخاري بذكر الاستنجاء بالحجارة. وكان أهل قباء يجمعون بينهما فيستنجون بالحجارة، ثم يغتسلون بالماء، وفيهم نزلت: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحُبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] ذكر ذلك أبو الحسن الدارقطني وغيره[٢].

١٤ ــ وذكر أبو داود من حديث المهاجر بن قنفد، أنه أتى النبـي ﷺ وهو يبول، فسلم عليه، فلم يرد عليه حتى توضأ، ثم اعتذر إليه، فقال: «إني كرهت أن أذكر الله تعالى إلاَّ على طهرٍ أو على طهارة»[٣].

١٥ ــ وذكر أبو بكر البزار من حديث جابر بن عبد الله، أن رجلاً سلم على النبـي ﷺ وهو يبول فلم يرد عليه، فلما فرغ قال: «إذا رأيتني على هذه الحال فلا تسلم عليَّ فإني لا أرد عليك»[٤].

وأما كراهيته عليه السلام في أن يذكر الله إلاَّ طاهراً فقد جاءت عنه الرخصة في ذلك توسيعاً من الله تعالى ورحمة وفضلاً ومِنَّة.

١٦ ــ ذكر مسلم بن الحجاج، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه»[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٨)، والنسائي (٤٠)، وابن ماجه (٣١٣)، وأحمد (٢/ ٢٤٧)، والشافعي في «المسند» برقم (٦٤)، والحميدي برقم (٩٨٨)، وابن حبان (١٢٨ ــ موارد)، وغيرهم كثير.

(٢) ب٢ب١ن أبـي حكيم، عن طلحة بن نافع أنه حدثه، حدثني أبو أيوب وجابر بن عبد الله وأنس الأنصاريون به قلت: وهذا إسناد ضعيف، فيه عتبة، ضعيف وطلحة لم يدرك أبا أيوب.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٧)، والنسائي برقم (٣٨)، وابن ماجه (٣٥٠)، وأبو الحسن بن سلمة في «زوائده على ابن ماجه»، وأحمد (٤/ ٣٥٤، ٥/ ٨٠)، وغيرهم كثير.

(٤) لم أقف على إسناده، لأنني لم أجده في «كشف الأستار» ولا في «مجمع الزوائد» كلاهما للهيثمي، والله أعلم.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢/ ١٣٥ ــ تعليقاً بصيغة الجزم)، ووصله مسلم برقم (٣٧٣)، وغيره.

بابُ ذكرِ الطَّهَارَةِ، ومِمَّا تكونُ، وَمَا يُوجِبُهَا

١٧ ــ مسلم عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول»[١].

١٨ ــ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[٢].

١٩ ــ الترمذي عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا وضوء إلاَّ من صوت أو ريح»[٣].

٢٠ ــ مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً، فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا، فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو ريحاً»[٤].

٢١ ــ البزار عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي الشيطان أحدكم في صلاته فينفخ في مقعدته فيتخيل له أنه قد أحدث ولم يحدث، فإذا وجد ذلك أحدكم فلا ينصرفن حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[٥].

٢٢ ــ مسلم عن أسامة بن زيد، قال: دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشِّعْبِ نزل فبال، ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء، فقيل له: الصلاة. فقال: «الصلاة أمامك» فركب، فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب، ثم

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٢٤)، والترمذي برقم (١)، وابن ماجه (٢٧٢)، وابن أبي شيبة برقم (٢٦)، وأبو عبيد في «كتاب الطهور» برقم (٥٦ ــ ٥٧)، والغلول: الخيانة؛ وأصله: السرقة من مال الغنيمة قبل القسمة.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٥)، ومسلم (٢٢٥)، والترمذي (٧٦).

(٣) انظر الترمذي السابق.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري برقم (١٣٧)، ومسلم (٣٦١)، وأبو داود (١٧٦)، والنسائي (١/ ٩٨)، وابن ماجه (٥١٣).

(٥) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» برقم (١١٥٥٦)، والبزار برقم (٢٨١ ــ كشف)؛ وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٤٢): «. . . ورجاله رجال الصحيح» اهـ. قلت: كذا قال رحمه الله، والإسناد فيه أبو أويس ضعيف الحديث.

أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلاها، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله ولم يصل بينهما شيئاً[١].

٢٣ ــ مسلم عن علي بن أبي طالب، قال: كنت رجلاً مذاء، وكنت أستحي أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله، فقال: «يغسل ذكره ويتوضأ»[٢].

٢٤ ــ وفي الموطأ عن المقداد بن الأسود: فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «إذا وجد أحدكم ذلك فلينضح فرجه وليتوضأ وضوءه للصلاة»[٣].

٢٥ ــ وذكره أبو داود، وقال: «ليغسل ذكره وأنثييه»[٤] وهو منقطع، وذكر الأنثيين فيه وهم.

٢٦ ــ النسائي عن زر بن حبيش، قال: سألت صفوان بن عسال عن المسح على الخفين، فقال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا مسافرين أن نمسح على خفافنا ولا ننزعها ثلاثة أيام من غائط وبول ونوم إلا من جنابة»[٥].

وأمر عليه السلام في هذا الحديث بالوضوء من النوم، ومما احتج به من لم ير الوضوء من النوم الخفيف ما ذكر.

٢٧ ــ أبو داود عن أنس بن مالك، قال: أقيمت صلاة العشاء، فقام رجل فقال: يا رسول الله إن لي حاجة، فقام النبي ﷺ يناجيه حتى نعس القوم أو بعض القوم، ثم صلى

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٩، ١٨١، ١٦٦٧، ١٦٧٢)، ومسلم (١٢٨٠)، وأبو داود (١٩٢١)، والنسائي (١/ ٢٩٢)، وغيرهم كثير.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٧٨، ٢٦٩)، ومسلم برقم (٣٠٣)، وغيرهما كثير، والحديث مخرج في «جزء فيه أحاديث من الجزء المنتقى للإمام الليث بن سعد» رواية أبي موسى عيسى بن حماد الزغبي برقم (١).

(٣) **صحيح مما مضى**: والحديث في «الموطأ» (ص٥٠ برقم ٥٥/ ط ــ الشعب).

(٤) **إسناده ضعيف**: أخرجه أبو داود برقم (٢٠٨)، وسنده ضعيف لانقطاعه بين عروة، وعليّ بن أبي طالب، وانظر: «المراسيل» لابن أبي حاتم (ص١٤٩) برقم (٥٤١).

(٥) **حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٩ ــ ٢٤٠)، والترمذي برقم (٩٦)، والنسائي (١/ ٧١)، وابن ماجه (٤٧٨)، وغيرهم كثير. والإسناد حسن لأن فيه عاصم بن أبي النجود، حديثه لا ينزل عن درجة الحسن، والحديث مخرج في «جزء الغطريفي» برقم (٤).

لهم ولم يذكروا وضوءاً[1].

٢٨ ــ مسلم عن عائشة، أن النبي ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه»[2].

٢٩ ــ ومما يوجب الوضوء ما ذكره مالك في الموطأ من حديث بسرة بنت صفوان أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ وضوءه للصلاة»[3]. هكذا في رواية ابن أبي بكر.

٣٠ ــ وذكر عبد الرزاق في مصنفه من حديثها أنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بالوضوء من مس الفرج»[4].

٣١ ــ وذكر ابن السكن من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من أفضى بيده إلى فرجه ليس دونها حجاب فقد وجب عليه الوضوء».

٣٢ ــ وصح عنه عليه السلام أنه قال: «توضأوا مما مست النار»[5]. ذكره مسلم من حديث عائشة وغيرها.

٣٣ ــ وصح عنه عليه السلام: أنه أكل لحماً، ثم صلى ولم يتوضأ. ذكره مسلم من حديث ابن عباس[6]، وعمرو بن أمية الضمري[7]، وغيرهما. وذكر من حديث ابن عباس في هذا أنه عليه السلام صلى بالناس وما مس ماءً[8].

٣٤ ــ وذكر النسائي من حديث جابر بن عبد الله، قال: «كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار»[9].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٢٠١)، ومن قبله مسلم برقم (٣٧٦/ ١٢٦).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٢٢)، ومن قبله البخاري برقم (٢١٢)، وأبو داود برقم (١٣١٠)، وابن ماجه (١٣٧٠)، وغيرهم.
(٣) صحيح: أخرجه مالك (١/ ٤٢)، والنسائي (١/ ٢١٦)، وابن حبان (١١٠٣ ــ موارد)، والدارمي (٧٣٠)، وغيرهم كثير.
(٤) صحيح: أخرجه عبد الرزاق برقم (٤١١ ــ ٤١٢)، وانظر السابق.
(٥) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٥٣).
(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٣٥٤)، ومن قبله البخاري برقم (٢٠٩)، وأبو داود برقم (١٨٧)، وغيرهم.
(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٨)، ومسلم (٣٥٥)، وابن ماجه (٤٩٠).
(٨) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٢٧٣)، وابن ماجه برقم (٤٩٠).
(٩) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٩٢)، والنسائي (١/ ١٠٨)، وابن الجارود برقم (٢١)، والبيهقي =

٣٥ ـ وذكر مسلم من حديث جابر بن سمرة أن رَجُلاً سأل النبي ﷺ أتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «إن شئت فتوضأ، وإن شئت فلا تتوضأ». قال: أتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم، فتوضأ من لحوم الإبل». قال: أصلي في مرابض الغنم؟ قال: «نعم». قال: أصلي في مبارك الإبل؟ قال: «لا»[١]. وقد ذهب بعض العلماء إلى الوضوء من لحوم الإبل، منهم أحمد بن حنبل رحمه الله، ومما يتوضأ له لغير الصلاة.

٣٦ ـ ما ذكره في موطأه عن أبي بكر بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «أن لا يمس القرآن إلا طاهر»[٢] وقد أسنده سليمان بن موسى، عن سالم، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ.

٣٧ ـ وذكر مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوءاً»[٣].

٣٨ ـ وعن عبد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب ذكر لرسول الله ﷺ أنه تصيبه جنابة من الليل، فقال له رسول الله ﷺ: «توضأ واغسل ذكرك، ثم نَمْ»[٤].

٣٩ ـ وعن عمر رضي الله عنه أنه استفتى النبي ﷺ فقال: هل ينام أحدنا وهو جنب؟ فقال: «نعم ليتوضأ، ثم لينم حتى يغتسل إذا شاء»[٥].

٤٠ ـ وعن عائشة ـ أم المؤمنين ـ قالت: «كَانَ رسول الله ﷺ إذَا كَانَ جُنباً فأَرَادَ أن يأكُل أَوْ يَنَامَ تَوضَأ وضُوءهُ للصَّلَاةِ»[٦]. وقال أبو داود: «وإذا أراد أن يأكل غسل يديه». وكلا الحديثين صحيح.

٤١ ـ وذكر البخاري عن البراء بن عازب، قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك

= (١/ ١٥٥ ـ ١٥٦)، وهذا الحديث ناسخ لحديث: «الوضوء مما مست النار»؛ والله أعلم.

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٦٠)، وأحمد (٥/ ٨٦، ٨٨، ٩٣، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨)، وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه مالك (ص١٤١ ـ برقم ١/ ط ـ دار الشعب) مرسلاً. وورد موصولاً عن ابن عمر، وعثمان بن أبي العاص، وعمرو بن حزم، وحكيم بن حزام، انظر: «إرواء الغليل» برقم (١٢٢).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٠٨)، وأصحاب السنن وغيرهم.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٠)، ومسلم (٣٠٦/ ٢٣).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٠٦/ ٢٤).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٥/ ٢٢)، وأبو داود (٢٢٤)، والنسائي (١/ ١٣٨)، وابن ماجه (٥٩١).

فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم»[1]. زاد في طريق أخرى: «وإن أصبحت أصبحت خَيراً».

٤٢ ــ وذكر أبو بكر البزار من حديث ابن عمر، مع النبـي ﷺ قال: «من بات طاهراً بات في شعاره ملك، فلا يستيقظ من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك كما بات طاهراً»[2].

المَضْمَضَةُ مِن السَويقِ إِذَا أرَادَ الصَّلاَةَ:

٤٣ ــ ذكر البخاري عن سويد بن النعمان أنه خرج مع النبـي ﷺ عام خيبر، حتى إذا كانوا بالصبهاء ــ وهي من أدنى خيبر ــ صلى العصر، ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلاَّ بالسويق، فأمر به فَثُرِّيَ فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا، ثم قام إلى المغرب، فمضمض ومضمضنا، ثم صلى ولم يتوضأ[3].

٤٤ ــ وقد تمضمض أيضاً عليه السلام من اللبن، وقال: «إن له دَسَماً»[4]. ذكره مسلم. وقد شربه عليه السلام وصلى ولم يتمضمض ذكره أبو داود[5].

فَضْلُ الوضُوءِ لِكُلّ صَلاَةٍ، والوضُوءِ عِنْدَ كل حَدَثٍ، وَالصَّلاَةِ إِثرَ كُلِ وضوءٍ:

٤٥ ــ الترمذي عن حميد، عن أنس، قال: «كان رسول الله ﷺ يتوضأ لكل صلاة طاهراً أو غير طاهرٍ» قال حميد: قلت لأنس: وكيف كنتم تصنعون أنتم؟ قال: كنا نتوضأ وضوءاً واحداً. قال: هذا حديث حسن صحيح[6].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠)، والنسائي في «اليوم والليلة» برقم (٧٧٥)، وتلميذه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٧٠٨)، وأحمد (٤/ ٢٨٥)، والترمذي (٣٤٥٤)، وعبد الزراق برقم (١٩٨٢٩)، وغيرهم كثير.

(٢) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٢ برقم ١٣٦٢٠ ــ ١٣٦٢١)، والبزار برقم (٢٨٨ ــ كشف الأستار). وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١/ ٢٢٦).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٢٠٩).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٢١١)، ومسلم برقم (٣٥٨).

(٥) حسن: أخرجه أبو داود برقم (١٩٧)، وابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ» برقم (٩٣)، وحَسَّن الحافظ إسناده في «فتح الباري» (١/ ٣٧٥)، وقال: «وأغرب ابن شاهين فجعل حديث أنس ناسخاً لحديث ابن عباس، ولم يذكر من قال فيه بالوجوب حتى يحتاج إلى دعوى النسخ» اهـ.
=

(٦) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٢١٤)، وأبو داود (١٧١)، والنسائي برقم (١٣١)، والترمذي (٦٠)،

٤٦ ــ وعن بريدة بن حصيب، قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعى بلالاً، فقال: «يا بلال بم سبقتني، فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك، أما دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل من العرب. قلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمدٍ. قلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فقال بلال: ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، ورأيت أن لله ــ عزّ وجلّ ــ عليَّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: بهما»[1].

بابٌ في السِّوَاك عنْدَ كلِّ وضُوءٍ وَعنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ

٤٧ ــ النسائي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك مع كل وضوء»[2].

٤٨ ــ مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[3].

٤٩ ــ وعن شريح بن هانىء، قال: سألت عائشة رضي الله عنها قلت: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك.

٥٠ ــ وعن عائشة وذكرت صلاة النبي ﷺ قالت: كنا نعد له سواكه وطهوره حتى

وابن ماجه (٥٠٩)، وأحمد (٣/ ١٣٢، ١٩٤، ٢٦٠)، والطيالسي (١٨٦)، وغيرهم كثير.

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٥/ ٦٢٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٠) وفي «فضائل الصحابة» برقم (٧١٣)، وغيرهما، وفي الباب عن أنس في «الصحيحين، وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢/ ٣٧٤، ١٣/ ٢٢٤)، ومسلم (٢٥٢/ ٤٢)، والترمذي (٢٢)، والنسائي (٧)، وابن ماجه (٢٨٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٥، ٥٣١)، والحميدي (٩٦٥)، وابن خزيمة برقم (١٣٩)، ومالك في «الموطأ» (١/ ١٦٦ برقم ١١٤)، وأبو عوانة (١/ ١٩١)، وأبو يعلى برقم (٦٢٧٠، ٦٣٤٣)، وابن حبان برقم (١٠٦٥ ــ إحسان)، وغيرهم كثير.

(٣) انظر السابق.

يبعثه الله متى شاء أن يبعثه. فأخبرت أنه كان يعد له السواك، وذلك لمحافظته عليه، وملازمته لاستعماله.

٥١ ــ وذكر النسائي عن ابن عباس، قال: «كان النبـي ﷺ يصلي ركعتين ثم ينصرف فيستاك»[١].

٥٢ ــ مسلم عن أبـي موسى الأشعري، قال: «دخلت على النبـي ﷺ وطرف السواك على لسانه»[٢].

٥٣ ــ البخاري عن أبـي موسى ــ أيضاً ــ قال: «أتيت النبـي ﷺ فوجدته يستن بسواك في يده يقول: «أُع أُع» والسواك في يده كأنه يتهوع»[٣].

٥٤ ــ البخاري عن أنس بن مالك، عن النبـي ﷺ قال: «أكثرت عليكم في السواك»[٤].

٥٥ ــ وذكر النسائي عن عائشة، عن النبـي ﷺ قال: «السواك مطهرة للفهم، مرضاة للرب»[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٧٤٦)، وأبو داود برقم (١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥)، والنسائي (٣/ ١٩٩)، وأحمد (٦/ ٥٣ ــ ٥٤).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٨٨)، وأحمد برقم (١٨٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» برقم (١٢٣٣٧).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٥٤) بهذا اللفظ.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٢٤٤)، وأبو عوانة (١/ ١٩٢)، وأبو داود برقم (٤٩)، والنسائي برقم (٣)، وأحمد (٤/ ٤١٧)، وابن خزيمة (١/ ٧٣)، وابن حبان برقم (١٠٧٠ ــ إحسان)، والبيهقي (١/ ٣٥)، والبغوي (١/ ٣٩٦)، هكذا رواية البخاري: «أع، أع». ورواية أبـي داود، وأبـي عونة: «إهـ، إهـ». ورواية أبـي عوانة أيضاً: «عق، عق». ابن خزيمة، والنسائي، وابن حبان: «عأ، عأ». وقال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٤٢٤): «والرواية الأولى أشهر، وإنما اختلف الرواة لتقارب مخارج هذه الأحرف، وكلها ترجع إلى حكاية صوته إذ جعل السواك على طرف لسانه كما عند مسلم». ويقول البغوي في «شرح السنة»: «يستن: أي يستاك، ويتهوع: أي يتقيأ، والسواك مستحب في عموم الأحوال، وهو في حالتين أشد استحباباً: عند القيام إلى الصلاة، وعند تغير الفم بنومٍ، أو كل شيء يُغَيِّرُ الفم: ولا بأس أن يستال بسواك الغير» اهـ.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٨٨٨)، والنسائي برقم (٦)، والإسماعيلي في «المستخرج» كما في «فتح =

٥٦ ـــ وذكر البزار من حديث عائشة قال: «فضل الصلاة بسواك على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفاً»[١].

٥٧ ـــ وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أمر بالسواك، وقال: قال النبي ﷺ: «إن العبد إذا استاك ثم قام يصلي قام الملك خلفه، فيسمع لقراءته فيدنو منه ـــ أو كلمة نحوها ـــ حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهروا أفواهكم للقرآن».

٥٨ ـــ ومن مراسيل ابن شهاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام الرجل فتوضأ ليلاً أو نهاراً فأحسن وضوءه واستن، ثم قام يصلي، أطاف به ملك ودنا منه حتى يضع فاه، فما يقرأ إلاّ في فيه، وإذا لم يستن أطاف به ولم يضع فاه على فيه»[٢].

٥٩ ـــ وقال مسعر بن كرام: «من لم يجد السواك فيلدلك أسنانه بأصبعه»[٣]. وقال غيره: إنما جاء الفضل في السواك، ولكن تنقية الأسنان وتنظيفها حسن.

٦٠ ـــ وروى ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: «كان لرسول الله ﷺ إناء يعرض عليه بسواكه، فإذا قام من الليل استنجى واستاك وتوضأ، ثم يطلب الطيب في رباع نسائه»[٤].

= الباري» (٢/٣٧٦)، والدارمي برقم (٦٨١ ـــ ٦٨٢)، وأحمد (٣/١٤٣، ٢٤٩)، وابن أبي شيبة (١/١٧١)، وأبو يعلى برقم (٤١٧١)، وابن حبان برقم (١٠٦٣ ـــ إحسان)، والبيهقي (١/٣٥)، وغيرهم كثير.

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (٤/١٥٨)، ووصله النسائي برقم (٥)، وأحمد (٦/١٢٤). وأبو يعلى برقم (٤٩١٦)، وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر» برقم (١٠٩)، وابن حبان برقم (١٤٣ ـــ موارد)، والبيهقي (١/٣٤)، والشافعي في «المسند» برقم (٧١)، وفي «الأمم» (١/٢٣)، وغيرهم.

وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وأبي أمامة، رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) **صحيح**: أخرجه البزار برقم (٤٩٦ ـــ كشف الأستار)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» برقم (١٥٣٦ ـــ ١٥٣٧) مرفوعاً. وأخرجه البيهقي (١/٣٨) بإسناد صحيح، ولكن موقوفاً على عليٍّ. وحكمه حكم المرفوع.

(٣) **ضعيف**: وذلك لأنه مرسل.

(٤) وورد هذا من فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه، كما عند أبي عبيد القاسم بن سلاّم برقم (٣١٣) من كتابه «الطهور» وسنده ضعيف.

وأقول: لم يصح فيما وقفت عليه من أحاديث فيها الأصابع تكون بدلاً من السواك، والعلم عند الله تعالى.

وكان جماعة من الصالحين يلبسون الثياب الرفيعة لصلاة الليل، مثل تميم الداري، وابن محيريز وغيرهما، ومنهم من كان يتطيب، ومنهم من كان يلبس ثياب الشعر ويجعل الغل في عنقه كعمر بن عبد العزيز وغيره، وموضع هذا صلاة الليل.

النِّيَّةُ للوَضُوءِ وَغيرِهِ مِن الأَعمَالِ وَالتسْمِيَةِ:

٦١ ــ البخاري عن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ قال: «الأعمال بالنية ولكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١].

٦٢ ــ النسائي عن أنس بن مالك، قال: «فقدنا الماء، فسأل بعض أصحاب النبي ﷺ هل مع أحدٍ منكم ماء، فأتى به إلى النبي ﷺ فوضع يده في الماء، وهو يقول: «توضأوا بسم الله» فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه، فتوضأوا حتى فرغوا من عند آخرهم» قال: قلت لأنس: كم تراهم؟ قال: نحواً من سبعين[٢].

التَّيَمُّن في الوضُوءِ، وَغَسْلُ اليَدِ عِنْدَ القِيَامِ مِنَ النَّوْم قَبْلَ إدخَالِهَا، وَصِفَةُ الوضوءِ

٦٣ ــ أبو داود عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لبستم، أو توضأتم فابدأوا بأيمانكم»[٣].

٦٤ ــ مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يدري أين باتت يده»[٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري برقم (١، ٥٤)، ومسلم (٣/ ١٥١٦)، وأبو داود برقم (٢١٨٦)، وغيرهم كثير جداً. وهو مخرج في «الأمالي والقراءة» لابني عفان برقم (٢٦) تحقيق مسعد السعدني.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٠٠)، ومسلم (٤/ ١٧٨٣)، والنسائي (١/ ٦١)، وأحمد (٣/ ١٤٧)، وابن خزيمة (١/ ٦٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٧٨)، والفريابي في «دلائل النبوة» برقم (٢٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود برقم (٤١٤١).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٦٢)، ومسلم (٢٧٨)، وأبو عوانة (١/ ٢٦٣)، وأحمد (٢/ ٢٤١، ٢٥٩، ٣٨٢)، ومالك (١/ ٢١ برقم ٩)، وأبو داود برقم (١٠٤)، والترمذي (٢٤)، والنسائي برقم (١)، وابن ماجه (٣٩٣)، وغيرهم كثير.

٦٥ ــ وعن أبي هريرة ـــ أيضاً ـــ أن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليستنثر ثلاث مرات، فإن الشيطان يبيت على خياشيمه». وقال البخاري: «إذا استيقظ من نومه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً» الحديث، زاد: «فتوضأ»[١].

٦٦ ــ مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ أحدكم، فليستنشق بمنخريه ثم لينتثر»[٢].

٦٧ ــ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فليستجمر، ومن استجمر فليوتر»[٣].

٦٨ ــ وذكر النسائي عن لقيط بن صبرة، قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن الوضوء، قال: «أسبغ الوضوء، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»[٤].

٦٩ ــ ومن حديث أبي داود، عن لقيط بن صبرة ـــ أيضاً ـــ عن النبي ﷺ قال: «إذا توضأت فمضمض»[٥].

٧٠ ــ وذكر مسلم عن حمران ـــ مولى عثمان بن عفان ـــ أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات، ثم مضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات، ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله إلى الكعبين ثلاث مرات، ثم غسل رجله اليسرى مثل ذلك، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال رسول الله ﷺ: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه» قال ابن شهاب: كان علماؤنا يقولون: هذا الوضوء أسبغ ما يتوضأ به أحد

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٣٢٩٥)، ومسلم برقم (٢٣٨)، والنسائي (١/ ٥٨)، وأبو عبيد في «الطهور» برقم (٣٠٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٣٧/ ٢١).

(٣) صحيح: أخرجه مالك (ص٣٨ ـــ ٣٩/ برقم ٣ ــ ط. الشعب). والبخاري (١٦١)، ومسلم (٢٣٧/ ٢٢)، والنسائي (١/ ٦٦)، وابن ماجه (٤٠٩)، وأبو عبيد برقم (٣٠١ ــ كتاب الطهور)، وغيرهم. وله شاهد من حديث سلمة بن قيس، انظر تخريجه في «كتاب الطهور» برقم (٣٠٢ ــ بتحقيقي مسعد السعدني).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي (١/ ٥٧)، وابن ماجه (٤٠٧، ٤٤٨)، وأحمد (٤/ ٣٣)، وابن حبان برقم (١٥٩ ـــ موارد) وغيرهم كثير.

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٤٤).

للصلاة[1].

٧١ ــ وعنه في هذا الحديث: «أنه أفرغ على يده من إنائه فغسلها ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوضوء فمضمض واستنشق واستنثر» وذكر الحديث، خرجه النسائي[2].

٧٢ ــ وذكر النسائي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه دعا بماءٍ فمضمض، واستنشق، ونثر بيده اليسرى، فعل هذا ثلاثاً، ثم قال: هذا طهور النبي ﷺ[3].

٧٣ ــ وذكر البخاري من حديث ابن عباس، أنه توضأ فغسل وجهه، ثم أخذ غرفةً من ماء فتمضمض بها واستنشق، ثم أخذ غرفة من ماء فجعل بها هكذا ــ أضافها إلى يده الأخرى فغسل بها وجهه، ثم أخذ غرفة من ماءٍ فغسل يده اليمنى، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى، ثم مسح برأسه، ثم أخذ غرفة من ماء فرش بها على رجله اليمنى حتى غسلها، ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها ــ يعني رجله اليسرى، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ[4].

٧٤ ــ وذكر مسلم من حديث عبد الله بن زيدٍ، وقيل له توضأ لنا وضوء رسول الله ﷺ، فدعا بإناءٍ فأكفأ منه على يديه فغسلهما ثلاثاً، ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كفٍ واحدةٍ، ففعل ذلك ثلاثاً، ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين، ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه، فأقبل يديه وأدبر، ثم غسل رجليه إلى الكعبين، ثم قال: هكذا كان وضوء رسول الله ﷺ[5].

٧٥ ــ وزاد في روايةٍ بعد قوله: «فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه». وفي هذا الحديث أنه عليه السلام مسح برأسه مرة واحدة. وفي حديث عبد الله بن زيد هذا أنه عليه السلام غسل يديه مرتين قبل إدخالهما في الإناء. ذكره البخاري، وفي حديث ابن عباس قال: «رأيت رسول الله ﷺ توضأ فغسل يديه مرة مرة، ثم مضمض واستنشق من غرفة واحدة، وغسل وجهه وغسل يديه مرة مرة، ومسح برأسه وأذنيه مرةً».

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٥٩، ١٦٠، ١٦٤)، ومسلم (١/ ١١٤)، وغيرهما كثير، وانظر: «كتاب الطهور» برقم (١) لأبي عبيد.

(٢) صحيح: انظر: «سنن النسائي» (١/ ٦٤، ٦٥، ٨٠).

(٣) صحيح: أخرجه النسائي (١/ ٦٧ برقم ٩١).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري برقم (١٤٠)، وغيره.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٩١)، ومسلم (٢٣٥)، وغيرهما.

٧٦ ــ ذكر النسائي ذلك في حديث الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ، قالت: «رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ فمسح رأسه ومسح ما أقبل منه وما أدبر، وصدغيه وأذنيه مرة واحدة» ذكره أبو داود(١).

٧٧ ــ وعنها: أنه مسح رأسه مرتين بدءاً بمؤخر رأسه، ثم بمقدمه، وبأذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما. ذكره الترمذي(٢).

٧٨ ــ وذكر أبو داود من حديث عثمان بن عفان: أن النبي ﷺ مسح رأسه ثلاثاً(٣).

قال أبو داود: وأحاديث عثمان الصحاح تدل على مسح الرأس أنه مرة، فإنهم ذكروا الوضوء ثلاثاً، قالوا فيها: ومسح رأسه ولم يذكروا عدداً.

٧٩ ــ وذكر أبو داود من حديث الرّبيع ووصفت وضوء النبي ﷺ قالت: «أدخل أصابعه في جُحري أذنيه» وكذا قال ــ أيضاً ــ في حديث المقدام بن معدي كرب في وضوء النبي ﷺ قال: «أدخل أصابعه في صماخي أذنيه»(٤).

٨٠ ــ وفي حديث عبد الله بن زيد، أن رسول الله ﷺ أخذ لأذنيه ماء خلاف الذي مسح به رأسه. ذكره ابن وهب من حديث عبد الله بن زيد.

وذكر مسلم أنه عليه السلام مسح رأسه بماءٍ غير فضل يديه، وفي هذا الحديث: «وغسل رجليه حتى أنقاهما». وذكر البخاري من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ توضأ مرة مرة. ومن حديث عبد الله بن زيد أنه عليه السلام توضأ مرتين مرتين.

بابٌ في المَسْحِ عَلى الخُفَّيْنِ وَالعِمَامَةِ

٨١ ــ ذكر مسلم من حديث المغيرة بن شعبة، قال: «تخلف رسول الله ﷺ وتخلفت معه، فلما قضى حاجته، قال: «أمعك ماء»؟ فأتيته بمطهرة، فغسل كفيه ووجهه، ثم ذهب يحسر عن ذراعيه، فضاق كم الجبة، فأخرج يديه من تحت الجبة وألقى الجبة على منكبيه وغسل ذراعيه ومسح بناصيته وعلى العمامة وعلى خفيه، ثم ركب وركبت معه، فانتهينا إلى القوم وقد قاموا في الصلاة، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف وقد ركع بهم ركعة، فلما أحس بالنبي ﷺ ذهب يتأخر، فأومأ إليه فصلى بهم، فلما سلم قام النبي ﷺ وقمت فركعنا الركعة التي سبقتنا»(٥).

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٦/٣٥٨، ٣٥٩)، وأبو داود (١٢٦)،

(٢) حسن: أخرجه الترمذي برقم (٣٣)، وأحمد (٦/٣٥٨ ــ ٣٥٩).

(٣) تقدم.

(٤) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (١٢٣)، وفيه الوليد بن مسلم مدلس، ويدلس تدليس التسوية.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٦)، ومسلم (٢٧٤)، وغيرهما.

٨٢ ــ ولمسلم عن المغيرة بن شعبة ــ أيضاً ــ في هذا الحديث: «ثم أهويت لأنزع خفيه فقال: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين، ومسح عليهما». وقال النسائي في هذا الحديث: «ومسح بناصيته وجانبي عمامته».

٨٣ ــ وقال أبو داود من حديث أبي معقل، عن أنس بن مالك: «رأيت النبي ﷺ يتوضأ وعليه عمامة قطوية، فأدخل يده من تحت العمامة فمسح بمقدم رأسه ولم ينفض العمامة»[١].

٨٤ ــ وذكر مسلم من حديث بلال: «أن النبي ﷺ مسح على الخفين والخمار»[٢].

٨٥ ــ وذكر مسلم ــ أيضاً ــ من حديث شريح بن هانيء، قال: أتيت أسألها عن المسح على الخفين، فقالت: عليك بابن أبي طالب فاسأله، فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ، فسأله فقال: «جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم»[٣]. وحديث التوقيت في المسح أصح من حديث المسح بغير توقيت.

٨٦ ــ وذكر أبو داود من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه»[٤]. هذا أصح من الحديث الذي جاء في المسح على باطن الخف.

بَابٌ في الغُسْلِ وَمَا يُوجِبهُ

٨٧ ــ ذكر الترمذي من حديث عائشة، عن النبي ﷺ قال: «إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل»[٥].

٨٨ ــ وقال مسلم من حديثها: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ومس الختان الختان، فقد وجب الغسل» ذكرته عن النبي ﷺ[٦].

٨٩ ــ وقال من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٤٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٥)، وأحمد (٦/ ١٥)، والترمذي برقم (١٠١)، والنسائي (١/ ٧٥)، والكثير غيرهم، والخمار: العمامة، وذلك لأنها تخمر الرأس، أي تغطيه.

(٣) صحيح: : أخرجه مسلم (٢٧٦)، والنسائي (١/ ٨٤).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٦٢ ــ ١٦٤).

(٥) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (١٠٨).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٣٤٩)، وأبو عوانة (١/ ٢٨٩)، وغيرهما.

جهدها، فقد وجب عليه الغسل، وإن لم يُنزل»[1].

٩٠ ــ وعن أم سلمة ــ زوج النبي ﷺ ــ قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم إذا رأت الماء». فقالت أم سليم: يا رسول الله، وتحتلم المرأة؟ قال: «تربت يداك فبم يشبهها ولدها»[2].

٩١ ــ مسلم عن أنس بن مالك، «أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد»[3].

٩٢ ــ وذكر النسائي عن أبي رافع، أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه ذات يوم، فجعل يغتسل عند هذه وعند هذه، فقلت: يا رسول الله، لو جعلت غسلاً واحداً، قال: «هذا أربى وأطهر وأطيب»[4].

٩٣ ــ مسلم عن أبي هريرة، أنه لقي النبي عليه السَّلام في طريقٍ من طرق المدينة وهو جنب، فانسل فذهب فاغتسل، فتفقده النبي ﷺ، فلما جاء، قال: «أين كنت يا أبا هريرة؟» قال: يا رسول الله لقيتني وأنا جنب فكرهت أن أجالسك حتى أغتسل، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله، إن المؤمن لا ينجس»[5]. وقال في حديث حذيفة: «إن المؤمن لا ينجس»[6] وفي هذا مشي الجنب وتصرفه قبل أن يغتسل، وقد تقدم أنه عليه السلام كان إذا كان جنباً وأراد أن ينام أو يأكل توضأ وضوءه للصلاة. ويروى أنه كان إذا أراد أن يأكل وهو جنب غسل يديه.

٩٤ ــ مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب»[7].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٤٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٢)، ومسلم (٣١٣) واللفظ له.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٠٩).

(٤) صحيح: أخرجه النسائي في «عشرة النساء» برقم (١٤٩)، وأبو داود برقم (٢١٩)، وابن ماجه (٥٩٠)، والبيهقي (٧/ ١٩٢).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٣، ٢٨٥)، ومسلم (٣٧١).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٧٢)، وأبو داود (٢٣٠)، والنسائي (١/ ١٤٥)، وابن ماجه (٥٣٥)، وغيرهم.

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٢٣٩)، ومسلم (٢٨٣).

بَابُ التَّيمُن للطَّهُور وَالوضُوءِ، وَقَدر مَا يَكفي لَهما مِن الماءِ وَمَا يُكرَهُ مِنَ الزيَادةِ عَلى الثَلاثِ

٩٥ ــ مسلم عن عائشة، قالت: «إن كان رسول الله ﷺ ليحب التيمن في تطهره إذا تطهر، وفي ترجله إذا ترجل، وفي انتعاله إذا انتعل»[١].

٩٦ ــ وعن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد»[٢].

٩٧ ــ وقد روي عنه عليه السلام: «أنه توضأ بماءٍ قدرِ ثلثي المد» ذكره النسائي[٣].

٩٨ ــ وذكر أبو داود من حديث عبد الله بن مغفل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور، وفي الدعاء[٤]».

صِفَةُ الاغْتِسَال للجَنَابةِ:

٩٩ ــ ذكر البخاري عن ميمونة ــ زوج النبي ﷺ ــ قالت: «توضأ رسول الله ﷺ وضوءه للصلاة غير رجليه، وغسل فرجه وما أصابه من الأذى، ثم أفاض عليه الماء، ثم نحى رجليه فغسلهما، هذا غسله من الجنابة»[٥].

١٠٠ ــ وذكر مسلم عن ميمونة، قالت: «أدنيت إلى رسول الله ﷺ غسله من الجنابة، فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً، ثم أدخل يده في الإناء، فأفرغ على فرجه فغسله بشماله، ثم ضرب بشماله الأرض فدلكهما دلكاً شديداً، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ملاء كفه، ثم غسل سائر جسده، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجليه، ثم أتيته بالمنديل فرده»[٦].

١٠١ ــ وعن عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه، ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يأخذ الماء

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠١)، ومسلم (٣٢٦/ ٥١) واللفظ له.

(٣) صحيح: أخرجه النسائي (١/ ٦٠) من حديث أم عمارة بنت كعب.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٩٦)، وابن ماجه (٣٨٦٤)، وأحمد (٤/ ٨٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٨٨)، وابن حبان برقم (١٧١ ــ ١٧٢/ موارد)، والبيهقي (١/ ١٩٦ ــ ١٩٧)، وغيرهم.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٢٤٩).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم: برقم (٣١٧). وقوله: «غسله» بضم الغين المعجمة، هو الماء الذي يغتسل منه.

فيدخل أصابعه في أصول الشعر حتى إذا رأى أن قد استبرأ حفن على رأسه ثلاث حفنات، ثم أفاض على سائر جسده ثم على رجليه»[1].

١٠٢ ــ وقال مالك في الموطأ عنها: «ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات من الماء بيديه، ثم يفيض الماء على جلده كله»[2].

١٠٣ ــ وقال البخاري عنها: «ثم يخلل بيده شعره حتى إذا ظن أن قد أروى بشرته أفاض عليه ثلاث مراتٍ»[3].

١٠٤ ــ وقال مسلم عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة دعا بشيء نحو الحلاب فأخذ بكفه بدأ بشق رأسه الأيمن، ثم الأيسر، ثم أخذ بكفيه فقال لهما على رأسه»[4].

١٠٥ ــ مسلم عن أم سلمة، قالت: قلت يا رسول الله، إني امرأة أشد ظفر رأسي أفأنقضه لغسل الجنابة؟ قال: «لا، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفضين عليك الماء فتطهرين». وفي رواية: «أفأنقضه للحيضة والجنابة؟»[5].

١٠٦ ــ وذكر أبو داود من حديث ثوبان، عن النبي ﷺ قال: «أما الرجل فلينثر رأسه

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٨)، ومسلم (٣١٦)، واللفظ لمسلم.

(٢) صحيح: أخرجه مالك (ص٥٢ برقم ٦٩).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٢٧٢).

وقوله: «حتى إذا ظن»: أي: حتى إذا علم؛ والمراد بالبشرة: ما تحت الشعر، وانظر: «الفتح» (١/ ٤٥٤).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٢٥٨)، ومسلم (٣١٨)، والحلاب: إناء يسع قدر حلب ناقة: ومنه قول الشاعر

صاحِ! هل رأيت أو سمعت براع ... رد في الضرع ما قرى في الحلاب؟

ويروى: في العلاب، بالعين المهملة، والعلاب: القدح الضخم من جلد الإبل، وقيل: قدح من خشب يحلب فيه.

وقد رجح ابن حجر في «الفتح» (١/ ٤٤٠) الحلاب، بالخاء المهملة. وساق من قال بهذا من أهل اللغة.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٣٠).

فليغسله حتى يبلغ أصول الشعر، وأما المرأة فلا عليها ألَّا تنفضه لتغرف على رأسها ثلاث غرفات تكفيها»[1].

١٠٧ ــ مسلم عن عائشة، قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأةٌ أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة، فقال: «لا، إنما ذلك عرق وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، فإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي»[2].

١٠٨ ــ وفي كتاب النسائي: فقال لها رسول الله ﷺ: «إذا كان دم الحيض فإنه أسود يُعرف فامسكي عن الصلاة، وإذا كان الآخر فتوضئي فإنما هو عرق». وقال أبو داود: «وإذا كان الآخر فتوضئي وصلي»[3].

١٠٩ ــ مسلم عن أسماء بنت شَكَلٍ: سألت النبي ﷺ عن غسل الحيض فقال: «تأخذ إحداكن ماءها وسدرها فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصةً ممسكة فتطهر بها» فقالت أسماء: وكيف أتطهر بها؟ فقال: «سبحان الله تطهرن ــ فقالت عائشة: فكأنها تخفي ذلك ــ تتبعين أثر الدم» وسألته عن غسل الجنابة؟ فقال: «تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو فتسبغ الطهور، ثم تصب على رأسها الماء فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تفيض عليها الماء» فقالت عائشة: نعم نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين[4].

مَا يَقُول بَعْدَ الطَّهَارَة وَالوضُوءِ: ــ

١١٠ ــ ذكر الترمذي عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٢٥٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٠٦)، ومسلم (٣٣٣).
والعرق: هو المسمى بالعازل. وقوله: بالحيضة: إذا كُسرت الحاء: أي الحالة، وإذا فتحت، وهو الأظهر، أي: الحيض.

(٣) انظر: «سنن أبي داود» برقم (٢٨٦)، وسنن النسائي (١/ ١٨٥).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٣٢/ ٦١)، وأبو داود برقم (٣١٤ ــ ٣١٦)، وابن ماجه برقم (٦٤٢).
وقوله: «شؤون رأسها» أي: أصول رأسها.

(٥) حسن: أخرجه الترمذي برقم (٥٥) من حديث عمر. وانظر: «إرواء الغليل» (٩٦، ٦٢٦)، وتمام =

التَّيَمُّمُ:

١١١ ــ البخاري عن عمران بن حصين، أن رسول الله ﷺ رأى رَجُلاً مُعتزلاً لم يُصَل مَعَ القوم، فقال: «يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم؟» قال: يا رسول الله أصابتني جنابةٌ ولا ماء. قال: «عليك بالصعيد فإنه يكفيك»[١].

١١٢ ــ وذكر مسلم من حديث عمار بن ياسر أنه أصابته جنابة فلم يجد الماء، فتمرغ في التراب كما تتمرغ الدابة، فقال النبي ﷺ: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض، ثم تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك، ويكفيك»[٢].

هذا صحيح في صفة التيمم، وقد روى في الذراعين إلى نصف الساعد، وروى إلى المرفقين؛ ذكرهما أبو داود والنسائي وغيرهما.

١١٣ ــ مسلم عن أبي الجهم، قال: أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر جمل، فلقيه رجل فسلم عليه، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى أقبل على الجدار فمسح وجهه ويديه ثم رد عليه السلام[٣].

فَضْلُ الطَّهَارَة وَالوضُوءِ وَالمحَافَظَةِ عَلى ذَلك:

١١٤ ــ مسلم عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ــ أو تملأ ــ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[٤].

١١٥ ــ وعن عثمان رضي الله عنه أنه توضأ، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة له».

المنة (١/ ٩٦ ــ ٩٨) والدعاء للطبراني برقم (٣٨٨ ــ ٣٩١)، والتلخيص الحبير (١/ ١٠١).

(١) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٣٤٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٣٣٨)، ومسلم (٣٦٨/ ١١٢).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٧)، ومسلم (٣٦٩). قوله: «أبو الجهم»، كذا وقع في «صحيح مسلم» وهو خطأ. والصواب: «أبو الجهيم» بالتصغير كما في «صحيح البخاري» وغيره. وانظر: «فتح الباري» (١/ ٥٢٧).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٥/ ٥ ــ ٦)، والدارمي برقم (٦٥٣)، وأبو عبيد في «كتاب الطهور» برقم (٣٧) وغيرهم.

١١٦ ــ وعن حمران ــ أيضاً ــ قال: دعا عثمان بوضوء وهو يريد الخروج إلى الصلاة في ليلة باردة، فجئته بماء فغسل وجهه ويديه، فقلت له: حسبك فقد أَسبَغْتَ والليلة شديدة البرد، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» ذكره أبو بكر بن أبـي شيبة في مسنده. قوله: «قد أسبغت» يقول: يجزئك مرة واحدة لا أنه يجزئه غسل وجهه ويديه.

١١٧ ــ وذكر مسلم عن عثمان بن عفان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من أظفاره».

١١٨ ــ وعن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم ــ أو المؤمن ــ فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ــ أو مع قطر الماء ــ فإذا غسل يديه خرج من يده كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء ــ أو مع آخر قطر الماء ــ فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ــ أو مع آخر قطر الماء ــ حتى يخرج نقياً من الذنوب»[١].

١١٩ ــ وذكر أبو داود من حديث عمرو بن عبسة، عن النبـي ﷺ أنه قال: «إذا توضأت فغسلت يديك خرجت خطايا يديك من أطراف أناملك مع الماء، فإذا غسلت وجهك ومضمضت واستنثرت خرجت خطايا وجهك وفيك وخياشيمك مع الماء، فإذا مسحت رأسك وأذنيك خرجت خطايا رأسك وأذنيك من أطراف شعرك مع الماء، وإذا غسلت رجليك خرجت خطايا رجليك وأناملك مع الماء، فإذا صليت فحمدت ربك بما هو أهله انصرفت من خطيئتك كيوم ولدتك أمك»[٢]. في حديث عمرو بن عبسة هذا زيادة كثيرة من نوع آخرها ذكرها:

١٢٠ ــ مسلم بن الحجاج عن عمرو بن عبسة السلمي، قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، قال: فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً وجرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: من أنت؟ قال: «أنا نبـي» قال: وما نبـي؟ قال: «أرسلني الله» قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء». قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حُرٌّ وعَبد»، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به، فقلت له: إني متبعك، قال: «إنك لا

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٤)، والترمذي (٢)، وغيرهما كثير.

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبـي شيبة برقم (٤٣)، وأبو عبيد في «الطهور» برقم (١٣)، وغيرهما.

تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني» قال: فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم عليَّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة، فقالوا: الناس إليه سراعٌ، وقد أراد قوم قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدم المدينة فدخلت عليه، فقلت له: يا رسول الله، أتعرفني؟ قال: «نعم، أما أنت الذي لقيتني بمكة» قلت: بلى، فقلت: يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة، قال: «صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم اقصر عن الصلاة فإن حينئذٍ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محصورة حتى يصلى العصر، ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذٍ يسجد لها الكفار» قال: قلت: يا رسول الله، فالوضوء حدثني عنه. قال: «ما من رجل مسلم يُقربُ وضوءه، فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرجت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرجت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرجت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرجت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئة يوم ولدته أمه». زاد أبو داود في الوضوء في هذا الحديث ذكر الأذنين[1].

١٢١ ــ وذكر مسلم بن الحجاج عن نعيم بن عبد الله المجمر، قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمين حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ. وقال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم الغُرُّ المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله»[2].

١٢٢ ــ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ترد عليَّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله» قالوا: يا نبي الله، تعرفنا؟ قال: «نعم لكم سيماء ليست لأحد غيركم، تردون عليَّ غُراً محجلين من آثار الوضوء، وليصرف عني

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٨٣٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).

طائفة منكم فلا يصلون، فلأقولن: يا رب، أصحابـي، فيجيئني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟»[1].

١٢٣ ــ وعن أبـي هريرة ــ أيضاً ــ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنَّا قد رأينا إخواننا الذين لم يأتوا بعد» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجله بين ظهري خيل دُهم بُهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «فإنهم يأتون غُراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليُذادن برجالٍ عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»[2].

١٢٤ ــ وعن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»[3].

١٢٥ ــ وذكر مالك بن أنس من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعملوا وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[4].

فَضْلُ الوُضُوءِ في البَرْدِ:

١٢٦ ــ ذكر الترمذي عن معاذ بن جبل، قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراء أعين الشمس، فخرج سريعاً فَثَوَّبَ بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجاوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته، فقال لنا: «على مصافكم كما أنتم» ثم انفتل إلينا، فقال: «أما إني سأحدثكم بما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر الله لي فنعست في صلاتي حتى اشتغلت، فإذا أنا بربـي ــ تبارك

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٤٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٤٩)، ومالك (١/ ٤٩ ــ ٥٠)، والنسائي (١/ ٧٩)، وابن ماجه (١٥٤٦)، وأحمد (٢/ ٣٠٠)، وأبو بكر المروزي في «زيادات كتاب الطهور» برقم (٣٥)، والبيهقي (٤/ ٧٨)، وغيرهم.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٠). والنسائي (١/ ٩٣).

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٧٧)، والدارمي (٦٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٧٦ ــ ٢٧٧)، وابنه في «زوائد الزهد» (ص٢١٤)، وابن المبارك في «الزهد» برقم (١٠٤٠)، والطيالسي برقم (٩٩٦)، والطبراني في «الصغير» برقم (٩٨٨، ٩٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٣٠)، وأبو بكر المروزي في «زيادات كتاب الطهور» برقم (٢١)، والبيهقي (١/ ٨٢)، وفي «الأربعون» برقم (٢١، ٢٢)، وغيرهم وهو مخرج في «كتاب الطهور» فانظره غير مأمور.

وتعالى ـــ في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، قالها ثلاثاً، قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، فقلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوجوه حين الكريهات. قال: فبم؟ قلت: قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيامٌ. قال: سل، قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت في قوم فتنة فتوفني غير مفتون، أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك» قال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها ثم تعلموها»[1].

قوله عليه السلام: «**إسباغ الوضوء حين الكريهات**» يعني في شدة البرد، وقد جاء في حديث آخر: «الوضوء في السُرات» والسُرةُ: شدة البر، والجمع سُرَاتٌ.

١٢٧ ـ ويروى في أخبار الصالحين ما ذكر عن داود بن رشيد[2] رحمه الله تعالى قال: قام أخ لي إلى ما وهب الله له من جوف الليل، وكانت ليلة شاتية كثيرة البرد، فتوضأ وأسبغ وضوءه، فضربه البرد ـــ وكان رث الثياب ـــ فقام في محرابه وبكى من شدة البرد، ثم إنه سجد فذهب به النوم في سجوده، فهتف به هاتفٌ أنمناهم وأقمناك، فجزاؤك أن تبكي علينا ما أقل شكرك لنا.

وقد تكون الكريهات أيضاً، المرض، وما يشق على المتوضىء الوضوء معه.

بابُ أَعْمَالِ الفِطْرَةِ

١٢٨ ـ ذكر مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الفطرة خمسٌ: الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط».

١٢٩ ـ عن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب، وأوفروا اللحى[3]».

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٥/ ٢٤٣)، والترمذي (٣٢٨٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢١٨ ـ ٢١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج٢٠ برقم ٢١٦). ولهذا الحديث شرح لابن رجب أسماها «اختصام الملأ الأعلى».

(٢) هو: أبو الفضل الخوارزمي داود بن رشيد، سمع إسماعيل بن جعفر وطبقته، وكان ثقة، وامتنع من الرواية، مات في شعبان سنة ٢٣٩هـ. انظر: «العبر» للذهبي (١/ ٣٣٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٣١٧).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٨٨٩، ٥٨٩١، ٦٢٩٧)، ومسلم (٢٥٧)، وأحمد (٢/ ٢٢٩، ٢٣٩،=

١٣٠ ــ وذكر النسائي من حديث زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»[١].

١٣١ ــ وذكر مسلم عن أنس بن مالكٍ، قال: «وُقِّتَ لنا في قص الشارب، وحلق العانة، ونتف الإبط، أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة». وقال الترمذي: «وقت لنا رسول الله ﷺ»[٢].

١٣٢ ــ وذكر البخاري عن سعيد بن جبير، قال: سئل ابن عباس مثل من أنت حين قبض رسول الله ﷺ؟ قال: «أنا يومئذ مختونٌ»[٣] قال: وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك.

قد علمت رحمك الله تعالى أن هذه الطهارة التي تقدم ذكرها منها مفروض، ومنها مسنون، ومستحب، ويتفرع فروع ترجع إليها وتبني عليها ليس هذا موضع ذكرها، وهذه الطهارة التي هي الوضوء من الحدث، والاغتسال من الجنابة، والتيمم عند عدم الماء؛ طهارة ظاهرة لا تقبل الصلاة إلا بها، ولا تسمى صلاة دونها، فإذا تطهر العبد بهذه الطهارة الظاهرة للصلاة احتاج إلى طهارة أخرى باطنة لا تكون الصلاة مقبولة بتلك الطهارة إلا بهذه الطهارة الباطنة، وهي تطهير القلب بالإيمان بالله، والتصديق بما جاء به رسول الله ﷺ أولاً، ثم بإخلاص العمل لله ثانياً، ولا يكون الإخلاص إلا بعد الإيمان، وإذا كان الإيمان ولم يكن الإخلاص لم يكن للصلاة معنىً لأنه من عمل لغير الله لم يكن له شيء عند الله، ويقال له: اطلب ثواب عملك ممن له عملت، و ممن له انتصبت، وإذا كانت الصلاة بالطهارة الظاهرة والباطنة انتفع بها صاحبها، وانتظر ثوابها، وكان له بها اكتساب ودرجات أو تكفير سيئات، وسواء كان صاحبها صاحب كبائر أو صاحب صغائر، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره.

ويجب أيضاً على العبد المتطهر بهاتين الطهارتين طهارة ثالثة، وهي تطهير القلب والجوارح من كل شيء يكرهه الله عزّ وجلّ من عقدٍ فاسدٍ، أو قصدٍ إلى معصيةٍ صغيرة أو

٢٨٣، ٤١٠، ٤٨٩)، وأبو داود (٤١٩٨)، والترمذي (٢٧٥٦)، والنسائي برقم (٩)، وابن ماجه (٢٩٢)، وغيرهم كثير.

(١) صحيح: أخرجه النسائي (١٣)، وأحمد (٤/ ٣٦٦، ٣٦٨)، والترمذي (٢٧٦١)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» برقم (٢٦٤). وغيرهم كثير.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥١/٢٥٨)، والترمذي (٢٧٥٩)، والنسائي (١٤)، وابن ماجه (٢٩٥)، وعلي بن الجعد في «مسنده» برقم (٣٤١٧)، والبيهقي (١/ ١٥٠)، وغيرهم.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٦٢٩٩ ــ ٦٣٠٠).

كبيرة، فإذا كانت هذه الطهارة كانت الصلاة مقبولة موفَرةً على صاحبها يأخذها بكمالها، ويستوفيها بتمامها، إذا أتى بها على حدودها وحضر قلبه فيها، وَإلاَ كتب له منها ما عقد وحضر فيها قلبه، وسيأتي هذا إن شاء الله.

وإذا كان العبد متطهراً بهذه الطهارة، متنظفاً من أقذار الخطيئات، وأدناس المخالفات متحلياً بالفضائل، منزهاً عن القبائح والرذائل، كان جميلاً عند الله عزّ وجلّ مقرباً منه، مكرماً لديه، وإن كان قبيح الوجه، بشع المنظر، دنس الثياب، وكما أنه لم يكن متطهراً بهذه الطهارة كان قبيحاً عند الله مهاناً لديه، بعيداً عنه، مفرداً منه، وإن كان جميل الوجه، مليح المنظر، نظيف الثياب، فالجمال بالخلق والفعال، لا بالبدن والمال.

وطهارة رابعة: وهي طهارة القلب عن التعلق بشيء سوى الله عزّ وجلّ والنظر إلى غيره، أو الالتفات إلى من هو دونه، وإن كان ذلك مباحاً، وهذه طهارة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ولا مطمع فيها، وقد أدخل بعض العلماء في هذه الطهارة الصديقين والله أعلم. وللكلام في هذا موضع آخر.

ولعلك تقول: قد ورد عن النبي ﷺ في فضل الوضوء ما ورد من تكفير الخطايا، وتمحيص الذنوب، وأن العبد إذا توضأ فغسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من أشفار عينيه، وكذلك إذا غسل يديه، ومسح رأسه، وغسل رجليه، وهذه الجوارح هي التي تتصرف في الأعمال من خيرٍ وشرٍ، وهي الممتثلة أمر القلب، الخادمة له، المتصرفة بين يديه، وإذا كان هذا فأي ذنب يبقى على العبد، وأي خطيئة تقيم معه، وإذا كان هذا كله في الوضوء فما ظنك بالصلاة، وهل تكون إلا كما قال ﷺ في الحديث الآخر، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد فاضلة، فأقول: نعم قد وردت هذه الأحاديث كما علمت وليست كما ظننت، والوضوء والصلاة لا يكفران الكبائر والجرائم، ولا البدعة، ولا الاعتقاد المخالف للسنة، فكيف الوضوء وحده، هذه ذنوب لا يكفرها إلا التوبة، أو أعمال الخير تزيد عليها ولو ذرة، وترجح بها عند الموازنة ولو بمثقال حبةٍ، وإنما يكفر الوضوء والصلاة الصغائر، وهي التي وعد فيها بالمغفرة عند اجتناب الكبائر، وهي الزلات والفلتات التي تكون بين الوضوء، والوضوء والصلاة، والصلاة ما لم يأت فيه حدٌّ، ولا جاء فيه وعيدٌ، والله أعلم بالصغائر وحقيقتها، والدليل على أن الكبائر لا تكفر إلا بالتوبة أو الموازنة:

١٣٣ ــ قول النبي ﷺ عن المؤمنين: «إنهم يقولون يوم القيامة في طائفة من المعذبين من أمته كانوا يصلون معنا ويصومون، ويحجون». غير أن النص قد جاء في الصلوات.

١٣٤ ـ قال النبـي ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[١]. ولا يحتاج مع هذا إلى كلام، وهو حديث صحيح ذكره مسلم بن الحجاج. والله تعالى يغفر لمن يشاء، ويعفو عمن يشاء، ويعوض عمن يشاء بما يشاء، وهو خير الغافرين وأرحم الراحمين.

ومع هذا فكما تقول العرب: عَشِّ ولا تَغْتَرَّ[٢]، استقم كما أمرت أَدِ ما فرض عليك، وسارع إلى ما نُدبت إليه، ولا تبق مطلق العنان سائحاً فيما شئت من ميدان، ثم تنتظر المغفرة بالعصيان، والتجاوز بالتمرد والطغيان، والله تعالى يستمر لي ولك، ويعطف عليَّ وعليك برحمته وكرمه.

وقد علمت وفقنا الله وإياك أن الطهارة للصلاة إنما هي تأهبٌ وتنظفٌ لوقوفك بين يدي الله عزّ وجلّ وحضور قلبك معه، وتفرغك لمناجاته، وإقبالك على سماع كلامه، فانظر كيف تتطهر، وبماذا تتطهر، وبين يدي من تريد أن تقوم.

١٣٥ ـ وكان علي بن الحسين بن علي بن أبـي طالب رضي الله عنهم إذا توضأ للصلاة يتغير لونه، ويصفر، ويحمر، ويرعد، فقيل له في ذلك فقال: أما تعلمون بين يدي من أريد أن أقوم، وعلى من أريد أن أدخل، ومن أريد أن أخاطب.

١٣٦ ـ وكان عطاء رحمه الله تعالى إذا فرغ من وضوئه انتفض وارتعد وبكى، فقيل له في ذلك، فقال: إني أريد أن أقوم إلى أمرٍ عظيمٍ، أريد أن أقف بين يدي الله عزّ وجلّ.

١٣٧ ـ وتوضأ منصور بن زاذان يوماً، فلما فرغ بكى حتى ارتفع صوته، فقيل: ما شأنك يرحمك الله؟ فقال: وأي شأن أعظم من شأني، إني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، ولعله أن يعرض عني.

فهذه حال علي بن الحسين، ومن كان مثله لم يكن إلا بإكمال الطهارة، وإذا لم تتطهر إلا بالطهارة الظاهرة وأغفلت الطهارة الباطنة، كيف تصلح لذلك المقام، أو كيف تصغي لسماع ذلك الكلام، أو كيف تقدر على إحضار قلبك في بعض صلاتك، فكيف في كلها.

فعليك رحمك الله تعالى بالتنزه عن تلك الأخلاق المذمومة وإزالتها عن الأخلاق المحمودة، وتطهير المحل عما دَقَّ منها وجل تنظيفه للمثول بين يدي الله عزّ وجلّ وهو

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٣٣)، والترمذي (٢١٤).

(٢) المثل في «الكامل» للمبرد (١/ ٢٠٥)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٣٤٠)، وأصل المثل فيما يقال: أن رجلاً أراد أن يُقَوِّزَ بإبله ليلاً، واتّكلَ على عشب يجده هناك، قيل له: وعَشِّ ولا تغتر «بما لست منه على يقين» اهـ.

المسؤول تعالى أن يطهر قلوبنا بماء اليقين، وأن يقبسنا من نوره المبين إنه عليه يسير، وهو على كل شيء قدير.

ذِكرُ الصَّلاةِ المَفرُوضَةِ، وَعَددها، وَابتِدَاؤهَا

وقد أمر الله عزّ وجلّ بإقامتها في كتابه، وذكرها في غير موضع منه، وذكر المقيمين لها، والمحافظين عليها، وتوعد على تركها، والتفريط فيها، قال تبارك وتعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ [طه: ١٤]. وقال عزّ وجلّ: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [البقرة: ٤٣]. وقال سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم﴾ [الحج: ٧٧]. وقال تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون: ٩ ــ ١١]. وقال في التاركين لها: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون: ٣ ــ ٤].

١٣٨ ــ وذكر أبو داود في كتاب السنن بإسناده إلى عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمس صلوات فرضهن الله على العباد، من أحسن وضوءهن، وصلاتهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه»[١].

١٣٩ ــ وذكر البخاري بإسناده إلى طلحة بن عبيد الله، أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني بما فرض الله عليَّ من الصلاة، قال: «الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً». قال: فأخبرني بما فرض الله عليَّ من الصيام، قال: «شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً». قال: فأخبرني بما فرض الله عليَّ من الزكاةَ، قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام. قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق ــ أو دخل الجنة إن صدق»[٢].

أراد عليه السلام: أفلح إن لم ينقص مما فرض الله عليه شيئاً، وأما الزيادة فبحسب ما تزيد تزاد إذا كانت الزيادة على سنة. وقد ندب عليه السلام إلى كثير من الصلوات، وحض على كثير من الصدقات، ورغب في كثير من الصيام، والله عزّ وجلّ لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

١٤٠ ــ وذكر مسلم بن الحجاج بإسناده عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٤٢٥)، وغيره من أصحاب السنن والمسانيد.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦، ٢٦٧٨)، ومسلم (١١).

«أُتيتُ بالبراقِ أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبتُ حتى أتيتُ بيتَ المقدس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناءٍ من خمرٍ، وإناءٍ من لبنٍ، فاخترت اللبن، قال جبريل عليه السلام: اخترت الفِطْرَةَ. قال: ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم ﷺ فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، فرحبا ودعوا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: بعث إليه. قال: ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أعطى شطر الحُسْنِ، قال: فرحب ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا بإدريس عليه السلام فرحب ودعا لي بخير. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ورفعناه مكاناً عليّاً﴾ [مريم: ٥٧]. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ فرحب ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلل، قال: فلما غشيها من أمر الله عزّ وجلّ ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يريد أن ينعتها من حسنها، فأوحى إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يومٍ وليلةٍ، فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بَلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب فخفف على أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً. قال: إن أمتك لا يطيقون

ذلك، فارجع إلى ربك فسله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات في كل يوم وليلةٍ بكل صلاةٍ عشر فلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: «قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»[1].

بابُ مَكَانِ الصَّلاةِ من الإِسْلاَم، ومَا جَاء أَنَّها أَوَلُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مَن دَخَل في الإِسْلاَم، وَأَنَها أَوَلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العبْدُ يومَ القِيامة

١٤١ ــ ذكر الإمام أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى معاذ بن جبل، قال: كنت مع رسول الله ﷺ فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولاتشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل» ثم تلا: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ: ﴿يعملون﴾ [السجدة: ١٦]. ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». وذكر الحديث[2].

جعل عليه السلام الصلاة من الإسلام بمكان العمود من بيت الخباء الذي لا يقوم البيت إلا به.

١٤٢ ــ وقال عليه السلام لبسر بن محجن ــ وكان قد قعد والناس يصلون ــ ما منعك أن تصلي مع الناس ألست برجلٍ مسلم؟ قال: بلى يا رسول الله، ولكن قد صليت في أهلي فقال له رسول الله ﷺ: «إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت»، أنكر عليه الإسلام أن يكون المسلم لا يصلي. ذكر الحديث مالك في الموطأ[3].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩/ ١٦٢). قوله: الفطرة: أي الإسلام والاستقامة. وعرج: أي: صعد. قوله: السدرة المنتهى: سُميت بهذا لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلاّ رسول الله ﷺ. والقلل: جمع قلة، والقلة: جرة كبيرة تسع قربتين أو أكثر.

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق (٢٠٣٠٣)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» برقم (١١٢)، وغيرهم كثير.

(٣) صحيح: أخرجه مالك (ص١٠٢ برقم ٩)، والنسائي (٢/ ١١٢)، وأحمد (٤/ ٣٤)، وابن ماجه برقم =

١٤٣ ــ وذكر البخاري من حديث ابن عباس، قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى أهل اليمن، قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتابٍ، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله عزّ وجلّ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم»، وذكر الحديث(١).

١٤٤ ــ وذكر مسلم بن الحجاج، عن طارق بن أشيم، قال: «كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني وارزقني»(٢).

١٤٥ ــ وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيءٌ قال الرب تبارك وتعالى: انظروا، انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك»(٣).

بابُ المُحَافَظة عَلى الصَّلاةِ وَوَصيَّة النَّبـي ﷺ عِندَ مَوته

قال الله تبارك وتعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ [البقرة: ٢٣٨].

١٤٦ ــ وذكر أبو داود، عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: إني فرضت على أمتك خمس صلواتٍ، وعهدت عندي عهداً أنه من جاء بهن فحافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ فلا عهد له عندي»(٤).

١٤٧ ــ وذكر أحمد بن حنبل، بإسناده من حديث كعب بن عجرة، قال: بينما نحن جلوس في مسجد رسول الله ﷺ مُسندةٌ ظهورنا إلى قبلة مسجده سبعة رهط أربعة من موالينا وثلاثة من عُربنا، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ صلاة الظهر حتى انتهى إلينا، فقال: «ما يجلسكم هٰهنا؟» قلنا: يا رسول الله ننتظر الصلاة، قال: فَارمَّ قليلاً ثم رفع رأسه فقال: «تدرون ما يقول ربكم تبارك وتعالى؟ يقول: من صلى صلاةً لوقتها وحافظ عليها ولم يضيعها

= (٤٣٣ ــ موارد)، وعبد الرزاق برقم (٣٩٣٣)، والحاكم (١/ ٢٤٤)، والبيهقي (٢/ ٣٠٠)، والبغوي برقم (٨٥٦)، وغيرهم.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٥٨، ١٤٩٦)، ومسلم برقم (٢٩/ ١٩)، وأبو داود (١٥٨٤)، والترمذي (٦٢٥)، والنسائي (٥/ ٢)، وابن ماجه (١٧٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٧).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٤١٣)، وغيره من أصحاب السنن والمسانيد.

(٤) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (٤٣٠)، وفيه بقية مدلس وقد عنعنه. وشيخه ضبارة الألهاني مجهول.

استخفافاً بحقها فله عليَّ عهد أن أدخله الجنة، ومن لم يصلها في وقتها ولم يحافظ عليها وضيعها استخفافاً بحقها فلا عهد له عندي إن شئت عذبته وإن شئت غفرت له»[1].

١٤٨ ــ وذكر حميد بن زنجويه في كتاب فضائل الأعمال بإسناده من حديث عبد الله بن عمرو، قال: ذكر رسول الله ﷺ الصلاة يوماً، فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورٌ، ولا برهانٌ، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان»[2].

١٤٩ ــ وذكر أبو داود في كتاب السنن من حديث أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ من جاء بهن دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس، على وضوئهن وركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدى الأمانة» قالوا: يا أبا الدرداء، وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة[3].

١٥٠ ــ وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عماله: «إن أهم أموركم عندي الصلاة، وما ملكت أيمانكم» فجعل يقولها وما يفيض في أي ما يبين لثقل لسانه.

بابُ فَضلِ الصَّلاةِ، وَقَولِ اللّهِ عَزَّ وَجَل: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنهى عَنْ الفحشاءِ والمنكَرِ﴾

١٥١ ــ يروى عن أبي هريرة، قال: قيل لرسول الله ﷺ إن فلاناً يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق، فقال: «سينهاه ما يقول»[4] يريد عليه السلام أن المصلي على الحقيقة، المحافظ على صلاته، الملازم لها تنهاه صلاته عن ارتكاب المحارم، والوقوع في الجرائم، ولا يسمى مصلياً، ولا يذكر بصلاةٍ حتى يصلي الصلوات المفروضات، ويأتي بها على

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٤)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» برقم (٣٧١)، والدارمي برقم (١٢٢٩)، والطبراني في «الكبير» (ج١٩ برقم ٣١٤)، وفي سنده إسحاق بن كعب بن عجرة، مجهول.

(٢) ما وجدته عند أحمد (٢/ ١٦٩)، وابن حبان برقم (٢٥٤ ــ موارد)، وغيرهما كثير من حديث ابن عمرو مرفوعاً وفيه: «.....مع قارون وفرعون وأبي بن خلف» وهو حديث حسن، وليس كما هنا: «....فرعون وهامان» والله تعالى أعلم بالصواب. وأما عن هذا الحديث فلم أجده لأحكم على الإسناد؛ والله أعلم.

(٣) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٤٢٩).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد، والبغوي في «حديث علي بن الجعد» برقم (٢٠٦٩).

وجهها، فيرد بها على حدودها.

١٥٢ ــ مسلم عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأن ــ أو تملأ ــ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها» وقد تقدم هذا الحديث في الطهارة.

١٥٣ ــ وذكر البخاري عن عبد الله بن مسعود، أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلةً، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله، ألِي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم»[١].

١٥٤ ــ وذكر الترمذي عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مراتٍ، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات يمحو الله تبارك وتعالى بهن الخطايا»[٢].

١٥٥ ــ وذكر مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل كل يوم خمس مراتٍ»[٣].

١٥٦ ــ وذكر مالك في الموطأ من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: كان رجلان أخوان، فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة، فذكرت فضيلة الأول عند رسول الله ﷺ فقال: «ألم يكن الآخر مسلماً؟» قالوا: بلى يا رسول الله، وكان لا بأس به. فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريكم ما بلغت صلاته، إنما مثل الصلاة كمثل نهرٍ عذبٍ غمرٍ بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات، فما ترون يبقى ذلك من درنه، فإنكم لا تدرون ما بلغت به صلاته» وفي بعض طرق هذا الحديث: فاستشهد أحدهما قبل صاحبه.

١٥٧ ــ وقال عليه السلام: «لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه» يريد بالتهجير لصلاة الظهر.

١٥٨ ــ وذكر مسلم ــ أيضاً ــ عن أبي نضرة الغفاري، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر بالمحمَّصِ، فقال: «إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٦، ٤٦٨٧)، ومسلم (٢٧٦٣) وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦٦٨).

فضيعوها، فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد» والشاهد: النجم[1].

١٥٩ ــ وعن علي بن أبـي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً» ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء[2].

وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، وسمرة بن جندب في أن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ذكراه عن النبـي ﷺ.

١٦٠ ــ وذكر أبو داود عن معاذ بن جبل، قال: لقينا رسول الله ﷺ في صلاة العتمة، فتأخر حتى ظن الظان أنه ليس بخارجٍ، والقليل منا صلى، فإنّا لكذلك حتى خرج النبـي ﷺ فقالوا كما قالوا، فقال: «اعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم، ولم تصلها أمة قبلكم»[3].

١٦١ ــ وذكر مسلم من حديث ثوبان ــ مولى رسول الله ﷺ ــ عن رسول الله ﷺ قال: «إنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»[4].

وقال عزّ وجلّ في صفة من ارتضاه واختاره من خلقه واصطفاه: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [الفتح: ٢٩].

١٦٢ ــ وذكر مسلم عن أبـي هريرة، عن النبـي ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء»[5].

١٦٣ ــ وعنه عن النبـي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويلتاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»[6].

١٦٤ ــ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: وذكر المعذبين الذين يخرجون بالشفاعة

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٣٠)، والنسائي (١/ ٢٥٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧)، وغيرهما.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤١٧)، وأحمد (٥/ ٢٣٧)، وغيرهما.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٨)، والترمذي (٣٨٦)، وابن ماجه برقم (١٤٢٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٦).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٢)، وأبو داود (٨٧٥)، والنسائي (٢/ ٢٢٦)، وأحمد وابنه في زوائد المسند (٢/ ٤٢١)، وغيرهم.

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٣/ ٨١)، وابـن ماجـه (١٠٥٢).

قال: «يعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود» يريد عليه السلام: تعرفهم الملائكة، وهؤلاء المعذبون هم من أصحاب الكبائر الذين رجحت سيئاتهم، نعوذ بالله من عذابه وعقابه.

١٦٥ ــ وقد ذكر مسلم بن الحجاج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر»[١]. يريد ما لم يوقع في الكبائر.

١٦٦ ــ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهرَ كله»[٢].

في القرآن العزيز: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ [النساء: ٣١]. وفيه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨].

١٦٧ ــ وسُئل ابن عباس رضي الله عنه ما ثواب من سجد لله سجدة؟ فقال: إن أردت أن تعرف ذلك فاعرف عقوبة من سجد للأصنام سجدة. فقال: عقوبة من سجد للأصنام سجدة التخليد في النار. قال: وثواب من سجد لله تعالى سجدة التخليد في الجنة.

١٦٨ ــ وقال أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري[٣]: الذكر طريق إلى المذكور، والعبادة طريق إلى المعبود، والسجود طريق إلى المسجود له.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٣٣). وقوله: «ما لم تغش الكبائر»: أي: ما لم تقصد.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٢٨). وقوله: ما لم يؤت كبيرة: أي: ما لم يعملها، وقال النووي: «معناه أن الذنوب كلها تغفر إلاّ الكبائر، فإنها إنما تكفرها التوبة أو الرحمة». وقوله: وذلك الدهر كله: أي التكفير بسبب الصلاة مستمر في جميع الأزمان، لا يختص بزمان دون زمان، وانتصاب الدهر هنا على الظرفية.

(٣) هو: أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري، صحب يوسف بن الحسين، وابن عطاء، والجريري، وكان عالماً فاضلاً، ونيسابور، وأقام بها مدة، وكان يعظ الناس، ومات بسمرقند بعد الأربعين وثلاثمائة من الهجرة انظر: «الرسال القشيرية» (ص٣١ ــ ط ـ الحلبي).

بابُ مَا جَاء في تَارِكِ الصَّلاةِ

١٦٩ ــ مسلم عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»[١].

١٧٠ ــ النسائي عن بريدة بن حصيب، قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[٢].

١٧١ ــ البخاري عن أبي المليح، قال: كنا مع بريدة في يوم ذي غيم، فقال: بكروا بصلاة العصر، فإن النبي ﷺ قال: «من ترك العصر فقد حبط عمله»[٣].

١٧٢ ــ مسلم عن عبد الله، عن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»[٤]. أي كأنما سلب أهله وماله.

١٧٣ ــ وقال مالك في الموطأ من حديث نوفل بن معاوية: أن رسول الله ﷺ قال: «من فاتته الصلاة فكأنما وتر أهله وماله»[٥] أي كأنما سُلب أهله وماله.

ذهب جملة من الصحابة رضي الله عنهم وممن بعدهم إلى تكفير تارك الصلاة متعمداً، فيتركها حتى يخرج جميع وقتها، منهم عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وجابر، وأبو الدرداء، وكذلك روي عن علي بن أبي طالب. هؤلاء من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم: أحمد بن حنبل، وابن راهوية، وعبد الله بن المبارك، وإبراهيم النخعي، والحكم بن عتيبة، وأيوب السختياني، وأبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو خيثمة زهير بن حرب.

١٧٤ ــ وقال عليه السلام لبسر بن محجن ــ وقد قعد والناس يصلون ــ: «ما منعك أن تصلي مع الناس، ألست برجل مسلم؟» فأنكر عليه السلام أن يكون المسلم لا يصلي، وقد تقدم. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٢/ ١٣٤)، وأحمد (٣/ ٣٨٩).
(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٥/ ٣٤٦)، وغيرهم.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٣، ٥٩٤)، والنسائي (١/ ٢٣).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦).
(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٩ ــ ٤٣٠)، والطيالسي (٢٨٥)، وابن حبان برقم (٢٨٦ ــ موارد)، والنسائي (١/ ٢٣٨) مواصلة في الصحيحين.

وذهب سائر المسلمين من أهل السنة المحدثين وغيرهم، إلى أن تارك الصلاة متعمداً لا يكفر بتركها، وأنه إنما أتى كبيرة من الكبائر، إذا كان مؤمناً بها، مقراً بفرضها. وتأولوا قول النبي ﷺ، وقول عمر، وقول غيره ممن قال بتكفيره كما تأولوا قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ» وغير ذلك مما تأولوه.

ومَنْ قال يقتل تارك الصلاة من هؤلاء، فإنما قال يقتل حداً ولا يتقل كُفراً، وإلى هذا ذهب مالك والشافعي وغيرهما، وفي المسألة كلام أكثر من ذلك.

واعلم رحمك الله أن ترك الصلاة وإن لم يكن كفراً كما قال أولئك رضوان الله عليهم، فإنه من أعظم الأسباب الموصلة للكفر، الداعية إلى شؤم العاقبة وسوء الخاتمة، وأن المتمادي على تركها منكوس القلب، ضعيف الإيمان، واهي الأركان، وربما هجمت عليه منيته وهو كذلك، فاستفز الشيطان ما بيده من إيمانه وأدخله في جملة أوليائه وإخوانه، ونعوذ بالله، ثم نعوذ به من ذلك.

بابٌ في المسَاجِدِ، واتّخاذهَا، وَفَضْلهَا

١٧٥ ـ ويُروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «لولا أن الله يدفع بالغُزاة عمن لا يغزو، وبأهل المساجد عمن لا يدخلها، وبأهل الحاضرة عن أهل البادية، لأتاهم العذاب قبلاً».

١٧٦ ـ مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»[١].

١٧٧ ـ وقال أبو بكر البزار في مسنده: «أحب البقاع إلى الله» بدل البلاد.

١٧٨ ـ وقال الترمذي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ: «من بنى لله مسجداً ـــ صغيراً أو كبيراً ـــ بنى الله له بيتاً في الجنة»[٢].

١٧٩ ـ وقال مسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً مثله في الجنة»[٣].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٧١)، وقوله: «وأبغض البلاد...» وذلك لكثرة ما بها من صخب حلف بالله كذباً، وغير ذلك.

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي برقم (٣١٩)، وهو عبد الرحمن مولى قيس، مجهول، وانظر تعليق الشيخ شاكر على سنن الترمذي (٢/ ١٣٥).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

١٨٠ ــ وذكر أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأن تطيب وتنظف»[١] الدور: هي القبائل والمحال.

١٨١ ــ وقال الحكم بن عُتيبة: «من كسح مسجداً كان كصيام يوم، ومن أسرج في مسجد لله كان كصيام يوم» هكذا روي عن قول الحكم.

١٨٢ ــ ومن مراسيل عطاء بن أبي رباح، أن رسول الله ﷺ قال: «إن مهور الحور العين التقاط قمامة المسجد»[٢].

١٨٣ ــ وقد رأى عليه السلام نخامة في المسجد فجعل مكانها عبيراً ــ ذكره مسلم من حديث جابر بن عبد الله[٣].

١٨٤ ــ وذكر أبو داود من حديث المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت عليَّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة أو آية من القرآن أوتيها رجل ثم نسيها»[٤].

١٨٥ ــ وعن أبي الوليد، قال: سألت ابن عمر عن الحصى الذي في المسجد، فقال: مطرنا ذات ليلة، فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يجيء بالحصى في ثوبه فيبسطه تحته، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال: «ما أحسن هذا». لم يكن في المسجد الحصر إنما كانوا يصلون فيه على الأرض وعلى الحصى، فلما ابتل جاءوا بالحصى لم يبتل، أو قد نشف.

١٨٦ ــ وذكر أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أمرت بتشييد المسَاجِدِ»[٥].

١٨٧ ــ وعن سمرة بن جندب، أنه كتب إلى بنيه: «أما بعد: فإن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالمساجد أن نصنعها في ديارنا، ونصلح صنعتها ونطهرها»[٦].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٥٥)، وأبي يعلى برقم (٤٦٩٨)، وابن حبان برقم (١٦٣٢ ــ إحسان)، و(٣٠٦ ــ موارد).

(٢) ضعيف: وذلك لأنه مرسل.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٠٥ ــ ٢٣٠٦) ط الحلبي.

(٤) ضعيف: وذلك لأن المطلب لم يسمع من أنس وانظر «الترغيب والترهيب» (١/ ١١٩).

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٤٤٨)، وبقيته: «قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى».

(٦) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (٧٠٢٦ ــ ٧٠٢٧) من حديث سمرة بن جندب. =

١٨٨ ــ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»[١].

١٨٩ ــ وعن ميمونة ــ مولاة النبي ﷺ ــ أنها قالت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس قال: «ائتوه فصلوا فيه ــ وكانت البلاد إذ ذاك حرباً ــ فإن لم تأتوه فتصلوا فيه، فابعثوا بزيت يسرج في قناديله»[٢].

إنما أمر عليه السلام بالصلاة فيه، وبعث الزيت إليه إذا فتحه المسلمون، وقد فتحوه في زمن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وعمروا مائتين من السنين.

بَابُ كَرَاهيَةِ البَيْعِ وَالشّراءِ فِيهَا، وَإِنْشَاءِ الضَالَّةِ:

١٩٠ ــ ذكر النسائي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا رد الله عليك»[٣].

١٩١ ــ وذكر مسلم من حديث بريدة بن حصيب، أن رجلاً أنشد ضالة في المسجد، فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر، فقال رسول الله ﷺ: «لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما بنيت له»[٤].

مَا يقُول عِنْدَ دُخُولِ المسجدِ، وَالرّكُوع لمن دَخَلهُ:

١٩٢ ــ ذكر النسائي عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم

=وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٧١) من حديث رجل من أصحاب رسول الله ﷺ. وكذا رواه أبو داود برقم (٤٥٦) من حديث سمرة.

(١) **صحيح**: هذا اللفظ من حديث أنس، كما عند أبي داود (٤٤٩)، والنسائي (٢/ ٣٢) وابن ماجه (٧٣٩)، وأحمد (٣/ ١٣٤، ١٤٥، ١٥٢، ٢٣٠، ٢٨٣)، والدارمي برقم (١٤٠٨)، وأبي يعلى برقم (٢٧٩٨)، وابن حبان برقم (٣٠٧ ــ ٣٠٨) موارد والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٣٩)، وغيرهم.

(٢) **منكر جداً**: هكذا قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٩٠)، ورواه أحمد (٦/ ٤٦٣)، وأبو داود (٤٥٣)، وابن ماجه (١٤٠٧)، وغيرهم.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٣٢١)، والنسائي في «عمل اليوم» برقم (١٧٦)، والدارمي (١٤٠١)، والحاكم (٢/ ٥٦)، وغيرهم.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم برقم (٥٦٩). وقوله: «من دعا إلى الجمل الأحمر» أي: من وجد ضالتي، وهو الجمل الأحمر، فدعاني إليه، وفي الحديث ترهيب لهذه الفعلة، وذلك لأن المساجد بُنيت لذكر الله والعلم، والصلاة، والله أعلم.

المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل اللهم باعدني من الشيطان»[١].

١٩٣ ــ وفي كتاب مسلم: «وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[٢] وليس فيه ذكر النبي ﷺ في الموضعين.

١٩٤ ــ وذكر مسلم عن أبي قتادة، قال: دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس بين ظهراني الناس فجلست، فقال النبي ﷺ: «ما منعك أن تركع ركعتين قبل أن تجلس؟» فقلت: يا رسول الله، رأيتك جالساً والناس جلوسٌ. قال: «فإذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين»[٣].

مَا جَاء في البُزَاق في المَسْجِدِ:

١٩٥ ــ مسلم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها»[٤]. ليس في هذا الحديث إباحة البزاق في المسجد وإنما فيه إذ وقع فكفارته دفنه.

١٩٦ ــ وذكر أبو بكر البزار في مسنده من حديث ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «تُبعث النُخامة في القبلة يوم القيامة وهي في وجه صاحبها»[٥].

مُلاَزَمـةُ المسْجـدِ:

١٩٧ ــ ويروى عن عيسى ابن مريم عليه السلام: «الزموا المساجد، واجعلوا بيوتكم كمقيل المسافر ومبيته».

١٩٨ ــ وذكر الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان» قال الله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ [التوبة: ١٨][٦] الآية.

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» برقم (٩٠)، وعنه تلميذه ابن السني في «اليوم والليلة» برقم (٨٦)، وابن ماجه (٧٧٣)، وابن خزيمة (٤٥٢) وغيرهم.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٧١٣).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري، ومسلم (٧١٤/ ٧٠)، وغيرهما.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢).

(٥) ضعيف: أخرجه البزار برقم (٤١٣ ــ كشف)، وفيه عاصم بن عمر، ضعيف، وانظر: «مجمع الزوائد» (٢/ ١٩).

(٦) ضعيف: في سنده دراج أبي السمع، ضعيف الحديث. وانظر: «الترغيب والترهيب» (١/ ١٣١ ــ =

١٩٩ ــ أبو بكر البزار في المسند عن أبـي الدرداء، سمعت النبـي ﷺ يقول: «ضمن الله لمن كانت المساجد بيته الأمن والجواز على الصراط يوم القيامة»[١].

٢٠٠ ــ وروى أبو هريرة عن النبـي ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قال: «ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه» ذكره البخاري[٢] وغيره.

٢٠١ ــ وروي عن حاتم الأصم، أنه قال: «يصبح الناس كل يوم على ثلاث فرق: فرقة طردوا من باب الخالق، وفرقة طردوا من خدمته ولم يطردوا من بابه، وفرقة أكرموا بخدمته، فالواجب على الشاكر أن يقول: الحمد لله الذي لم يجعلني من المطرودين عن بابه وهم الكفار، ولا من المطرودين عن خدمته وهم الفساق، وجعلني من المكرمين بخدمته وهم أهل المساجد».

وقال بعض العلماء: إذا ضرب الناقوس في الأرض، ودعي بدعوى الجاهلية، وعملت الكبائر غضب الرب عزّ وجلّ فإذا نظر إلى صبيان المكاتب ورأى عُمَّار المساجد، وسمع أصوات المؤذنين حَلمَ وغَفَرَ، قال تعالى: ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ [الإسراء: ٤٤].

فَضْلُ صَلاَةِ الجَماعَة وفَضْلُ المشيِ إليهَا وَانتِظَارها:

٢٠٢ ــ قال الحسن البصري رضي الله عنه: «إن منعته أُمُّه من شهود العشاء شفقة عليه لم يُطعها».

٢٠٣ ــ وقال يزيد بن أبان الرقاشي: «فاتتني صلاة في جماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولدٌ لعزاني أكثر من عشرة الآن، وذلك لأن مصيبة الدنيا أشد على الناس من مصيبة الدين».

وفاتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة العصر في جماعة فتصدق بأرضٍ قيمتها مائة ألف درهمٍ. وكان ابنه عبد الله بن عمر إذا فاتته صلاة جماعة أحيا تلك الليلة.

٢٠٤ ــ وقال سعيد بن المسيب: «منذ أربعين سنة ما لقيت الناس منصرفين من صلاة الجماعة». يريد أنه لم تفته صلاة في جماعة منذ أربعين سنة.

= ١٣٢).

(١) صحيح: وانظر: «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٢)، و«الترغيب» (١/ ١٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، قوله: سبعة: أي سبعة أصناف من الناس وقلبه معلق بالمساجد: أي محب لها، منتظر للصلاة فيها.

٢٠٥ ــ وقال وكيع بن الجراح: «إذا رأيتم الرجل تفوته صلاة الجماعة ولا يغمه ذلك فاغسلوا أيديكم منه».

٢٠٦ ــ وقال الحسن البصري: «إذا فاتت أحدكم صلاة الجماعة فليسترجع فإنها مصيبة».

٢٠٧ ــ مسلم عن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أثقل صلاةٍ على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن كُبر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجالٍ معهم حزمٌ من حطبٍ إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار». وزاد في طريق آخر: «ولو علم أنه يجد عظماً سميناً لشهدها»[١] يعني صلاة العشاء.

٢٠٨ ــ وذكر أبو داود عن أبـي المليح، عن يزيد بن الأصم، عن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد هممت أن آمر فتيتي فيجمعوا حزماً من حطبٍ، ثم آتي قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم» قلت ليزيد: يا أبا عوف الجُمعة عَنَى أو غيرها؟ فقال: صمتا أذناي إن لم أكن سمعت أبا هريرة يأثره عن رسول الله ﷺ ما ذكر جمعة ولا غيرها[٢].

٢٠٩ ــ وقال مسلم من حديث عبد الله بن مسعود، عن النبـي ﷺ: «ثم أحرق على قوم يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»[٣]. هكذا في حديث ابن مسعود، وليس في شيء من طريق أبـي هريرة فيما أعلم ذكر الجمعة.

٢١٠ ــ وذكر مسلم عن أبـي هريرة، قال: أتى النبـي ﷺ رجلٌ أعمى، فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له أن يصلي في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم. قال: «فأجب»[٤].

٢١١ ــ وذكر أبو داود عن ابن أم مكتوم أنه سأل النبـي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رجل ضرير البصر، شاسع الدار، ولي قائدٌ لا يلزمني فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم. قال: «لا أجد لك رخصة»[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٥٤٩).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٦٥٢/ ٢٥٤).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٦٥٣).

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٥٣)، وابن ماجه (٧٩٢).

٢١٢ ـ وذكر النسائي عن ابن أم مكتوم، أنه قال: يا رسول الله، المدينة كثيرة السباع والهوام، فقال: «هل تسمع حي على الصلاة، حي على الفلاح؟» قال: نعم. قال: «فحي هلاً» ولم يرخص له(١).

٢١٣ ـ وذكر إسماعيل بن إسحاق القاضي: قال سليمان بن حربٍ: ثنا شعبة، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذرٍ»(٢).

٢١٤ ـ وذكر أبو داود عن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من ثلاثة نفرٍ في قريةٍ، ولا بدوٍ ولا يقام فيها الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية»(٣).

٢١٥ ـ وذكر مسلم عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: «من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حين ينادي بهن، فإن الله عزّ وجلّ شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجدٍ من هذه المساجد إلا كتب الله عزّ وجلّ له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفع بها درجة ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين من المرض حتى يقام في الصف»(٤) يريد بهذا بين الرجلين من المرض. زاد من غير كتاب مسلم: «حتى رأيتنا نقرب بين الخطوِ». وقع هذا في حديث أحمد بن خالد.

٢١٦ ـ وروي عن أنس بن مالك، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى أربعين ليلة في جماعة لم تفته ركعة، كتب الله له براءتين، براءة من النار، وبراءة من النفاق(٥).

قد جاءت هذه الأحاديث في التشديد عن التخلف عن صلاة الجماعة، وهي أحاديث

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٢/ ١٠٩). قوله: «فحيَّ هلًا» هي كلمتان جعلتا كلمة واحدة، فحي بمعنى: أقبل، وهلا بمعنى: أسرع، أي أقبل مسرعاً.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٢/ ١٠٦). وقوله: استحوذ: أي استولى عليهم وحولهم إليه.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٤٥٣).

(٥) ضعيف: أخرجه الترمذي (وقد ضعفه الحافظ في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٧ ـ ٢٨).

مشهورة صحاح، وجاءت أيضاً أحاديث صحاح في إباحة التخلف عنها في المطر، والعذر، والذي يأكل الثوم والبصل والكراث، فمن أخذ بالرخصة فذلك له، ومن تحمل المشقة كان له أجره إلا الذي يأكل هذه البقول نيئة، فلا سبيل له إلى الجماعة ولا يقربها بوجه من الوجوه.

والأحاديث المانعة له من شهود الجماعة مذكورة في كتاب مسلم والبخاري وغيرها من الكتب. وقد كان عليه السلام إذا وجد ريحاً من الرجل أمر به فأخرج من المسجد، وأن طعاماً يمنع أكله من تركه الجماعة ويحرم فضلها من غير ضرورة تدعو إلى أكله لطعام مشؤوم. وإذا رأى فضل تلك الصلاة التي ترك هو قد أخذ غيره علم شؤم ذلك الطعام، ولكنه مباح أكله لمن رضي لنفسه.

٢١٧ ــ مالك عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة»[١].

٢١٨ ــ وذكر أبو بكر بن أبـي خيثمة من حديث عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «صلاة الجمع تفضل على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين صلاة كلها مثل صلاته».

٢١٩ ــ وذكر مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِ بسبع وعشرين درجة»[٢].

٢٢٠ ــ وذكر مسلم عن أبـي هريرة، عن النبـي ﷺ قال: «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه بضعاً وعشرين درجة، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة أو لا يريد إلا الصلاة فلم يخط خطوة إلا رفع الله له بها درجةً وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في صلاةٍ ما كانت الصلاة هي التي تحبسه»[٣] وذكر باقي الحديث.

٢٢١ ــ وعن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»[٤].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ١٦٦)، ومسلم (٢٧٢).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ١٦٥)، ومسلم (٢٤٩).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٦٤٩).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢/ ١١٦)، ومسلم (٤٣٧).

٢٢٢ ــ أبو داود عن أُبيّ بن كعب، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً الصبح، فقال: «أشاهد فلان؟» قالوا: لا. فقال: «أشاهد فلان؟» قالوا: لا. قال: «إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو يعلمون ما فيها لأتوها ولو حبواً على الركب، وأن الصف الأول على مثل صف الملائكة، ولو علمتم ما فضيلته لابتدرتموه، وأن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كثر فهو أحب إلى الله عزّ وجلّ»(١).

٢٢٣ ــ وذكر الترمذي عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد العشاء في جماعة فإن له كقيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلةٍ»(٢).

قد سمعت رحمك الله بهذا الفضل العظيم، والثواب الجسيم في شهود هاتين الصلاتين، فعليك بملازمتهما، والمحافظة عليهما. ولعلك إن كنت صاحب صلاةٍ بالليل تعجل يوماً أو أياماً بالصبح في بيتك، أو تنام قبل الفجر حتى تفوتك صلاة الصبح في الجماعة فتقطع من حيث اتصلت، وتخسر من حيث ربحت.

٢٢٤ ــ روي عن محمد بن صالح رحمه الله تعالى قال: دخلت صوامع المنقطعين، ومواضع المتعبدين فرأيت فيهم رجلاً يبكي بكاءً عظيماً بنحيب ونشيج، فسألت عنه، فقالوا: هذا كان قد أطال البارحة الصلاة من الليل، فنام اليوم عن صلاة الصبح في الجماعة، فبكى لذلك، فدنوت منه فقلت: أيها الشيخ، إنما تركب مراكب الخوف في بحار الرجاء، وأما في بحار اليأس فلا، فقال لي: أمسك عافاك الله، فلو بكيت الدماء لما كان ما كفرته، انقطع إليه، ثم انقطع عنه، ثم غاص في بكائه ساعة، ثم رفع رأسه إليَّ وقال: ليس بصادق في محبة الله من لم يشتق إلى رضاه قبل المحبين.

٢٢٥ ــ وذكر أبو بكر البزار عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم ــ وهو أعلم بهم ــ كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، فاغفر لهم يوم الدين»(٣).

٢٢٦ ــ وذكر مسلم من حديث أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٥٥٤).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٢١).

(٣) صحيح: وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٢/٣٩٦).

أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها مشياً فأبعدهم، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من ا لذي يصليها مع الإمام»(١).

٢٢٧ ـــ وعن أُبَـيّ بن كعب، قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه، فكان لا تخطئه صلاة. قال: فقيل له ـــ أو فقلت له ـــ لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء؟ قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله». وفي طريق آخر: «لا تخطيه الصلاة مع رسول الله ﷺ»(٢).

٢٢٨ ـــ وعن جابر بن عبد الله، قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا بقرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنقلوا قرب المسجد» قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك. فقال: «بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم»(٣).

٢٢٩ ـــ وعن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلاً في الجنة كلما غدا أو راح»(٤).

٢٣٠ ـــ أبو داود عن بريدة بن حصيب، عن النبـي ﷺ قال: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»(٥).

٢٣١ ـــ وعن أبـي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال: «من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيحة الضحى لا ينصبه إلا إياه، فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين»(٦).

٢٣٢ ـــ وذكر أبو بكر بن أبـي شيبة، عن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥١)، ومسلم (٦٦٢).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٦٦٣). قوله: «لا تخطئه» أي: لا تفوته جماعة في صلاة، وقوله «وفي الرمضاء» أي في الحر الشديد.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٦٦٥). وقوله: «دياركم تكتب آثاركم» معناه الزموا دياركم، فإنكم إذا لزمتموها كتبت آثاركم وخطاكم الكثير إلى المسجد.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٢٢)، ومسلم (٦٦٩). وقوله «نُزلاً» النُزل هو: ما يهيأ للضيف عند قدومه.

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٥٦١).

(٦) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٥٥٨). وقوله: «لا ينصبه» أي: لا يتعبه، والنصب هو: التعب، وهو بفتح النون والصاد المهملة.

يَؤُمَّنَّ عبدٌ المسجد للصلاة، أو الذكر إلا تبشبش الله به كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم»[1].

٢٣٣ ــ أبو داود عن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى المسجد لشيء فهو حظه»[2].

بابُ صِفَةِ المشْي إلى الصَّلاةِ، وَمَن جاءَ إلى المسجدِ فَوَجَد النَّاسَ قَد صَلُّوا، وأَدْرَكَ رُكعَةً مِنَ الصَّلاةِ، وَانتظَار الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ، وَفَضل القعُودِ في المصَلى بَعدَهَا

٢٣٤ ــ قال سفيان الثوري: «الإقبال إلى الصلاة قبل الإقامة توقير للصلاة».

٢٣٥ ــ مسلم عن أبـي قتادة، قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ فسمع جلبةً فقال: «ما شأنكم؟» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة. قال: «فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا، وما سبقكم فأتموا»[3].

٢٣٦ ــ البخاري عن أبـي هريرة، عن النبـي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»[4].

٢٣٧ ــ مسلم عن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ثوب بالصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا، فإن أحدكم إذا يعمد إلى الصلاة فهو في صلاةٍ»[5].

٢٣٨ ــ أبو داود عن كعب بن عجرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه، ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبكن يديه فإنه في صلاة»[6].

٢٣٩ ــ أبو داود عن سعيد بن المسيب، قال: حضر رجلاً من الأصنار الموت،

---

(١) صحيح: والبش: فرح الصديق بالصديق، واللطف في المسألة والإقبال عليه.

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٧٢)، والبيهقي (٣/ ٦٦)، وفي سنده عثمان بن أبـي العاتكة، ضعيف.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٥)، ومسلم (٦٠٣). قوله: «جَلَبَة» أي أصواتاً، وذلك لحركتهم وكلامهم واستعجالهم.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٢/ ١٥١). قوله: «وعليكم بالسكينة» قال العلماء: «والحكمة في إتيانها بسكينة والنهي عن السعي، أن الذاهب إلى صلاة عامدٌ في تحصيلها ومتوصل إليها، فينبغي أن يكون متأدباً بآدابها وعلى أكمل الأحوال».

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٦٠٢/ ١٥٢)، وقوله: «إذا ثوب بالصلاة» معناه: أقيمت، وسميت الإقامة تثويباً لأنها دعاء إلى الصلاة بعد الدعاء بالأذان من قولهم: ثاب إذا رجع.

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٥٦٢).

فقال: إني أحدثكم حديثاً ما أحدثكموه إلا احتساباً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتب الله له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عنه سيئة، فليقرب أو ليبعد، فإن أتى المسجد فصلى في جماعةٍ غفر له، فإن أتى المسجد وقد صلوا بعضاً وبقي بعض صلى ما أدرك، وأتم ما بقي كان كذلك، فإن أتى المسجد وقد صلوا فأتم الصلاة كان كذلك»[١].

٢٤٠ ــ وذكر النسائي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج عامداً إلى المسجد ووجد الناس قد صلوا كتب الله تعالى له مثل من حضرها ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[٢].

٢٤١ ــ وذكر مسلم عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «من أدرك ركعة من الصلاة مع الإمام فقد أدرك الصلاة كلها»[٣]. زاد أبو بكر البزار في مسنده: «إلا أنه يقضي ما فاته» رواه من حديث أبي هريرة ــ أيضاً ــ عن النبي ﷺ.

٢٤٢ ــ وذكر مسلم عن أبي هريرة ــ أيضاً ــ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أحدكم في صلاةٍ ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلاّ الصلاة»[٤].

٢٤٣ ــ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «أحدكم ما قعد ينتظر الصلاة في صلاة ما لم يحدث تدعو له الملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»[٥].

٢٤٤ ــ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال العبد في صلاةٍ ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة، تقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يُحدِثَ»[٦].

٢٤٥ ــ وعنه أن رسول الله ﷺ في حديث ذكره قال: «والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، تُبْ عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يُحْدِث»[٧].

٢٤٦ ــ وذكره أبو بكر البزار في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: صلينا مع رسول الله ﷺ ذات ليلةٍ ــ يريد صلاة المغرب ــ قال: فرجع من رجع

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (٥٦٣)، وفي سنده معبد بن هرمز، مجهول الحديث.

(٢) ضعيف: أخرجه النسائي (٢/ ١١١)، وفيه محصن بن علي ستور.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٨٠)، ومسلم (٦٠٧) ١٦٢.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩/ ٢٧٥).

(٥) ضعيف: أخرجه مسلم برقم (٦٤٩/ ٢٧٦).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦٤٩/ ٢٧٤).

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩/ ٢٧٢).

وعقب من عقب ـــ يريد بقي من بقي ـــ فجاء رسول الله ﷺ قبل أن يثوب الناس إلى صلاة العشاء، فقال: «أبشروا أبشروا، هذا ربكم تبارك وتعالى قد فتح باباً من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى»[1].

٢٤٧ ـ وروى مالك في الموطأ عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»[2].

جعل عليه السلام هذه الأعمال والمداومة عليها مثل ارتباط الخيل في سبيل الله، والمقام في الثغور لجهاد الكفار، وناهيك من هذا شرفاً وفضلاً. والرباط يكون للفارس وغير الفارس.

بابُ إبَاحَةِ خُروجِ النِّساءِ إلَى المسَاجِدِ بالليلِ والنهَارِ ومَنْعهن مِنَ الخرُوجِ إذَا تَطَيّبْنَ

٢٤٨ ـ ذكر مسلم عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا النساء الخروج إلى المساجد بالليل» فقال ابنٌ لعبد الله بن عمر: لا ندعهن فيتخذنه دَغَلاً، فزجره ابن عمر، وقال: أقول قال رسول الله ﷺ وتقول لا ندعهن[3].

٢٤٩ ـ وعنه عن النبـي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»

٢٥٠ ـ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا

---

(١) ضعيف: أخرجه البزار برقم (٤٥٢ ـ كشف)، وفي سنده علي بن زيد ضعيف الحديث، ورواه ابن ماجه برقم (٨٠١)، وفي سنده انقطاع بين أبـي أيوب العتكي وابن عمرو. وانظر: «مصباح الزجاجة في زوائد البخاري» للبوصيري (١/ ٢٨٢).

(٢) صحيح: أخرجه مالك (ص١١٨ برقم ٥٨)، ومسلم برقم (٢٥١). وقوله: «إسباغ الوضوء» أي إكماله وإتمامه واستيعاب أعضائه بالماء. وقوله: «المكاره» جمع مكرهة، بمعنى الكره والمشقة، وقال أبو عمرو: هي شدة البرد، وكل حال يُكره فيها المرء نفسه على الوضوء. وقوله: «الرباط»: ملازمة المسجد لانتظار الصلاة، والرباط أصله في اللغة: الحبس على الشيء، وكأنه حبس نفسه على هذه الطاعة.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٨٩٩)، ومسلم (٤٤٢/ ١٣٨). قوله: «دغلاً» الدغل هو: الفساد والخداع والريبة.

استأذنّكم إليها»[1].

٢٥١ ــ وعنه عن النبي ﷺ قال: «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها»[2].

٢٥٢ ــ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماءكم المساجد إذا استأذنّكم إليها»[3].

٢٥٣ ــ وعن بسر بن سعيد، عن زينب الثقفية ــ امرأة عبد الله بن مسعود ــ قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً»[4].

٢٥٤ ــ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»[5].

٢٥٥ ــ أبو داود عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تفلات»[6].

بابُ مَا جَاءَ أَنّ النِّسَاءَ كنّ يَشهدنَ الصَّلَواتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

٢٥٦ ــ ذكر مسلم بن الحجاج في كتابه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد كان نساءٌ من المؤمنات يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن وما يعرفن من تَغْلِيس رسول الله ﷺ بالصلاة»[7].

٢٥٧ ــ وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأدخل في الصلاة وأنا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٤٢/ ١٤٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٤٢/ ١٣٤).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٤٤٢/ ١٣٥).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٤٤٣).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٤٤٤)، وقوله: «فلا تشهد العشاء الآخرة»: أي: لا تحضر صلاتها مع الرجال.

(٦) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٥٦٥). وقوله تفلات: أي تاركات للطيب. وقال امرؤ القيس [ديوانه ١٤٠]:

إذا مـا الضَّجِيـعُ ابْتَـزَّهَـا مِـنْ ثِيـابِهـا   تَمِيـلُ عَلَيْـهِ هَـوْنَـةً غَيْـرَ مِتْفـالِ

(٧) صحيح: أخرجه مسلم (٦٤٥). وقوله: «متلفعات» أي: متجللات متلفقات. وقوله: «بمروطهن» أي: بأكسيتهن، واحدها مرط، بكسر الميم. وقوله: «من تغليس...» أي من أجل إقامتها في غلس، وهو ظلمة آخر الليل بعد طلوع الفجر.

أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأخفف من أجل وَجدِ أمّهِ به»[1]. معناه: أن المرأة كانت تصلي خلفه ﷺ فيبكي ولدها فيقلق قلبها به، ويريد تخفيف الصلاة لتفرغ وتأخذ ولدها، فيخفف عليه السلام الصلاة لأجلها.

٢٥٨ ــ وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالت: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ففزع، فأخطأ بدرع حتى أُدرِك بردائه بعد ذلك، قالت: فقضيت حاجتي، ثم جئت فدخلت المسجد فرأيت رسول الله ﷺ قائماً، فقمت معه، فأطال القيام حتى رأيتني أريد أن أجلس، فألتفت إلى المرأة الضعيفة فأقول: هذه أضعف مني فأقوم، فركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه فأطال القيام ـــ وذكرت صلاة الكسوف وخطبة النبي ﷺ قالت: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، ولقد أوحى إليَّ أنكم تفتنون في القبور قريباً، أو مثل فتنة المسيح الدجال، فيؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول: هو محمد رسول الله، جاء بالبينات والهدى، فأجبنا وأطعنا ـــ ثلاث مرات ـــ فيقال له: نم قد كنا نعلم إنك لتؤمن به، فنم صالحاً، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ـــ شك الراوي ـــ في المؤمن أو الموقن أو المرتاب. ذكر الحديث مسلم بسندين[2].

٢٥٩ ــ وذَكَرَ عن فاطمة بنت قيس، قالت: سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء الذي يلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «ليلزم كل إنسان مصلاه» ثم قال: «أتدرون لم جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إني والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجُلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحريةٍ مع ثلاثين رجلاً من لخم وجُذامٍ، فلعب بهم الموج شهراً، ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحر حيث مغرب الشمس، فجلسوا في جزيرة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابةٌ أَهْلَبُ الذنبِ، كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٩)، ومسلم (٤٧٠/ ١٩٢). والوجد هنا أي: من حزنها واشتغال قلبها على ولدها.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (٩٠٥).

القوم انطلقوا بالدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: فلما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك، ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم، قالوا: نحن أناس من العرب وركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حتى اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، فتهنا ثم أرفأنا الموج إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندري ما قُبُلُهُ من دُبُرِهِ من كثرة الشعر، فقلنا ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل بالدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة. قال: أخبروني عن نخل بيسان؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغَر؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماءٌ؟ وهل يزرع أهل بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأُمِّيِّين مَا فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتلته العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب فأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في الأربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإن على كل نقبٍ منها ملائكة يحرسونها. فقال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة هذه طيبة ــ ثلاث مرات يعني المدينة ــ ألا هل كنت حدثتكم ذلك» فقال الناس: نعم. قال: «فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو ــ وأومأ بيده إلى المشرق» قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ[1].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٢). والجساسة: قيل سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال.
وقوله: «ارفؤوا» أي: التجأوا إلى الشط. وقوله: «أهلب» أي: كثير الشعر. وقوله: «فرقنا منها» أي: خفنا منها. وقوله: «اغتلم» أي: هاج وجاوز حده المعتاد. وقوله: «بيسان»: قرية بالشام. وقوله: «عين زغر» هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام. وقوله: «صلتاً»: بفتح الصاد وضمها، أي:=

فهذه النساء كن يشهدن الصلاة مع رسول الله ﷺ بالليل والنهار، والشابات والمتزوجات، لأن أسماء وفاطمة المذكورتين هٰهنا كانتا من شواب النساء، وعلى النساء أن يمتثلن أمر رسول الله ﷺ في أن لا يخرجن إلا متسترات، تفلاتٍ بغير زينة ولا طيب.

٢٦٠ ــ وقد قال عليه السلام: «وأيما امرأة تعطرت فمرت على قوم يجدون ريحها فهي زانية» ذكره النسائي[(١)].

باب أيّ صفُوفِ النّساءِ خَيْر، وَمَا جَاءَ فِي صَلاَتِهِنَّ فِي بيُوتِهِنَّ وَمَا يُحذَر عَلَيهِنَّ مِنَ التَبرُج وإِظهَارِ الزينَة

٢٦١ ــ مسلم بن الحجاج عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها. وشر صفوف النساء أولها وخيرها آخرها»[(٢)].

٢٦٢ ــ وذكر أبو داود في كتابه «كتاب السنن» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن»[(٣)].

٢٦٣ ــ وعن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها»[(٤)].

٢٦٤ ــ وذكر أبو بكر أحمد بن عبد الخالق البزار في مسنده عن عبد الله بن مسعود،

= مسلولاً.

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٨/ ١٥٣ برقم ٥١٢٦) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٤٠). وقال النووي: «المراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال. أما إذا صلين متميزات، لا مع الرجال، فهن كالرجال. خير صفوفهن أولها، وشرها آخرها». وقال السيوطي في «زهر الأبي على المجبتي» (٢/ ٩٣ ــ ٩٤): «خير صفوف الرجال أولها: يعني أكثرها أجراً، وشرها آخرها يعني أجراً». وقال السندي في حاشيته على النسائي (٢/ ٩٣ ــ ٩٤): «قوله: خير صفوف الرجال: أي أكثرها أجراً، وشرها، أي أقلها أجراً، وفي النساء بالعكس، وذلك لأن مقاربة أنفاس الرجال للنساء يخاف منها أن تشوش المرأة على الرجل، والرجل على المرأة، ثم هذا التفصيل في صفوف الرجال على إطلاقه وفي صفوف النساء عند الاختلاط بالرجال كذا قيل، ويمكن حمله على إطلاقه لمراعاة الستر، فتأمل والله تعالى أعلم» اهـ.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٥٦٥).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٥٧٠)، وعبد الرزاق برقم (٥١١٦).

عن النبـي ﷺ قال: «إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها»[1].

وما تقدم من إباحة خروج النساء إلى المساجد أكثر وأشهر وأصح ما في هذا ما ذكره.

٢٦٥ ــ مسلم عن يحيى بن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة ــ أم المؤمنين ــ قالت: «لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل» فقلت لعمرة: نساء بني إسرائيل منعهن المسجد؟ قالت: نعم[2].

بابٌ في الأَذانِ وَابتدَائِه

وهو فرضٌ علىٰ المسلمين أن يؤذنوا لصلاتهم، وقد ذهب قوم إلى أنه فرضٌ على كل جماعة في حضرٍ أو سفرٍ.

٢٦٦ ــ وَرُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها: «من سمع المنادي فلم يأته، فلم يرد خيراً ولم يرد به».

٢٦٧ ــ وقال سعيد بن المسيب: «منذ أربعين سنة ما أذن المؤذن إلاَّ وأنا في المسجد إلا يوماً واحداً، فإن المؤذن أذن حين وضعت رجلي على باب المسجد»[3].

٢٦٨ ــ وكان إبراهيم الصائغ ــ أحد المحدثين الثقات ــ إذا سمع المؤذن ألقى المطرقة من يده، وإن كان قد رفعها فتح يده بها ولم يضرب بها وأجاب داعي الله تعالى.

٢٦٩ ــ مسلم عن إسماعيل بن عُلَيَّةَ، عن خالد الحذاء، عن أنس بن مالك، قال: «أُمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة» قال ابن عُلية: فحدثت به أيوب فقال: إلا الإقامة[4].

٢٧٠ ــ وذكر أبو داود عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه، قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس أن يُعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة، طاف بـي وأنا نائمٌ رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله، أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١١٧٣)، وابن خزيمة برقم (١٦٨٥ ــ ١٦٨٦). والطبراني في «الكبير» (ج١٠ برقم ١٠١١٥)، وابن حبان برقم (٣٢٩ ــ ٣٣٠ ــ موارد).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨٦٩)، ومسلم (٤٤٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٣٨٠).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٣)، ومسلم (٣٧٨). وقوله: «يشفع الأذان» أي يأتي به مثنى. و«يوتر الإقامة» أي يأتي بها مرة واحدة.

قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ قلت: بلى. قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. قال: ثم أستأخر عني غير بعيد، قال: ثم تقول إذا أقمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال: «إنها لرؤيا حق ـــ إن شاء الله ـــ فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى صوتاً منك» فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه وهو يؤذن به. قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج وهو يجر رداءه، فقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لقد رأيت الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ: «فللهِ الحمدُ»[1].

ورد في هذا الخبر التكبير أربع مرات، وقد ورد ـــ أيضاً ـــ من طريق آخر صحيح: يُرَجعُ التكبير كذلك أولاً، وورد ـــ أيضاً ـــ تثنية التكبير أولاً وتكرير الشهادتين أربعاً أربعاً، وورد في الخبر الأول تثنية الإقامة قوله: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة. وقد ورد ـــ أيضاً ـــ إفرادها، وورد في الإقامة ـــ أيضاً ـــ زيادة أخرى الكل صحيح.

٢٧١ ـــ وذكر أبو عبد الرحمن النسائي في كتابه، عن أبـي محذورة، قال: خرجت في نفرٍ فكنا ببعض طريقِ حُنَيْنٍ مقفل رسول الله ﷺ من حنينٍ، فلقينا رسول الله ﷺ ببعض الطريق، فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عند رسول الله ﷺ فسمعنا صوت المؤذن ونحن عنه متنكبون، فظللنا نحكيه ونهزأ به، فسمع رسول الله ﷺ الصوت فأرسل إلينا حتى وقفنا بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «أيكم الذي سَمعتُ صوته قد ارتفع؟» فأشار القوم إليَّ وصدقوا، فأرسلهم كلهم وحبسني، قال: «قم فأذن بالصلاة» فألقى عليَّ رسول الله ﷺ التأذين هو نفسه، فقال: «قل: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله» ثم قال: «ارجع فامدد بها صوتك ثم قل: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله». ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شيءٌ من فضة، فقلت: يا رسول الله مُرني بالتأذين بمكة، قال:

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩).

«قد أمرتك به». فقدمت على عتاب بن أسيد عامل رسول الله ﷺ بمكة فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ[1].

ففي هذا الخبر تكرير التكبير أربع مراتٍ، وفيه ــ أيضاً ــ تكرير الشهادتين أربعاً أربعاً، وفيه وفي الخبر الأول أن يكون المؤذن ندي الصوت حسنه، حراً إذا وجد ذلك لما فيه من التسميع والتخشع.

٢٧٢ ــ وذكر النسائي في طريق أخرى لحديث أبـي محذورة هذا، عن أبـي محذورة، أن النبـي ﷺ لما سمعهم ــ يعني يحكون المؤذن ــ قال: «قد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت» فأرسل إلينا فأذنى رجُلاً رجُلاً كنت آخرهم، فقال: «حسنٌ أذنت، تعال» فأجلسني بين يديه، فمسح على ناصيتي وبرك عليَّ ثلاث مرات ــ وذكر الحديث[2].

٢٧٣ ــ وذكر أبو داود، عن أبـي محذورة ــ أيضاً ــ قال: قلت: يا رسول الله علمني سنة الأذان، قال: فمسح مقدم رأسي، فقال: «تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، ترفع بها صوتك، ثم تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح. فإذا كنت في صلاة الصبح، فإن كانت صلاة الصبح قلت: الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله»[3].

وأما تثنية التكبير، فقد ذكره:

٢٧٤ ــ مسلم بن الحجاج في كتابه عن عبيد الله بن محرزٍ، عن أبـي محذورة، أن نبـي الله ﷺ علمه هذا الأذان: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة مرتين، حي على الفلاح مرتين، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله»[4].

٢٧٥ ــ مسلم عن مالك بن الحويرث، قال: أتيت النبـي ﷺ أنا وصاحب لي، فلما أردنا الإقفال من عنده، قال لنا: «إذا حضرت الصلاة فأذِنا وأقيما وليؤمكما أكبركما»[5].

---

(١) إسناده لا بأس به: أخرجه النسائي (٢/ ٥) برقم (٦٣٢).
(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٢/ ٦ ــ برقم ٦٣٣).
(٣) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٥٠٠).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٧٩).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٢٨)، ومسلم (٦٧٤).

بابُ فَضل الأَذانَ، وَمَا يُقَال عِند سَماعِهِ

٢٧٦ ــ مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون بين الرَّوْحَاءِ»؛ الرَّوحَاءُ ثلاثون ميلاً من المدينة»[١].

٢٧٧ ــ وعن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ يُغيرُ إذا طلع الفجر، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا فأغار، فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «على الفطرةِ». ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «خرجت من النار» فنظروا فإذا هو راعي معزىً[٢].

٢٧٨ ــ أبو داود عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعجب من راعي في رأس شظية الجبل يؤذن بالصلاة ويصلي، فيقول الله عزّ وجلّ: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم بالصلاة يخاف مني وقد غفرت له وأدخلته الجنة»[٣].

٢٧٩ ــ البخاري عن عبد الله بن عبد الرحمن المازني، أن أبا سعيد الخدري، قال له: إني أراك تحب الغنم، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء؛ فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهد له يوم القيامة. قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ[٤].

٢٨٠ ــ أبو داود عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «المؤذن يغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطبٍ ويابسٍ، وشاهد الصلاة يُكتب له خمسٌ وعشرون صلاة، ويكفر له ما بينهما»[٥].

٢٨١ ــ النسائي عن البراء بن عازبٍ، أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم، والمؤذن يغفر له مد صوته، ويصدقه من سمعه من رطبٍ ويابسٍ، وله مثل أجر من صلى معه»[٦].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم برقم (٣٨٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم برقم (٣٨٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٢٠٣)، والنسائي (٢/ ٢٠ برقم ٦٦٦)، وأحمد (٤/ ١٥٧)، وابن حبان برقم (٢٦٠ ــ موارد). و«الشظية»: هي القطعة من رأس الجبل، وقيل هي: الصخر العظيمة الخارجة من الجبل كأنها أنف الجبل.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٩).

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود برقم (٥١٥)، والنسائي (٢/ ١٢ ــ ١٣).

(٦) **صحيح**: أخرجه النسائي (٢/ ١٣).

٢٨٢ ــ وذكر مسلم عن معاوية بن أبـي سفيان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»[١].

٢٨٣ ــ وذكر الترمذي عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة على كثبان المسك ــ أراه قال يوم القيامة ــ يغبطهم الأولون والآخرون: رجل ينادي بالصلوات الخمس في كل يوم وليلة، ورجل يؤم قوماً وهم به راضون، وعبد أدى حق الله وحق مواليه»[٢].

٢٨٤ ــ وذكر أبو الحسن الدارقطني في كتابه: «كتاب السنن» عن ابن عمر، أن النبـي ﷺ قال: «من أذن اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل مرة ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة»[٣].

٢٨٥ ــ وذكر مسلم عن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه»[٤].

٢٨٦ ــ مسلم عن أبـي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم الأذان فقولوا مثلما يقول المؤذن»[٥].

٢٨٧ ــ النسائي عن علقمة بن وقاص، قال: أنا عند معاوية إذ أذن مؤذنه، فقال معاوية كما قال المؤذن حتى إذا قال المؤذن حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله،

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٨٧). وقوله: «أطول الناس أعناقاً» قال العلماء: معناه كثرة ما يرونه من الثواب. وقال النضر بن شميل رحمه الله: «إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق».

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٦)، وفي سنده: «أبو اليقظان عثمان بن قيس، ويقال ابن عمير وهو أشهر»، ضعيف الحديث.

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٧٢٨)، والدارقطني (١/ ٢٤٠)، والحاكم (١/ ٢٠٥)، والبيهقي (١/ ٤٣٣)، وغيرهم.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧). وقوله: «النداء» هو الأذان. وقوله: «يستهموا عليه»: الاستهام هو الاقتراع، ومعناه أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه، ثم لم يجدوا طريقاً يحصلون به، لضيق الوقت، عن أذان بعد أذان، أو كونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد، لاقترعوا في تحصيله ولو يعلمون ما في الصف الأول من الفضيلة، نحو ما سبق، وجاؤوا إليه دفعة واحدة، وضاق عنهم، ثم لم يسمح بعضهم لبعض به، لاقترعوا عليه.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٦١١)، ومسلم برقم (٣٨٣).

فلما قال حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وقال بعد ذلك ما قال المؤذن، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك[1].

٢٨٨ ـ مسلم عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله، قال أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال حي على الصلاة، قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال حي على الفلاح، قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة»[2].

٢٨٩ ـ مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبـي ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول المؤذن، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تبتغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حَلت عليه الشفاعة»[3].

٢٩٠ ـ البخاري عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة، والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»[4].

٢٩١ ـ مسلم عن سعد بن أبـي وقاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع الأذان أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً غفر له ذنوبه»[5].

٢٩٢ ـ أبو داود عن عبد الله بن عمرو، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا، فقال رسول الله ﷺ: «قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تعط»[6].

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٢/ ٢٥ برقم ٦٧٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٨٥).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٨٤). والوسيلة في اللغة: المنزلة عند الملك. وقوله: «أنا هو»: خبر كان، وقع موقع إياه، هذا على تقدير أن يكون أنا تأكيداً للضمير المستتر في أكون، ويحتمل أن يكون أنا مبتدأ وهو خبره، والجملة خبر أكون. وقوله: «حَلّت» أي وجبت، وقيل: نالته.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٦١٤).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٣٨٦).

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٥٢٤).

٢٩٣ ـ وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة»[١].

أَوقَـاتُ الصَّـلَوَاتِ: ـ

٢٩٤ ـ مسلم عن عبد الله بن عمر، قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «ثم بر الوالدين». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «ثم الجهاد في سبيل الله»[٢].

٢٩٥ ـ النسائي عن جابر بن عبد الله، قال: جاء جبريل إلى النبـي ﷺ حين مالت الشمس، فقال: قم يا محمد فصل الظهر حين مالت ا لشمس، ثم مكث حتى إذا كان فيءُ الرجل مثله جاء في العصر، فقال: قم يا محمد فصل العصر، ثم مكث حتى غابت الشمس جاءه، قال: فصل المغرب، فقام فصلاها حين غابت الشمس سواء، ثم مكث حتى إذا غاب الشفق جاءه، فقال له: فصل العشاء، فقام فصلاها، ثم جاءه حين سطع الفجر بالصبح، فقال: قم يا محمد فصل الصبح، فقام فصلى الصبح، ثم جاءه من الغد حين كان فيءُ الرجل مثله، فقال: قم يا محمد فصل، فصلى الظهر، ثم جاءه حين كان فيء الرجل مثليه فقال: قم يا محمد فصل، فصلى العصر، ثم جاءه المغرب حين غابت الشمس وقتاً واحداً لم يَزُل عنهُ، فقال: قم فَصَل، فصلى المغرب، ثم جاءه العشاء حين ذهب ثلث الليل الأول، قال: قم فَصَلِّ، فصلى العشاء، ثم جاءه الصبح حين أسفر، فقال: قم فَصَلِ، فصلى الصبح، ثم قال: ما بين هذين وقتٌ[٣].

٢٩٦ ـ وروي من حديث جابر، أنه صلى المغرب في اليوم الثاني حين كان قبل غيبوبة الشفق. ذكره النسائي[٤].

٢٩٧ ـ وذكر النسائي ـ أيضاً ـ من حديث أبـي هريرة، أنه عليه السلام صلى المغرب في اليومين في وقتٍ واحدٍ كما تقدم في حديث جابر أولاً، وكذلك عند أبـي داود من حديث ابن عباس، وقال في هذا «صلى الظهر حين زالت الشمس وكانت على قدر الشراك وكان هذا بمكة»[٥].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (١/ ٤١٥ ـ ٤١٦)، وأحمد (٣/ ١١٩)، وغيرهم.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم برقم (٨٥/ ١٣٧).
(٣) **صحيح**: أخرجه النسائي (١/ ٢٦٣)، والترمذي (١/ ٢٨١)، وأحمد (٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١)، والحاكم (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، والبيهقي (١/ ٣٦٨)، وغيرهم.
(٤) أخرجه النسائي (١/ ٢٥١ برقم ٥٠٤).
(٥) أخرجه أبو داود برقم (٣٩٣) من حديث طويل، وهو أول حديث في باب المواقيت.

٢٩٨ ــ وروي عنه عليه السلام، أنه صلاها بالمدينة في وقتين عند غروب الشمس، وعند مغيب الشفق، رواه بريدة بن حصيب، وأبو موسى الأشعري، ذكر حديثهما مسلم بن الحجاج وغيره[١]، وهو صحيح. وفي حديثهما: «أنه عليه السلام صلى العصر في اليوم الثاني والشمس مرتفعة».

٢٩٩ ــ وفي طريق آخر عن بريدة بن حصيب: «أنه عليه السلام صلى العصر في اليوم الثاني والشمس بيضاء نقية لم يخالطها صفرة»[٢].

٣٠٠ ــ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ: «وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظِلُّ الرجل كطوله ما لم يحضر العصر، ووقت العصر ما لم تصفر الشمس، ووقت المغرب ما لم يغب الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الفجر من وقت طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس، فإذا طلعت فأمسك عن الصلاة فإنها تطلع بين قرني الشيطان». وقال في طريق آخر عنه: «ووقت العصر ما لم تصفر الشمس ويسقط قرنها الأول» ذكر حديثه مسلم[٣].

٣٠١ ــ وذكر أبو داود الطيالسي في حديث عبد الله بن عمرو: «ووقت العصر العصر ما لم تغرب الشمس»[٤] والأكثر ما تقدم.

٣٠٢ ــ وذكر العلاء بن عبد الرحمن أنه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة حين انصرف من الظهر وداره بجنب المسجد، قال: فلما دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ فقلنا: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال: فقوموا فصلوا العصر، فقمنا فصلينا، فلما انصرفنا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً. ذكر هذا الحديث مسلم بن الحجاج[٥].

---

(١) حديث بريدة أخرجه مسلم برقم (٦١٣)، وحديث أبي موسى أخرجه أيضاً مسلم برقم (٦١٣/ ٧٧).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم (٦١٤).

(٣) أخرجه مسلم (٦١٢/ ١٧٣).

(٤) أخرجه الطيالسي في «مسنده» برقم (٢٢٤٩).

(٥) أخرجه مسلم (٦٢٢). وقوله: «قرني الشيطان»: قيل المراد بقرنه: أمته وشيعته. وقيل: قرنه جانب من رأسه. وهذا ظاهر الحديث، فهو أولى. ومعناه: أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذا الوقت ليكون الساجدون للشمس من الكفار في هذا الوقت، كالساجدون له، وحينئذ يكون له ولشيعته تسلط وتمكن من أن يلبسوا على المصلي صلاته. فكرهت الصلاة في هذا الوقت لهذا المعنى، كما كرهت في مأوى الشيطان.

٣٠٣ ــ وذكر عن أنس ــ أيضاً ــ أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذاهب إلى العوالي، فيأتي العوالي والشمس مرتفعة، وبين العوالي وبين المدينة نحو ثلاثة أميال[1].

٣٠٤ ــ وعن أنس قال: صلى لنا رسول الله ﷺ العصر، فلما انصرف أتاه رجلٌ من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، إنّا نريد أن ننحر جزوراً لنا ونحن نحب أن تحضرها، قال: «نعم» فانطلق وانطلقنا معه، فوجدنا الجزور لم تنحر فنحرت، ثم قطعت، ثم طبخنا منها، ثم أكلنا قبل مغيب الشمس. وفي حديث رافع بين خديج: فأكلنا لحماً نضيجاً[2].

٣٠٥ ــ أبو داود عن أبـي أيوب الأنصاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال أمتي بخيرٍ ــ أو قال على الفطرة ــ ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتكِ النجوم»[3].

٣٠٦ ــ أبو داود عن أبـي سعيد الخدري، قال: صلينا مع رسول الله ﷺ العتمة، فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر الليل، فقال: «خذوا مقاعدكم» فأخذنا مقاعدنا، فقال: «إن الناس قد صلوا وأخذوا مضاجعهم، وإنكم لن تزالوا في صلاةٍ ما انتظرتم الصلاة، ولولا ضعف الضعيف، وسقم السقيم، لأخرت هذه الصلاة إلى شطر الليل»[4].

٣٠٧ ــ وذكر مسلم عن أبـي برزة الأسلمي، قال: «كان رسول الله ﷺ يؤخر العشاء إلى ثلث الليل، ويكره النوم قبلها، والحديث بعدها، وكان يقرأ في صلاة الفجر من المائة إلى الستين، وكان ينصرف حين يعرف بعضنا وجه بعضٍ»[5].

٣٠٨ ــ أبو داود عن النعمان بن بشير، قال: «أنا أعلم الناس بوقت هذه الصلاة، صلاة العشاء الآخرة، كان رسول الله ﷺ يصليها لسقوط القمر لثَالِثَةٍ»[6].

٣٠٩ ــ وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في المسند، عن علي بن زيد بن جدعان، عن

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٢١). قوله: «والشمس مرتفعة حية». قال الخطابي: حياتها صفاء لونها قبل أن تصفر أو تتغير: وهو مثل قوله: بيضاء نقية، وقيل: حياتها وجود حرّها، وقوله: «العوالي» عبارة عن القرى المجتمعة حول المدينة من جهة نجدها. وأما ما كان من جهة تهامتها، فيقال لها: السافلة، وبُعد بعض العوالي من المدينة أربعة أميال، وأبعدها ثمانية أميال. وأقربها ميلان، وبعضها ثلاثة أميال.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦٢٤).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٤١٨).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٤٢٢).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦٤٧/ ٢٣٧).

(٦) أخرجه أبو داود برقم (٤١٩).

الحسن البصري، عن أبي بكرة الثقفي، أن رسول الله ﷺ أخر صلاة العشاء الآخرة تسع ليالٍ فقال أبو بكر: لو عجلت بنا يا رسول الله كان أمثل لقيامنا، فكان بعد ذلك يُعَجلُ[1].

٣١٠ ــ مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة، والعصر والشمس مرتفعةٌ، والمغرب إذا وجبت الشمس، والعشاء أحياناً يؤخرها، وأحياناً يُعَجِلها، كان إذا رآهم قد اجتمعوا عجل، وإذا رآهم قد أبطأوا أخر، والصبح قال: كانوا أو كان النبـي ﷺ يصليها بغَلَسٍ[2]. وقد أمر عليه السلام بتأخير الظهر إذا اشتد الحر.

٣١١ ــ وذكر مسلم عن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»[3].

٣١٢ ــ وقال: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب آكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين نَفَسٍ في الشتاءِ، ونفسٍ في الصيفِ، فما وجدتم في بردٍ أو زمهرير فهو من نفس جهنم، وما وجدتم من حرٍ أو حرورٍ فمن نفس جهنم»[4] ذكره مسلم منفرداً.

٣١٣ ــ وذكر البخاري عن أبـي ذرٍ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فأراد المؤذن أن يؤذن الظهر، فقال له رسول الله ﷺ: «أبرد» ثم أراد أن يؤذن فقال له: «أبرد» حتى رأينا فيء التُلولِ، فقال رسول الله ﷺ: «إن شدة الحر من فيح جهنم، فإذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة»[5].

٣١٤ ــ وقال النسائي، عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كان الحر

---

(١) ضعيف: فيه علتان: الأولى: ضعف ابن جدعان. والثانية: الحسن البصري مدلس وقد عنعنه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٥٦٠، ٥٦٥)، ومسلم (٦٤٦). وقوله: «بالهاجرة»: هي شدة الحر نصف النهار، عقب الزوال. قيل: سميت هاجرة من الهجر، وهو الترك، لأن الناس يتركون التصرف حينئذ لشدة الحر ويقيلون. وقوله: «وجبت الشمس»: أي: غابت.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦١٥). وقوله: «فإن شدة الحر من فيح جهنم» يعني أن شدة حر الشمس في الصيف كشدة حر جهنم، أي فيه شقة مثله. والحديث أخرجه أيضاً البخاري برقم (٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٦).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦١٧). وقوله: «الزمهرير» شدة البرد.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٥٣٩)، ومسلم (٦١٦). وقوله: «التُلُول»: جمع تل، وهو ما اجتمع على الأرض من رمل أو تراب أو نحوهما، كالروابي والفيء لا يكون إلاّ بعد الزوال. وأما الظل فيطلق على ما قبل الزوال وبعده. هذا قول أهل اللغة. ومعنى قوله: «رأينا فيء التلول» أنه أخرّ تأخيراً كثيراً حتى صار للتلول فيء، والتلول منبطحة غير منتصبة: ولا يصير لها فيء في العادة إلا بعد زوال الشمس بكثير.

أبرد بالصلاة، وإذا كان البرد عجل»[١].

٣١٥ ــ وذكر أبو بكر بن أبـي شيبة في مسنده، عن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وعن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس»[٢].

٣١٦ ــ وعن ابن عمر، عن النبـي ﷺ قال: «لا يتحرى أحدكم فيصلي عند طلوع الشمس، ولا عند غروبها»[٣].

٣١٧ ــ وعن أبـي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سأل عائشة، عن السجدتين اللتين كان رسول الله ﷺ يصليهما بعد العصر، فقالت: «كان يصليها قبل العصر، ثم إنه شُغل عنهما فصلاهما بعد العصر، ثم أثبتهما، وكان إذا صلى صلاة أثبتها» تعني داوم عليها[٤].

٣١٨ ــ وذكر البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «والذي ذهب به ما تركها حتى لقي الله، وما لقي الله حتى ثقل عن الصلاة، وكان يصلي كثيراً من صلاته قاعداً ــ تعني الركعتين بعد العصر ــ وكان النبـي ﷺ يصليهما ولا يصليهما في المسجد مخافة أن يثقل على أمته، وكان يحب ما خُفف عنهم[٥]» أي مخافة أن يعملوا مثله فتفرض عليهم.

٣١٩ ــ مسلم عن عقبة بن عامر الجهني: «ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن، وأن نُقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب»[٦].

٣٢٠ ــ مسلم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها، فليصلها إذا ذكرها»[٧].

بابُ فَضل الصّفّ الأوّلِ

٣٢١ ــ وقال عليه السلام: «لو يعلمون، أو تعلمون ما في الصف الأول، ما كانت إلا

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (١/ ٢٤٨ برقم ٤٩٩).

(٢) ثبت ذلك عنه ﷺ من حديث أبـي هريرة في الصحيحين، وكذا فيهما من أحاديث عمر، وابنه عبد الله، وأبـي سعيد الخدري، رضي الله عنهم. وانظر: «إرواء الغليل» للشيخ الألباني برقم (٤٧٩).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٥٨٥)، ومسلم (٨٢٨).

(٤) صحيح، وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٧٧).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٥٩٠: ٥٩٣، ١٦٣١).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٨٣١)، وقوله: «تضيف الشمس» أي: تميل.

(٧) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦٨٤/ ٣١٦).

قرعة».

٣٢٢ ــ وقال عليه السلام: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها» رواهما مسلم من حديث أبـي هريرة، عن النبـي ﷺ.

٣٢٣ ــ وذكر أبو داود عن البراء بن عازب، قال: كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحيةٍ إلى ناحيةٍ يمسح صدورنا ومناكبنا، يقول: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»[١].

٣٢٤ ــ وكان رسول الله ﷺ يقول: «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأوّل»[٢].

٣٢٥ ــ وعن العرباض بن سارية، عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلي على الصف الأول ثلاثاً، وعلى الثاني واحدة[٣].

٣٢٦ ــ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف»[٤].

٣٢٧ ــ مسلم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة»[٥].

٣٢٨ ــ وعن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أقيموا الصف الأول في الصلاة فإن إقامة الصف من حسن الصلاة»[٦].

٣٢٩ ــ البخاري عن أنس بن مالك، عن النبـي ﷺ قال: «أقيموا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري» وكان أحدنا يُلزق منكبه بمنكب صاحبه، وقدمه بقدمه[٧].

٣٣٠ ــ وعنه قال: أقيمت الصلاة، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه، فقال: «أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري»[٨].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٦٦٢ ــ ٦٦٣).
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٦٦٤) من حديث البراء.
(٣) صحيح: أخرجه النسائي (٢/ ٩٢ ــ ٩٣)، وابن ماجه (٩٩٦)، والدارمي (١٢٦٥)، وابن حبان (٣٩٥ ــ موارد)، وأحمد (٤/ ١٢٦ ــ ١٢٧)، والحاكم (١/ ٢١٤)، وغيرهم.
(٤) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (٦٧٦)، وانظر: «ضعيف أبـي داود» برقم (١٠٦) للشيخ الألباني.
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٣)، ومسلم برقم (٤٣٣).
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٢)، ومسلم (٤٣٥).
(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٧١٨، ٧١٩، ٧٢٥)، ومسلم (٤٣٤).
(٨) صحيح: انظر السابق.

٣٣١ ــ مسلم عن جابر بن سمرة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيلٍ شُمسٍ اسكنوا في الصلاة» ثم خرج علينا فرآنا حلقاً، فقال: «ما لي أراكم عزين» ثم خرج علينا، فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟» قلنا: يا رسول الله، كيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول ويُرَاصون في الصف»[١].

٣٣٢ ــ وذكر أبو داود عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «رصوا صفوفكم وقاربوا بينها، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشياطين تدخل من خلل الصف كأنها الحذف»[٢]. الحَذفُ: غنمٌ صغار سود.

٣٣٣ ــ وذكر أبو داوود ــ أيضاً ــ من حديث معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا بأيديكم إخوانكم، ولا تذروا فرجات الشيطان، ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله»[٣].

٣٣٤ ــ النسائي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتموا الصف الأول ثم الذي يليه، فإن كان نقصٌ فليكن في الصف المؤخر»[٤].

٣٣٥ ــ مسلم عن النعمان بن بشير، قال: كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا حتى كأنما نسوي بها القداح، حتى رأى أنّا قد غفلنا عنه، ثم خرج يوماً فقام حتى كاد يكبر فرأى رجلا بَادِياً صدره، فقال: «عباد الله لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»[٥].

٣٣٦ ــ أبو داود عن النعمان ــ أيضاً ــ قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه، فقال: «أقيموا صفوفكم ــ ثلاثاً ــ والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم» قال: فرأيت الرجل يُلزق منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركبته، وكعبه بكعبه[٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٣٠). قوله: «شُمُس»: جمع شموس، مثل: رسول ورسل وهي التي لا تستقر، بل تضرب وتتحرك بأذنابها وأرجلها. وحِلَقاً: جمع الحلْقة، بسكون اللام، على غير قياس. وقال النووي: بكسر الحاء وفتحها لغتان جمع حلقة بإسكان اللام. وقوله: «عزين»: أي: جماعة في تفرقة. جمع: عزة، وأصلها: عزوة، فحذفت الواو، وجمعت جمع السلامة على غير قياس.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٦٦٧)، والنسائي (٢/ ٩٢).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٦٦٦)، والحاكم (١/ ٢١٣).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٦٧١)، والنسائي (٢/ ٩٣).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦/ ١٢٨) واللفظ لمسلم.

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٦٦٢).

٣٣٧ ــ وذكر الترمذي من حديث وابصة بن معبدٍ: «أن رجلاً صلى خلف الصف، فأمره النبي ﷺ أن يعيد الصلاة»[1]. وفي الباب عن علي بن شيبان.

٣٣٨ ــ وذكر أبو داود عن أبي بكرة الثقفي، أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راكع فركع دون الصف، ثم مشى إلى الصف، فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال: «أيكم الذي ركع دون الصف ثم مشى إلى الصف؟» فقال أبو بكرة: أنا. فقال النبي ﷺ: «زَادَكَ الله حرصاً ولا تَعُد»[2].

في المنعِ مِنَ المُرورِ بَيْنَ يَدي المُصَلِّي والصَّلاة إلَى السُّتْرَةِ:

٣٣٩ ــ أبو بكر بن أبي شيبة، عن مرة بن معبد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليستتر أحدكم لصلاته ولو بسهمٍ»[3].

٣٤٠ ــ مسلم عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه وليدرأه ما استطاع، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان»[4].

٣٤١ ــ وعن طلحة بن عبيد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل مؤخرة الرحل فليُصَل ولا يُبال من وراء ذلك»[5].

٣٤٢ ــ وعن أبي ذرٍّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل أَخَرَةِ الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل أخرة الرحل فإنه يقطع صلاته

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠)، وابن ماجه (١٠٠٤)، وغيرهما وانظر: «الإرواء» برقم (٥٤١).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٦٨٢)، والترمذي (٢٣١)، والطيالسي برقم (١٢٠١)، وأحمد (٤/٢٢٨)، وانظر: «إرواء الغليل» برقم (٥٤١).

(٣) مرة بن معبد هذا لم أعرفه، وبنفس اللفظ أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٧٠) من حديث سبرة رضي الله عنه، ثم اتضح لي أن مرة هذا تحرف من سبر بن معبد، وحديثه أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣٨٥)، وابن ماجه (٧٧٠)، وأحمد (٣/ ٤٠٤، ٤٠٥)، والطبراني في الكبير برقم (٦٥٣٩ ــ ٦٥٤٢)، وغيرهم.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٥٠٥). وقوله: «فليدرأه»: أي: فليدفعه: وقوله: «فإنما هو شيطان»: قال القاضي عياش: معناه: إنما حمله على مروره وامتناعه من الرجوع الشيطانُ. وقيل: معناه: يفعل فعل الشيطان لأن الشيطان بعيد من الخير وقبول السُّنَّة. وقيل المراد بالشيطان القرين.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٩٩/ ٢٤١ ــ ٢٤٢)، وغيره. وقوله: «الرحل»: هي الخشبة التي يستند إليها الراكب.

الحمار والمرأة والكلب الأسود» قلت: يا أبا ذرٍّ ما بالُ الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ فقال: يا ابن أخي سألت رسول الله كما سألتني، فقال: «الكلب الأسود شيطان»[1]. وفي حديث أبي هريرة «والكلب» ولم يذكر الأسود، ولعائشة اعتراض مذكور بعد هذا.

٣٤٣ ــ أبو داود عن سهل بن أبي حثمة يبلغ به النبي ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدنُ منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته»[2].

٣٤٤ ــ مسلم عن سهل بن سعدٍ، قال: «كان بين مُصَلى رسول الله ﷺ وبين الجدار ممر الشاة»[3].

٣٤٥ ــ مسلم عن أبي مرثد الغنوي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»[4].

باب فِي الصَّلاَةِ إِلَى المَرْأَةِ

٣٤٦ ــ مسلم عن عروة بن الزبير، قال: «قالت عائشة: ما يقطع الصَّلاة؟ فقلت: المرأة والحمار. فقالت: إن المرأة لدابة سوء، لقد رأيتني بين يدي رسول الله ﷺ معترضة كاعتراض الجنازة وهو يصلي»[5].

٣٤٧ ــ وعنها قالت: «أنام بين يدي رسول الله ﷺ معترضة ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، وإذا قام بسطتهما» قالت: والبيوت يومئذٍ ليس فيها مصابيح[6].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥١٠)، وأبو داود (٧٠٢)، والترمذي (٣٣٨)، وابن ماجه (٩٥٢، ٣٢١٠). وقوله: «الكلب الأسود شيطان» قيل: سمي شيطاناً لكونه أعقر الكلاب وأخبثها وأقلها نفعاً، وأكثرها نعاساً.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٦٨١)، والنسائي (٢/ ٦٢)، والحميدي (٤٠١)، والطيالسي (٣٧٩)، وابن حيان (٤٠٩ ــ موارد)، وابن خزيمة (٨٠٣)، وأحمد (٤/ ٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٥٣٧)، والحاكم (١/ ٢٥١ ــ ٢٥٢).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٦، ٧٣٣٤)، ومسلم (٥٠٨)، وأبو داود برقم (٦٨٢)، وغيرهم.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٩٧٢/ ٩٧ ــ ٩٨)، وأبو داود (٣٢٢٩)، والترمذي (١٠٥٠ ــ ١٠٥١)، والنسائي (٢/ ٦٧)، وغيرهم.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٥١٢/ ٢٦٩).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٢)، ومسلم (٥١٢/ ٢٧٢)، وأبو داود (٧١٣)، وغيرهم.

باب إِثم المَارِّ بَيْنَ يَدَي المُصَلِّي

٣٤٨ ـــ وذكر ابن أبـي شيبة في مسنده عن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم أحدكم ما له في أن يمر بين يدي أخيه معترضاً في الصلاة كان لأن يقف مائة عام خيرٌ له من الخطوة التي خطا»[1].

باب فِي المرُور بَيْنَ يَدَي بعض الصَّفّ

٣٤٩ ـــ مسلم عن عبد الله بن عباس، قال: «أَقبلت راكباً على أتانٍ لي وأنا يومئذٍ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يُصلِّي بالناس بمنىً، فمررت بين يدي بعض الصف فنزلت، فأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف، فلم ينكر ذلك عليَّ أحدٌ».

وقال النسائي في هذا الحديث: «فلم يقل لنا رسول الله ﷺ شيئاً»[2].

باب فِيما يُصلَّى بِهِ وَعَلَيْهِ

٣٥٠ ـــ مسلم عن أبـي هريرة، أن سائلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصَّلاة في الثوب الواحد، فقال: «أَوَلكلكم ثوبان»[3].

٣٥١ ـــ وعن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيءٌ»[4].

٣٥٢ ـــ وذكر شعبة بن الحجاج، عن ثوبة العنبري، عن نافعٍ، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد أحدكم أن يُصلي فليتزر وليرتدِ»[5].

٣٥٣ ـــ أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن محمد بن زيد بن قنفذٍ،

---

(١) المسند لم أهتد إليه، وهو مخطوط، ولكنني لم أقف عليه. والحديث ضعيف، أخرجه ابن ماجه برقم (٩٤٦) من طريق أبـي بكر بن أبـي شيبة حدثنا وكيع، عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن عمه، عن أبـي هريرة به. والحديث أخرجه ابن خزيمة (٨١٤)، وابن حبان (٤١٠ ـــ موارد)، وغيرهما. والحديث ضعفه البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (١/ ٣٢٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٦)، ومسلم (٥٠٤). قوله: «أتان» هي أنثى الحمار. وقوله: «ناهزت الاحتلام» أي: قاربت البلوغ، وقوله: ترتع، أي: ترعى كيفما تشاء.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٨)، ومسلم (٥١٥).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٥١٦)، وأبو داود (٦٢٦)، والنسائي (٢/ ٧١).

(٥) صحيح الإسناد.

عن أمه، أنها سألت أم سلمة ماذا تصلي فيه المرأة من الثياب؟ فقالت: سألت رسول الله ﷺ أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزارٌ؟ قال: «إذا كان الدرع سابغاً تغطي ظهور قدميها»[1]. ورواه مالك عن أنس وجماعةٌ عن محمد بن زيدٍ، عن أمه عن أم سلمة قولها، لم يذكروا النبـي ﷺ.

٣٥٤ ــ مسلم عن أبـي سلمة سعيد بن يزيد، قال: قلت لأنس بن مالك: كان رسول الله ﷺ يصلي في النعلين؟ قال: نعم[2].

٣٥٥ ــ أبو داود عن عائشة، عن النبـي ﷺ قال: «لا يقبل الله صلاة حائضٍ إلا بخمار»[3].

٣٥٦ ــ وعن عبد الله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أسبل إزاره في صلاته فليس من الله في حلٍ ولا في حرام»[4] روي موقوفاً.

٣٥٧ ــ أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ «أنه نهى عن السدل في الصلاة، وأن يغطي الرجل فاه في الصلاة»[5].

٣٥٨ ــ مسلم عن أنس بن مالك، قال «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً، فربما تقام الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فيُكنس ثم ينضح، ثم يقوم رسول الله ﷺ ونقوم خلفه فيصلي بنا» وكان بساطهم من جريد النخل[6].

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٦٤٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٦، ٥٨٥٠)، ومسلم برقم (٥٥٥). وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ٥٨٩): «قال ابن بطّال: هو محمول على ما إذا لم يكن فيهما نجاسة، ثم هي من الرخص كما قال ابن دقيق العيد لا من المستحبات» اهـ.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٦٤١)، والترمذي (٣٧٧)، وابن ماجه (٦٥٥)، وأحمد (٦/ ١٥٠، ٢١٨، ٢٥٩)، وغيرهم، وانظر: «إرواء الغليل» برقم (١٩٦).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٦٣٧).

(٥) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (٦٤٣)، من طريق الحسن بن ذكوان، ضعيف عن سليمان الأصول، عن عطاء، عن أبـي هريرة. وإسناده ضعيف، فيه الحسن بن ذكوان، وقد تابعه سعيد بن أبـي عروبة، وحماد بن سلمة، أخرجه الترمذي (٣٧٨)، والدارمي برقم (١٣٧٩)، من طريق سعيد وحماد عن عِسْل بن سفيان، عن عطاء به. وعسل ضعيف الحديث. والسَّدْلُ: هو إسبال الرجل ثوبه من غير أن يضم جانبيه بين يديه، فإن ضمه فليس بسدل، قاله أبو عبيد كما في اللسان مادة [سدل]. وقال الخطابي في «المعالم» (١/ ١٧٩): «السدل: إرسال الثوب حتى يصيب الأرض».

(٦) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦٥٩/ ٢٦٧).

٣٥٩ ــ وذكر أبو داود في مراسيله عن يحيى بن جابر، أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم» فذكر الحديث، قال: «وامرأة قامت إلى الصلاة وأذنها بادية»[١].

باب فِي القِبلَةِ

٣٦٠ ــ الترمذي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[٢].

٣٦١ ــ وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة»[٣].

باب في الإمَامَةِ وَحُكمِهَا وَإمَامَة المفضُولِ

٣٦٢ ــ وصلى النبي ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف، وهو حديث صحيح ذكره مسلم بن الحجاج وغيره.

٣٦٣ ــ وَيُروى: «من أشراط الساعة أن يتدافع الناس الإمامة»[٤] يعني أن يُقدَم الرجل فيأبى ويقول قدموا غيري، فيتدافعونها حتى لا يتقدم أحدٌ.

٣٦٤ ــ ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: كنت مع جماعةٍ أصحابي، فضربت الصلاة، فسألنا رجُلاً أن يصلي بنا فأبى، فصلينا أفذاذاً، فرأى ذلك الممتنع من الإمامة النبي ﷺ فيما يرى النائم، وهو يقول: «سألتك أمتي أن تقيم سنتي فأبيت، لا أفلحت من هذا اليوم».

يخرج من هذا ــ والله أعلم ــ على أن هذا الرجل الممتنع من الإمامة كان آقرأ القوم وأفقههم، وكان الواجب عليه أن يتقدم لمكانة القراءة والفقه، فلذلك قيل له ما قيل، وجائز أن يكون فيهم من هو مثله، أو أولى بالإمامة منه، فجعل لهذا هذا العقاب وأخر الآخر حتى يعاقب بما يعاقب أو يغفر الله عزّ وجلّ له وهو خير الغافرين، أو يكون هذا المذكور قد قيل له ما قيل ليكون أصحابه قد اتفقوا على إمامته ورضوا بتقديمه والله أعلم.

---

(١) ضعيف: وذلك لأنه مرسل، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩١ ــ ٣٩٣)، والترمذي (٢٦٠٨).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٤٢ ــ ٣٤٤)، وابن ماجه (١٠١١). وانظر: «السنن للترمذي» (٢/ ١٧١ ــ ١٧٦) هامش للشيخ أحمد شاكر.

(٤) انظر: «سنن أبي داود برقم (٥٨١).

٣٦٥ ــ ومما يروى عن بعض الصالحين من قُدمَ للإمامة، قال ابن مجاهدٍ: قدمت رجُلاً من أصحابنا فصلى بنا صلاة الظهر، فلما كبر غشي عليه، فلم يفق إلى وقت الظهر من الغد، فقلت له: ما لك؟ فقال: إذ قدمتموني هتف بـي هاتف من قلبـي يقول إن لم يعرفك هؤلاء أليس أعرفك أنا فغشي عليَّ.

٣٦٦ ــ ويروى عن أبـي عمرو بن العلاء، أنه قدم ليصلي بالناس فالتفت إلى من خلفه، وقال: استووا، فلما قال استووا غُشي عليه، فلما أفاق قيل له: ما أصابك؟ قال: حين قلت استووا وقع بقلبـي كأن قائلاً يقول لي: كأنك استويت لي قط من عمرك طرفة عين حتى تسوي غيرك.

٣٦٧ ــ مسلم عن أبـي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرأهم»[1].

٣٦٨ ــ وعن أبـي مسعود ــ هو البدري ــ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم إسلاماً، ولا يُؤَمَنَّ الرجل في سلطانه ولا يُعقد في بيته على تكرمتِهِ إلا بأذنه»[2] ويروى سناً مكان إسلاماً.

٣٦٩ ــ الترمذي عن أبـي أمامة الباهلي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الأبق، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون»[3].

٣٧٠ ــ البخاري عن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»[4].

وزاد أبو مسعودٍ الأنصاري: «وذا الحاجة»[5]، وإذا كان مع الإمام واحد جعله عن يمينه على:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦٧٢)، وغيره.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٦٧٣)، وأبو داود (٨٥٢ ــ ٨٥٤)، والترمذي (٢٣٥)، والنسائي (٢/ ٧٦)، وابن ماجه برقم (٩٨٠).

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٣٦٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٤٠٤).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٣)، ومسلم ٤٦٧/ ١٨٣).

(٥) أخرجه هذه الزيادة البخاري (٧٠٢، ٧٠٤)، ومسلم (٤٦٦/ ١٨٢).

٣٧١ ــ حديث ابن عباس، قال: بتُّ عند خالتي ميمونة، فقام النبي ﷺ يصلي من الليل، فقمت أصلي معه، فقمت عن يساره، فأخذ بأذني فأقامني عن يمينه. ذكره البخاري ومسلم[١]. فإن كانا اثنين قاما خلف الإمام على.

٣٧٢ ــ حديث مسلم عن جابر: «أنه توضأ ثم قام عن يسار رسول الله ﷺ، قال: فأدارني حتى أقامني عن يمينه، وجاء جبار بن صخر فقام عن يسار رسول الله ﷺ، فأخذ بيدنا جمعاً حتى أقامنا خلفه»[٢]. فإن كان مع الإمام رجل وامرأة قام الرجل عن يمين الإمام والمرأة خلفهما على ما:

٣٧٣ ــ روى أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ صلى به وبأمه ـــ أو خالته ـــ قال: فأقامني عن يمينه وأقام المرأة خلفنا» ذكره مسلم[٣].

باب فِي القِراءة فِي الصَّلاةِ، وَهَيئتها، وَأَحَادِيث فِي أَحكَامِها

٣٧٤ ــ الترمذي عن جابر بن سمرة «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر ﴿السماء ذات البروج﴾ و﴿السماء والطارق﴾ وشبههما»[٤].

٣٧٥ ــ أبو داود عن جابر ـــ أيضاً ـــ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دحضت الشمس صلى الظهر وقرأ بنحوِ من ﴿والليل إذا يغشى﴾ وكذلك الصلوات كلها إلا الصبح فإنه كان يطيلها»[٥].

٣٧٦ ــ مسلم عن أبي قتادة، قال: كان رسول الله ﷺ يُصلي بنا فيقرأ في الظهر والعصر في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورتين، ويسمعنا الآية أحياناً، وكان يطول الركعة الأولى من الظهر ويقصر الثانية، وكذلك في الصبح» وقال البخاري: «وكان يطول في الأولى ما لا يطول في الثانية، وهكذا في العصر، وهكذا في الصبح». وقال مسلم: «وكان يقرأ في الركعتين الآخرتين بفاتحة الكتاب»[٦].

٣٧٧ ــ مسلم عن أبي برزة الأسلمي، «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الغداة

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٩٧)، ومسلم (٧٦٣).
(٢) صحيح: وانظر: «صحيح مسلم» برقم (٧٦٦/١٩٦).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٧)، ومسلم برقم (٥١٢/٢٦٩).
(٤) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٨٠٥)، والترمذي (٣٠٧).
(٥) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٧٠٦).
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٩، ٧٦٢)، ومسلم (٤٥١).

من الستين إلى المائة»[1].

٣٧٨ ــ وفي مسند أبـي بكر بن أبـي شيبة، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: «إن كان النبـي ﷺ ليأمرنا بالتخفيف، وإن كان ليؤمنا بالصافات والفجر».

٣٧٩ ــ وذكر مسلم عن جابر بن سمرة: «أن النبـي ﷺ كان يقرأ في الفجر بقافِ والقرآن المجيد، وكانت صلاته بعْدُ تخفيفاً»[2].

٣٨٠ ــ مسلم عن ابن عباس: «أن النبـي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿آلم تنزيل﴾[3] السجدة، و﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾[4]»[5].

٣٨١ ــ الترمذي عن علي بن أبـي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الصلاة التطهير، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»[6].

٣٨٢ ــ مسلم عن همام بن يحيـى، عن محمد بن جحادة، عن عبد الجبار بن وائل، عن أبيه، عن أنس: «أن النبـي ﷺ رفع يديه حتى دخل في الصلاة كبر ــــ وصف همامٌ ــــ حيال أذنيه ثم التحف بثوبه، ثم وضع يده اليمنى على اليسرى، فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب ثم رفعها ثم كبر، فلما كبر قال: «سمع الله لمن حمده» رفع يديه من الثوب، فلما سجد سجد بين كفيه»[7].

٣٨٣ ــ أبو داود من حديث وائلٍ ــــ أيضاً ــــ قال: «وضع يده اليمنى على ظهر اليسرى والرسغ والساعد»[8].

٣٨٤ ــ وقال نصر بن علي من حديث ابن عمر: «أنه كان يرفع يديه في كل خفضٍ، ورفعٍ وركوعٍ، وسجودٍ، وقيامٍ، وقعودٍ، وبين السجدتين» ويذكر أن النبـي ﷺ كان يفعل ذلك.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٦١/ ١٧٢).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٥٨/ ١٦٨).
(٣) السجدة [١].
(٤) الإنسان [١].
(٥) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٨٧٩).
(٦) حسن: أخرجه الترمذي برقم (٢٣٨) وحسنه.
(٧) صحيح: الحديث أخرجه مسلم برقم (٤٠١/ ٥٤) من حديث وائل بن حُجْر. وليس من حديث أنس كما قال المصنف رحمه الله تعالى.
(٨) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٧٢٧)، والرُّسْغُ: مفصل ما بين الساعد والكف، والساق والقدم، وجمعه: أرساغ وأرْسُغ. والساعد: ما بين المرفق والكتف من أعلى.

٣٨٥ ـ وذكر الترمذي عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: «ألا أصلي بكم صلاة رسول الله ﷺ؟ فلم يرفع يديه إلا في أول مرة»(١). وأحاديث الرفع أصح.

٣٨٦ ـ مسلم عن أبـي هريرة، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كبر في الصلاة سكت هنيئة قبل أن يقرأ، قلت: يا رسول الله، بأبـي أنت وأمي رأيت سكوتك بين التكبير والقراءة، ما تقول؟ قال: «أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبَرَدِ»(٢).

٣٨٧ ـ أبو داود عن أنس بن مالك، أن رجلاً جاء إلى الصلاة وقد حفزه النفس، فقال: الله أكبر والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما قضى النبـي ﷺ صلاته قال: «أيكم المتكلم بالكلمات، فإنه لم يقل بأساً؟» فقال الرجل: أنا يا رسول الله، جئت وقد حفزني النفس فقلتها، فقال: «لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرونها أيهم يرفعها»(٣).

٣٨٨ ـ مسلم عن عُبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأمِ الكتاب فصاعداً»(٤).

٣٨٩ ـ وذكر أبو بكر بن أبـي شيبة في مسنده، عن أبـي سعيد الخدري: «أمرنا نبينا ﷺ أن نقرأ بفاتحة الكتاب وبما تيسر»(٥) وذكره أبو بكرٍ البزار في مسنده سواء.

٣٩٠ ـ وذكر أبو داودٍ، عن رفاعة بن رافع الزرقي، أن رسول الله ﷺ قال ـ يعني لرجل يتوضأ ـ «توضأ كما أمرك الله، ثم تشهد فأقم، فإن كان معك قرآنٌ فاقرأ به وإلا فاحمد الله وكبره وهلله»(٦) وذكر باقي الحديث.

---

(١) ضعيف: علقه البخاري في «رفع اليدين» (ص١١٢) بصيغه التضعيف، ووصله الترمذي (٢٥٧)، وابن أبـي شيبة (١/ ٢٣٦)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٤١)، وفي «العلل» (١/ ١١٦)، وغيرهم، وقد ضعفه أحمد. في «العلل»، وأبو حاتم في «العلل» لابنه (١/ ٩٦)، وغيرهما كما في «نصب الراية» للزيلعي (١/ ٣٩٥)، و«التلخيص الحبير» لابن حجر (١/ ٢٢٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٧٦٣).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤/ ٣٧)، واللفظ لمسلم.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري في «جزء القراءة خلف الإمام» برقم (١٢).

(٦) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٨٦١).

إنما يكون هذا حتى يتعلم أم القرآن، فإنه فرضٌ عليه أن يتعلمها قبل الصلاة، فإن لم يمكنه ذلك ولا قدر عليه صلى كما أمر ثم اجتهد في تعلمها، ويتعلم معها ما تيسر، وقد كثر الاختلاف في قراءة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في أول أم القرآن، فذهب من لم يَرَ قراءتها واجبة إلى ما:

٣٩١ ــ أخرج مالك في الموطأ عن أبي السائب ــ مولى زهرة ــ قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، هي خداج، هي خداج غير تمام». قال: فقلت: يا أبا هريرة إني أحياناً أكون وراء الإمام فغمز ذراعي وقال: اقرأ بها في نفسك يا فارسي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عزّ وجلّ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا: يقول العبد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿الرحمن الرحيم﴾ يقول الله: أثنى عليَّ عبدي. يقول العبد: ﴿مالك يوم الدين﴾ يقول الله: مجدني عبدي. يقول العبد: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. يقول العبد: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»[1].

٣٩٢ ــ وإلى ما أخرج مسلم من حديث أنس بن مالك، قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر، وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾» وفي لفظ آخر: «فكانوا يستفتحون القراءة بــ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ لا يذكرون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في أول قراءة ولا في آخرها»[2].

وقد ذهبوا إلى غير هذا، وقد وردت أحاديث في قراءتها منها:

٣٩٣ ــ حديث نعيم بن عبد الله المجمر، قال: صليت خلف أبي هريرة فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ حتى بلغ ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾،

---

(١) **صحيح**: أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٨٤ ــ ٨٥ برقم ٣٩)، ومسلم برقم (٣٩٥/ ٨). والخداج: النقصان.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٣)، ومسلم (٣٩٩/ ٥٠ ــ ٥٢).

وقال في آخر الحديث: «والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ». ذكره أبو الحسن الدارقطني[1]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة. ورأى بعضهم أنها آية من أم القرآن.

٣٩٤ ــ مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». قال ابن شهاب: وكان رسول الله ﷺ يقول آمين[2].

٣٩٥ ــ وذكر الترمذي من حديث وائل بن حجر، قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فقال: آمين ومد بها صوته. وقال: حديث حسن[3].

٣٩٦ ــ وذكر أبو داود عن خالد بن أبي عمر، أن النبي ﷺ كان يقول في القنوت: «اللهم إنّا نستعينك ونستغفرك، ونؤمن بك ونخشع لك، ونخلع ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد إن عذابك بالكفار ملحق»[4] وهذا الحديث مرسل.

وقد روي عنه عليه السلام في هذا دعاء آخر سيأتي في الوتر من صلاة الليل إن شاء الله، وقد روي عنه القنوت في كل صلاةٍ، والذي لم يزل عليه إلى أن مات. فالقنوت في صلاة الصبح.

٣٩٧ ــ مسلم عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: صليت إلى جنب أبي وجعلت يدي بين ركبتي، فقال لي أبي: اضرب بكفيك على ركبتيك، قال: ثم فعلت ذلك مرة أخرى، فضرب يدي، وقال: «إنّا نهينا عن هذا» وأمرنا أن نضرب بالأكف على الركب[5]. قوله: «جعلت يدي بين ركبتي» يعني في الركوع.

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٢/ ١٣٤)، والدارقطني (ج١/ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦)، وابن خزيمة برقم (٤٤٩)، وابن حبان برقم (٤٥٠ ــ ٤٥١/ موارد)، وغيرهم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٨ ــ ٢٤٩)، والطيالسي برقم (١٨٠٢)، والدارقطني (١/ ٣٣٤)، وابن حبان برقم (٤٤٧ ــ موارد)، وقد حسن الترمذي، وصححه الدارقطني وابن حبان.

(٤) ضعيف: وذلك لأنه مرسل، والمرسل من أنواع الحديث الضعيف.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٨٩٠)، ومسلم (٥٣٥).

٣٩٨ ــ أبو داود عن عقبة بن عامر، قال: لما نزلت ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم»[١].

٣٩٩ ــ وعن حذيفة بن اليمان، أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم» وفي سجوده: «سبحان ربي الأعلى» وما مر بآية رحمةٍ إلاَّ وقف عندها وسأل، ولا بآية عذابٍ إلا وقف عندها وتعوذ[٢].

٤٠٠ ــ مسلم عن عائشة، أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»[٣].

٤٠١ ــ وعن عائشة، قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلةٍ من الفراش، فالتمسته فلمسته فوقعت يدي على بطن قدميه في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[٤].

٤٠٢ ــ أبو داود عن أبي مسعودٍ الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزىء صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود»[٥] وذكره محمد بن يوسف الفريابي في مسنده وقال: «لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه إذا رفع رأسه من الركوع والسجود» والإسناد واحد وهو صحيحٌ.

٤٠٣ ــ مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[٦].

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (٧٦٩ ــ ٥٠٢)، وابن ماجه (٨٨٧)، ويعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٢/ ٥٠٢)، وغيرهم، وفي سنده موسى بن أيوب الغافقي، مقبول الحديث إذا توبع عليه، أمّا إذا لم يتابع عليه فهو ضعيف، ولم أجد من تابعه، والله أعلم.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٨٧١).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٨٧).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٨٥٥).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤٠٩).

٤٠٤ ــ البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي، قال: كنا نصلي يوماً وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة، قال رجل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: «من المتلكم» قال: أنا. قال: «رأيت بضعاً وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول»[١].

٤٠٥ ــ أبو داود عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ كان يقول حين يقول سمع الله لمن حمده: «اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبدٌ، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[٢].

٤٠٦ ــ أبو داود عن وائل بن حُجرٍ، قال: «رأيت رسول الله ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه، وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه»[٣].

٤٠٧ ــ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سجد أحدكم فلا يسجد كما يسجد البعير، وليضع يديه قبل ركبتيه»[٤] وهذا أحسن إسناداً من الذي قبله.

٤٠٨ ــ مسلم عن أنس بن مالكٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»[٥].

٤٠٩ ــ وعن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك»[٦].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٩٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٧٧)، وأبو داود (٨٤٧)، وأحمد (٣/ ٨٧)، والنسائي (٢/ ١٩٨ ــ ١٩٩)، والدارمي (١٣١٩)، وغيرهم.

(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (٨٣٨)، والنسائي (٢/ ٢٠٦)، وابن ماجه برقم (٨٨٢)، وغيرهم، وسنده ضعيف فيه شريك القاضي، ضعيف لسوء حفظه.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٨٤٠)، والنسائي (٢/ ٢٠٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ق ١/ ١٣٩)، وغيرهم.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٨٨٢)، ومسلم (٤٩٣/ ٢٣٣).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٩٤/ ٢٣٤).

٤١٠ ــ وعن عبد الله بن مالكٍ ابن بحينة: «أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى فَرَّجَ بين يديه حتى يبدو بياض إبطيه»[١].

٤١١ ــ البخاري عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الجبهة وأشار بيده على أنفه واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين، ولا نكفت الشعر، ولا الثياب». وقال مسلم بن الحجاج: «الجبهة والأنف»[٢].

٤١٢ ــ الترمذي عن العباس بن عبد المطلب، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آرَابٍ: وجهه، وكفاه، وركبتاه، وقدماه»[٣].

٤١٣ ــ وذكر أبو الحسن الدارقطني، في كتاب «السنن» له، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يضع أنفه على الأرض»[٤].

٤١٤ ــ مسلم عن ابن عباس، قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: «أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له، ألا وإنيّ نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً، أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم»[٥].

٤١٥ ــ النسائي عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إن اليدين تسجدان كما

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٠٧)، ومسلم (٤٩٥/ ٢٣٥). قوله: «عبد الله بن مالكٍ ابن بحينة» الصواب فيه أن ينون مالك، ويكتب ابن بالألف، لأن ابن بحينة ليس صفة لمالك بل صفة لعبد الله، فمالك أبو عبد الله، وبحينة أمه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨١٢)، ومسلم (٤٩٠/ ٢٣٠ ــ ٢٣١). وقوله: «نكفت»: الكفت: الجمع والضم.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي برقم (٢٧٢)؛ والآراب: أي أعضاء، جمع: إرب، بكسر الهمزة وسكون الراء.

(٤) صحيح: أخرجه الدارقطني (١/ ٣٤٨).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٧٩/ ٢٠٧). وقوله: «فقمن» بفتح الميم وكسرها، لغتان مشهورتان، فمن فتح فهو عنده مصدر لا يثنى ولا يجمع، ومن كسر فهو وصف يثنى ويجمع، ومعناه: حقيق وجدير.

يسجد الوجه، فإذا وضع أحدكم وجهه فليضع يديه، وإذا رفعه فليرفعهما»[1].

٤١٦ ــ البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: «أن أبا هريرة كان يكبر في كل صلاةٍ من المكتوبة وغيرها في رمضان وغيره، فيكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائمٌ: ربنا ولك الحمد، ثم يكبر حين يهوي ساجداً، ثم يكبر حين يرفع رأسه من السجود، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه من السجود، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم بعد الجلوس، ثم يقول أبو هريرة: إني لأشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ إن كانت هذه لصلاته حتى فارق الدنيا»[2].

٤١٧ ــ مسلم عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يُعلمنا يقول: «لا تبادروا الإمام، إذا كبر فكبروا، وإذا قال ﴿ولا الضالين﴾ فقولوا آمين، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد»[3].

٤١٨ ــ وعن ابن عباس، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع، ولا بالسجود، ولا بالانصراف، فإني أراكم أمامي ومن خلفي ثم قال: «والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قالوا: يا رسول الله، ما رأيت؟ قال: «رأيت الجنة والنار»[4].

٤١٩ ــ أبو داود عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، ولا تكبروا حتى يكبر، وإذا ركع فاركعوا ولا تركعوا حتى يركع، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا ولا تسجدوا حتى يسجد، وإذا صلى قائماً فصلوا قياماً، وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعون»[5].

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٢/ ٢٠٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٨٠٣).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤١٥/ ٨٧).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٢٦/ ١١٢) من حديث أنس، لا من حديث ابن عباس كما ذكر المؤلف رحمه الله.

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٦٠٣).

قال البخاري: قال الحميدي: قوله: «إذا صلى جالساً فصلوا جلوساً» هو في مرضه القديم، ثم صلى بعد ذلك النبي ﷺ جالساً والناس خلفه قيامٌ لم يأمرهم بالقعود، وإنما يؤخذ بالآخر من فعل النبي ﷺ. وذكر حديث خروج النبي ﷺ لصلاة الظهر في مرضه، فوجد أبا بكر يصلي بالناس، فذهب أبو بكرٍ ليتأخر فأومأ إليه بأن لا يتأخر، فأجلس إلى جنب أبي بكر فجعل أبو بكرٍ يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعدٌ» وفي كتاب مسلم، وأبو بكر قائمٌ[1].

٤٢٠ ـ مسلم عن البراء بن عازب أنهم كانوا يصلون خلف رسول الله ﷺ فإذا رفع رأسه من الركوع لم أر أحداً يحني ظهره حتى يضع رسول الله ﷺ جبهته على الأرض، ثم يخر من وراءه سُجّداً»[2].

٤٢١ ـ وعند أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قال «سمع الله لمن حمده» قام حتى نقول قد أوهم، ويسجد ويقعد بين السجدتين حتى نقول قد أوهم»[3].

٤٢٢ ـ البخاري عن البراء بن عازب، قال: «كان ركوع رسول الله ﷺ وسجوده وبين السجدتين، وإذا رفع رأسه من الركوع ما خلا القيام والقعود قريباً من السواء»[4].

والأصح في النقل والأكثر «أنه عليه السلام كان إذا رفع رأسه من السجدة الثانية في الركعة الأولى جلس على الأرض ثم قام». ذكره البخاري وغيره، وكان يفعل ذلك في الركعة الثالثة.

٤٢٣ ـ وذكر مسلم من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ فرد رسول الله ﷺ، وقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» فرجع الرجل فصلى كما كان صلى، ثم جاء

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٦٨٩)، ومسلم برقم (٤١٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٩٠)، ومسلم (٤٧٤).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٤٧٣)، وقوله: «أوهم» أي: أسقط ما بعده؛ من أوهمت في الكلام والكتاب، إذا أسقطت منه شيئاً، أو معناه: أوقع في وهم الناس، أي في ذهنهم، أنه تركه.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٧٩٢، ٨٠١، ٨٢٠).

إلى النبـي ﷺ فسلم عليه، فقال رسول الله ﷺ: «وعليك السلام» ثم قال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» حتى فعل ذلك مراتٍ، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا علمني، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»[1].

٤٢٤ ــ وذكر أبو بكر بن أبـي شيبة في مسنده، أن هذا الرجل كان لا يتم الركوع ولا السجود ــ يعني في هذه الصلاة التي أمره رسول الله ﷺ بإعادتها ــ ؛ ذكره من حديث أبـي هريرة أيضاً.

٤٢٥ ــ وذكر أبو عمر ابن عبد البر في التمهيد في باب مالك، عن يحيى بن سعيد، من حديث أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن شر الناس سرقة الذي يسرق صلاته» قالوا: وكيف يسرق صلاته؟» قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»[2].

وهذا الحديث في الموطأ منقطعٌ، ووصله أبو عمر رحمه الله تعالى، هذا حكم الظاهر، وأما حكم الباطن من الخشوع وحضور القلب فحكم آخر، والذي تَعمل تُجازى به، وبالذي تكيل يكال لك، وكما تدين تدان.

باب الجُلوسِ للتَشَهُّد، وَمَا يُقَال فيهِ، وَالسَّلَام مِنَ الصَّلَاةِ

٤٢٦ ــ البخاري عن محمد بن عمرو بن عطاء، أنه كان جالساً مع نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ قال: فذكرنا صلاة رسول الله ﷺ فقال أبو حميد الساعدي: «أنا كنت أحفظكم لصلاة رسول الله ﷺ، رأيته إذا كبر جعل يديه حذو منكبيه وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه ثم نفض ظهره، فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقارٍ إلى مكانه، فإذا سجد وضع يديه غير مفترشٍ ولا قابضهما واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة، وإذا جلس في الركعتين جلس

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٧، ٧٩٣، ٦٢٥١، ٦٢٥٢، ٦٦٦٧)، ومسلم برقم (٣٩٧/ ٤٥ ــ ٤٦).

(٢) هذا الحديث لم أجده في موطأ مالك برواية يحيى بن يحيـى الليثي، والله أعلم.

على رجله اليسرى ونصب اليمنى، وإذا جلس في الركعة الأخيرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته»[١].

٤٢٧ ـ مسلم عن عبد الله بن الزبير، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قعد في الصلاة جعل قدمه اليسرى بين فخذيه وساقه وفرش قدمه اليسرى فخذه وساقه، وفرش قدمه اليمنى ووضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع اليمنى على فخذه وأشار بإصبعه ـــ وقال من حديث ابن عمر: ورفع إصبعه ـــ التي تلي الإبهام ودعا بها».

٤٢٨ ـ ومن حديث عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بـــ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً، وكان إذا رفع رأسه من السجود لم يسجد حتى يستوي جالساً، وكان يقول في ركعتين التحيات، وكان يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى، وكان ينهى عن عَقبةِ، وهي أن يفرش الرجل ذراعيه افتراش السبع، وكان يختم الصلاة بالتسليم».

٤٢٩ ـ البخاري عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: كنا إذا كنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلانٍ وفلانٍ، فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به». وفي هذا الحديث بعد قوله: «وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك أصاب كل عبدٍ مسلمٍ في السماء ـــ أو بين السماء والأرض» وقال مسلم: «أصابت كل عبدٍ لـلّـه صالح في السماء والأرض».

٤٣٠ ـ مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال»[٢].

٤٣١ ـ الترمذي عن فضالة بن عبيدٍ، قال: سمع رسول الله ﷺ رجُلاً يدعو في

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٢٨).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥٨٥، ٣٥٨٨)، وأبو داود (٩٨)، والنسائي (٣/٥٨)، وابن ماجه (٩٠٩)، وأحمد (٢/٢٣٧)، وغيرهم كثير.

صلاته، فلم يصلِّ على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «عجل هذا» ثم دعاه، فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصلِّ على النبي ﷺ، ثم ليدع بعد بما شاء»[1].

٤٣٢ ــ مسلم عن أبي مسعودٍ، قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بسر بن سعيد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد». والسلام كما قد علمتم. وقد ورد في الصلاة على النبي ﷺ ألفاظٌ أُخر وكلها صحاح.

٤٣٣ ــ وذكر محمد بن إسحاق هذا الحديث من حديث أبي مسعودٍ ــ أيضاً ــ قال: جاء رجل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ونحن عنده، فقال: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عَليك في صلاتنا. وذكر الحديث في الصلاة عليه ﷺ. ذكره الدارقطني في السنن.

٤٣٤ ــ أبو داود عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يحل لأحدٍ أن يفعلهن: لا يؤم رجل فيخص نفسه بالدعاء دونهم، فإن فعل فقد خانهم، ولا ينظر في قعر بيتٍ قبل أن يستأذن فإن فعل فقد خان، ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف»[2].

٤٣٥ ــ أبو داود عن عبد الله بن مسعودٍ «أن النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه وعن شماله حتى يُرى بياض خده: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله».

٤٣٦ ــ وذكر البخاري من حديث أم سلمة ــ زوج النبي ﷺ ــ «أن النبي ﷺ كان إذا سلم يمكث في مكانه يسيراً» قال ابن شهاب: فنرى والله أعلم لكي يتعدى من ينصرف من النساء.

باب يَنصَرفُ المصَلِي إِذَا سَلّم مِنْ أَينَ شاء عَن يَمينهِ أو عن شمَالِهِ

٤٣٧ ــ ذكر مسلم عن البراء بن عازب، قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/١٨)، وأبو داود (٤٦٨)، والترمذي (٣٥٤٤، ٣٥٤٦)، والنسائي (٣/ ٤٤ ــ ٤٥)، وابن حبان (١٩٥١؛ ــ موارد)، وابن خزيمة (٧٠٩، ٧١٠)، والحاكم (١/ ٢٣٠)، وغيرهم.

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (٩٠)، وانظر: «مشكاة المصابيح» برقم (١٠٧٠) وهامشه للشيخ الألباني.

أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه، فسمعته يقول: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك ـــ أو جمع عبادك».

٤٣٨ ـ وعن عبد الله بن مسعودٍ، قال: «لا يجعلن أحدكم للشيطان جزءاً من صلاته. يرى حقّاً عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه أكثر ما رأيت رسول الله ﷺ ينصرف عن شماله».

باب مَا يَقُول بَعدَ الصَّلاَةِ

٤٣٩ ـ مسلم عن ثوبان، قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[1].

٤٤٠ ـ وعن المغيرة بن شعبة، أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم، قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[2].

٤٤١ ـ وعن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن الجميل، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون». وقال: كان رسول الله ﷺ يُهلل بهن دُبر كل صلاةٍ.

٤٤٢ ـ وعن محمد بن عجلان، عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أذهَبَ أهل الدثورِ بالدرجات العلى والنعيم والمقيم، فقال: «وما ذلك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين مرة». قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٩١)، وأبو داود برقم (١٥١٣)، والنسائي (٣/٦٨)، والترمذي (٣٠٠)، وابن ماجه (٩٢٨)، وغيرهم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

قال سمي: فحدثت بعض أهلي بهذا الحديث فقال لي: وهمت إنما قال: «يسبح الله تعالى ثلاثاً وثلاثين، ويحمد الله ثلاثاً وثلاثين، ويكبر الله ثلاثاً وثلاثين» فرجعت إلى أبـي صالح فقلت له ذلك، فأخذ بيدي وقال: الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله حتى بلغ من جميعهن ثلاثاً وثلاثين. قال ابن عجلان: فحدثت بهذا الحديث رجاء بن حيوة فحدثني بمثله عن أبـي صالح، عن أبـي هريرة، عن النبـي ﷺ.

٤٤٣ ــ وعن كعب بن عجرة، عن النبـي ﷺ قال: «مُعقبات لا يخيب قائلهن ـــ أو فاعلهن: ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة».

٤٤٤ ــ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبح الله دبر كل صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون». وقال: «تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

٤٤٥ ــ النسائي عن ابن عمر، أن رجلاً رأى فيما يرى النائم، قيل له: أي شيءٍ أمركم نبيكم؟ قال: أمرنا أن نسبح ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين فذلك مائة، فقال: سبحوا خمساً وعشرين، واحمدوا خمساً وعشرين، وكبروا خمساً وعشرين، وهللوا خمساً وعشرين فتلك مائة. فلما أصبح ذكر ذلك للنبـي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا كما فعل الأنصاري».

٤٤٦ ــ وعن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبح الله في دبر كُلّ صلاةِ الغداةِ مائةَ تسبيحةٍ، وهلل مائةَ تهليلةٍ غُفر له ذُنوبه ولو كانت مثل زبد البحر».

٤٤٧ ــ الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «خُلتانِ لاَ يُحصِيهمَا رجُل مُسلم إلا دخل الجنةَ، ألا وَهُمَا يسيرٌ، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله في دبر كل صلاةٍ عَشراً، ويَحمدهُ عشراً، ويُكبرهُ عشراً» قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيد، قال: «فتلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده فتلك مائةٌ باللسان وألف في الميزان، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة؟» قالوا: وكيف لا نحصيها، قال: «يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، حتى يثقل فلعله لا يفعل، ويأتيه وهو في مجضعه فلا يزال ينومه حتى ينام».

٤٤٨ ــ النسائي عن عروة بن الزبير، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلساً أو صلى تكلم بكلماتٍ، فسألته عائشة عن الكلمات، فقال: «إن تكلم بخيرٍ كان طابعاً

عليهن، وإن تكلم بغير ذلك كان كفارة لهن: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك».

٤٤٩ ــ وعن الصنابحي، عن معاذ بن جبلٍ، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي يوماً، ثم قال: «والله يا معاذ إني لأحبك» فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وإني والله لأحبك. قال: «أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاةٍ: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(١).

٤٥٠ ــ الترمذي عن سعد بن أبي وقاصٍ، أنه كان يُعَلم بَنيهِ هؤلاء الكلمات كما يُعَلم المُكَتّبُ الغلمان، ويقول: «إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دبر كل صلاةٍ: اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر»(٢).

٤٥١ ــ النسائي عن أبي بكرة، أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاةٍ: «اللهم أعوذ بك من الكفر وعذاب القبر»(٣).

٤٥٢ ــ وفي مسند البزار عن شداد بن أوسٍ، أن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار إذا انصرف أحدكم من صلاته أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»(٤).

٤٥٣ ــ النسائي عن الحارث، عن مسلم التميمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم: اللهم أجرني من النار سبع مراتٍ، فإنك إن مُتَّ من يومك كتب الله لك جوازاً من النار، فإذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم: اللهم أجرني من النار سبع مراتٍ، فإنك إن مُتَّ من ليلتك كتب الله لك جوازاً من النار».

٤٥٤ ــ النسائي عن أبي أمامة الباهلي، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاةٍ مكتوبةٍ لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٣/ ٥٣)، وأحمد (٥/ ٢٤٤ ــ ٢٤٥)، وغيرهم.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٦٥)، والترمذي (٣٥٦٧)، والنسائي (٨/ ٢٥٦، ٢٦٦)، وغيرهم.
(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٠٣)، والنسائي (٣/ ٧٣ ــ ٧٤)، وأحمد (٥/ ٣٦، ٣٩)، وغيرهم.
(٤) ضعيف: وأخرجه أيضاً النسائي (١/ ١٩٢)، والترمذي (٢/ ٢٤٨)، وأحمد (٤/ ١٢٥)، وانظر: «مشكاة المصابيح» للتبريزي (٩٥٥)، وتعليق الشيخ الألباني عليه.

يموت»[1].

٤٥٥ ــ وعن عقبة بن عامرٍ، قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاةٍ»[2].

باب في الجُلُوسِ فِي المُصَلَى حَتّى تَطلُعَ الشَّمس

٤٥٦ ــ ذكر مسلم بن الحجاج عن سماك بن حربٍ، قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تُجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيراً، كان لا يقوم من مُصَلاهُ الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم.

٤٥٧ ــ وذكر الترمذي من حديث أبي ظُلالٍ، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الغداة في جماعةٍ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجةٍ وعُمرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «تامة تامة»[3].

قال البخاري: أبو ظلالُ مقارب الحديث، يريد أن حديثه يقرب من حديث الثقات، أي لا بأس به.

صَلاَةُ المَرِيضِ وَصَلاَةُ الصَّحِيح قَاعِداً فِي النَّافِلَةِ

٤٥٨ ــ البخاري عن عمران بن حصين، قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي ﷺ، فقال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبٍ».

٤٥٩ ــ وعنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل وهو قاعدٌ، فقال: «من صلى قائماً فهو أفضل، ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم».

٤٦٠ ــ مسلم عن عبد الله بن عمروٍ، قال: حُدثت أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة» فأتيته فوجدته يُصلي جالساً، فوضعت يدي على رأسه، فقال: «ما لكِ يا عبد الله بن عمرو؟» قال: حُدثت يا رسول الله أنك قلت: «صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة» وأنت تصلي قاعداً، قال: «أجل ولكني لست كأحدٍ منكم».

---

(١) حسن: أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (١٠٠)، وابن السني برقم (١٢٤).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٥٥)، وأبو داود (١٥٢٣)، والترمذي (٣٠٦٧)، والنسائي (٣/ ٦٨)، وغيرهم.

(٣) حسن: وانظر: «المشكاة» برقم (٩٧١).

٤٦١ ــ وعن عبد الله بن شقيقٍ العُقيلي، قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ، فقالت: «كان يكثر الصلاة قائماً وقاعداً، فإذا افتتح الصلاة قائماً ركع قائماً، وإذا افتتح الصلاة قاعداً ركع قاعداً» وقد صح ــ أيضاً ــ عنها صفةٌ أخرى ذكره مسلم.

٤٦٢ ــ وعنها أن رسول الله ﷺ كان يصلي جالساً فيقرأ وهو جالس، فإذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين آية ــ أو أربعين آية، قام فقرأ وهو قائمٌ، ثم ركع، ثم سجد، ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك. ذكرت أن هذه الصلاة صلاها رسول الله ﷺ بعدما كبر.

٤٦٣ ــ النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «رأيت النبي ﷺ يصلي مربعاً».

في معنى قول المصلي الله أكبر، وقوله سمع الله لمن حمده، ومعنى التسليم:

قال بعض العلماء: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخد ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾ [الإسراء: ١١١]، أخبر جل جلاله رسوله ﷺ أن تكبيره سبحانه لا يكون إلاّ على هذه الأوصاف التي وصف بها نفسه أنه لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك كما قال تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ [الإخلاص: ٣ ــ ٤] لم يكن له شريكٌ في ملكه ينازعه، ولا نظير يقارنه، ولا ولي يتكثر به من القلة، ولا نصير يتعزز به من الذلة، فأمر نبيه ﷺ أن يحمد من هذه صفته من أجل أن الحمد لا ينبغي إلا له، ولا يجب لأحدٍ سواه، لأن من هذه صفته فاصل النعم كلها من عنده، وهو المتفرد بها، وإن أجرى بعضها على يدي من شاء من خلقه فهو المجري لها، فلا يكون الحمد خالصاً إلا له، ولا تصلح الكبرياء إلا له، كما قال تعالى: ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ [الجاثية: ٣٧] فأخبر تعالى أن الكبرياء في السموات ليس إلا له، والكبرياء الكبر، العزة، والعظمة، والجلال، والسلطان، والقدرة، والكمال، وهو العزيز في ملكه الذي عز فقدر، وتعظم فقهر، الحكيم الذي خلق كل شيء بحكمته، وأجراه على مشيئته، وجعله متصرفاً على قبضته. فقول العبد الله أكبر إنما معناه الله أكبر من كل شيء دونه، وإن كان ما دونه صغير بالإضافة إليه، فالواجب عليه أن يعتقد أنه ليس في السموات السبع ولا في الأرضين السبع من يضر ولا ينفع غيره، وأن من نظر إلى مخلوق بعين الضر والنفع فلم يكبر الله سبحانه عزّ وجلّ حق تكبره، ولا عظمه حق تعظيمه، من أجل أنه قد أشرك معه في ملكه لما أضاف إليه الضر والنفع، ولهذا قال جلّ وعزّ لنبيه عليه السلام: ﴿وكبره تكبيراً﴾ [الإسراء: ١١١] بعد إخباره إياه أنه لا شريك له في ملكه ليكون تكبيره إياه مستوفياً من الصلاة التي لا تنبغي إلا له، ولهذا أخبر رسول الله ﷺ أن التكبير يملأ ما بين السموات والأرض، أراد به يملأ ما بينهما نوراً إذا كبر على الوجه المتقدم ذكره، فإذا

قال العبد الله أكبر على يقين أنه أكبر من أن يُرَدّ قضاؤه، أو يتعقب حكمه، أو تخالف مشيئته أو يضُرّ دونه ضارٌ، أو ينفع دونه نافعٌ، حتى لا يكون في قلبه سواه، فكأنه لم ير في السموات ولا في الأرض، ولا فيما بينهما شيئاً إلا الله وحده، فإذا رفع العبد الوسائط بينه وبين معلاه، ولم ير ما بين العرش إلى الثرى شيئاً سواه، وصغر ما دونه، وترك النظر إلى غيره، ملأ الله له ما بين أرضه وسمواته نوراً وجعل له ما بينهما قُواماً وخُداماً لأنه أخرج ما بين الطبقتين وما فيهما من سره ملأ الله له ما بين الكونين من بره، وينبغي للعبد إذا قال في صلاته الله أكبر عند افتتاحهما أن يكون ذكر الله في قلبه أكبر وأعظم من أن يذكر معه سواه، أو يخلط بذكره شيئاً من دنياه إجلالاً له وتعظيماً، ولهذا سمى رسول الله ﷺ هذا التكبير تحريماً، فقال عليه السلام حين ذكر الصلاة: «تحريمها التكبير وتحليلها التسليم»، فنبه بهذا على أن الذي يقوم إلى الصلاة إذا كبر تكبيرة الإحرام فقد حرم على نفسه كل ما كان مباحاً له قبلها من الاشتغال بالدنيا ومعاشها، وما كان فيها من مخالطة أهلها، وقد احترم بحرمة الصلاة ودخل في حماها ولم يشغل قلبه بذكر شيء سواها. وأما من كان في صلاته مقبلاً على شهوته وغفلاته فليس لصلاته تحريم ولا لمناجاته حين يناجي ربه فيها تعظيم.

٤٦٤ ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «إن صلاتنا لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الآدميين، إنما هي تهليل وتكبير وقراءة»[١].

ولهذا قيل لتكبيرة الافتتاح تكبيرة الإحرام على التشبيه بالإحرام بالحج، لأن المحرم بالحج إذا بلغ ميقاته تطهر ولبس ثياب إحرامه، وأقبل على ما هو قاصداً إليه فعله وعمله، وحرم على نفسه ما كان مباحاً له قبل دخوله في الإحرام مثل الطيب واللباس والنساء وغير ذلك، فكذلك المصلي إذا أراد أن يدخل في الصلاة وتطهر للوقوف بين يدي ربه، ثم قام إلى الصلاة وأحرم باسم الله العزيز الكبير، وهو قوله الله أكبر معظماً له بقلبه من كبر، وأن يمتلىء هيبة وخوفاً وخشية.

وقد قال بعض العلماء في قوله عزّ وجلّ: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي هو أكبر في قلب الذاكر له من أن يخلط ذكره بشيء سواه.

وقول المصلي سمع الله لمن حمده، معناه: قبل الله حمدي وحمد الحامدين، من أجل

---

(١) حديث صحيح: وهو في «صحيح مسلم» وسنن أبي داود (٩٣٠، ٩٣١)، وغيرهما، وانظر: «إرواء الغليل» برقم (٣٩٠).

هذا يقول المأموم ربنا ولك الحمد، أي ربنا استجب لنا ولك الحمد على ما مننت به علينا وهديتنا إليه، وكذلك يقول المصلي وحده سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، وكان عليه السلام يقولهما جميعاً، والمصلي قبل أن يدخل في صلاته إنما هو كالعبد الآبق عن مولاه، الهارب عن سيده، الذي لم يعطه حق العبودية لما يدخل عليه من الغفلات والزلات والفلتات، فما بين أوقات الصلوات فهو في حال تلك الفلتاتِ والزلاتِ كأنه عبدٌ آبقٌ شارد عن طاعة مولاه، فإنما يقوم المصلي على سبيل التنصل والاعتذار، وطلب العفو والاعتبار، فإذا قام العبد إلى مولاه معتذراً من ذلك الجفاء، مستشعراً للمخافة منه والحياء، قد رمت الهيبة جوارحه، وملأت مراقبة مولاه جوانحه، ثم انحط للركوع خاضعاً مُتذللاً، خاشعاً بعد قراءة أم القرآن المفتتحة بالتحميد وما تيسر من كلامه المجيد فقد خرج من ذلك الجفاء ودخل في العبودية، والحياء، والحمد، والثناء، فلما أخذ في رفع رأسه من الركوع للفصل بينه وبين السجود، وأراد أن يقف منتصباً بين يديه، منتصباً مائلاً رغب لربه تبارك وتعالى أن يكون بحمده قائلاً، والسماع هٰهنا بمعنى القبول، فسمع الله لمن حمده أي قبل الله حمدي كما تقدم، والله ــــ عزّ وجلّ ــــ يكتب للمصلي في قوله سمع الله لمن حمده ثواب كل من دعا له من مؤمنٍ ومؤمنةٍ لأن قوله سمع الله لمن حمده إنما هو دعاء معناه قبل الله حمد من حمده، فلهذا يكتب له ثواب من قالها، لأنه قد جاء في الحديث الصحيح أن المؤمن إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل آمين ولك بمثل ذلك.

وقول المصلي: «التحيات لله» معناه هُنا الملك لله، لأن التحية الملك، وأصله التسليم، فوضعت موضع المُلك مجازاً، وإنما قال التحيات ولم يقل التحية لأن التحية في الجاهلية إنما كانت للملوك، فإذا دخل عليهم من يَلونه ويحكمون عليه حيوهم بتحياتٍ مختلفاتٍ، فيقولون لأحدهم: أبيت اللعن أي أبيت أن تأتي ما تلعن عليه، أي أفعالك كلها محمودةٌ غير مذمومةٍ ويقولون لآخر: عم صبحاً وعم مساءً، أي دام نعيمك صباحاً ومساءً، والآخر أسلم وأنعم، أي ابق سالماً في نعيم، وكانت العجم تقول لملوكها: عش ألف سنةٍ، فكثر هذا حتى وضعت التحية موضع الملك، والعرب تقول: لبث فلان في تحيته خمسين عاماً، أي في ملكه، فأمر المسلمون في التشهد أن يجعلوا تلك التحيات كلها لله أي ذلك الملك الذي كان لأولئك الملوك إنما هو لله تعالى ملك الأملاك، وجبار الجبابرة، وقيوم الدنيا والآخرة، فلذلك جاء الكلام بلفظ الجمع فقيل: التحيات لله، لأن المصلي لو قال التحية لله لأوهم السامع أن المراد بعضها، ولا يكون المُلك على الحقيقة إلا لله وحده كما قال تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ [آل عمران: ٢٦] وقد أباح عليه السلام

للمصلي أن يدعو بعد التشهد بما شاء.

وقال بعض العلماء: أذن الله ــ عزّ وجلّ ــ للمصلي بمقتضى رحمته وسعة جوده أن يدعو في صلاته ويستقضي ربه تبارك وتعالى حوائجه في مناجاته، قال عليه السلام لما عَلَّم التشهد: «فإذا فرغ أحدكم فليدع بما شاء». أذن الله عزّ وجلّ عند فراغه من السجود الذي هو غاية الخضوع أن تجلس بين يديه مُطمئناً قلبه إليه وأن تُحييه بتحية الوصول الذي هو علامة القبول، وأن يسأله حوائجه، فيرغب إليه فيما يصلحه، ويستغفره ليغفر له كما:

٤٦٥ ــ روي أن النبي ﷺ دخل المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد، وهو يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله ﷺ: «قد غفر له، قد غفر له». وأما السلام من الصلاة فإنما هو علم على التحليل منها والانفصال عنها، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «تحريمها التكبير وتحليلها التسليم» والتحليل ضد التحريم، والسلام اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، وهذا دليل على شرف الصلاة وجليل شأنها، ورفع مكانها لأن الله تعالى افتتحها باسمه الكبير الذي يقتضي ترك كل مذكور سواه، وختمها باسمه الذي هو السلام ليكون علماً للمصلي على سلامته عند فراغه منها عن الهفوات والغفلات التي سبقت، وقيل في قول المصلي: «السلام عليكم» أن معناه الله عليكم، أي الذي اسمه السلام هو المشرف على نياتكم، المطلع على حقائق طوياتكم، لا يغرب عنه شيءٌ من الأمور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فخافوه واتقوه، كما قال تعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ [البقرة: ٢٣٥] فأعلمنا الله تبارك وتعالى أنه يعلم سرائرنا، ويشرف على ضمائرنا، ولولا أنه غفور ــ أي يستر علينا ما يعلم من أسرارنا ويطلع عليه من أخبارنا ــ لهتك أستارنا وأظهر عوراتنا، ولو أبدى أخبارنا القبيحة لعظمت علينا فيها الفضيحة، قال الله تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء: ١] وقال عزّ وجلّ: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [الرعد: ٣٣] فتكون الفائدة في قول المصلي «السلام عليكم» تنبيهاً للقلوب على أن الله عزّ وجلّ هو المشرف على سرائرنا، المطلع على ضمائرنا، وأن من هذه صفته لا ينبغي أن يعامل إلا بمعاملةٍ يكون فيها الخلاص، وأن لا يُعبد إلا بعبادةٍ يقترن بها الإخلاص كما قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة: ٥] وقال تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر: ٣].

بـاب ذكـر الخُشُـوع

اعلم رحمك الله أن الخشوع روح الصلاة وحَيَوتها ونورها وضياؤها، وبه تصعد إلى

الملأ الأعلى وتنهض في السموات العلى، والخشوع انكسار القلب وإخباته وتواضعه لله عزّ وجلّ وَذِلته وسكون الجوارح من أجل ذلك. وقد ذكر الله الخشوع في أول ما ذكر من صفاتِ المؤمنين في سورة من كتابه فقال سبحانه: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢] وفي تفسير قول الله سبحانه: ﴿إن إبراهيم لحليم أواهٌ﴾ [هود: ٧٥]، الأواه: الخاشع المتضرع الكثير الدعاء والرغبة.

٤٦٦ ــ وقال عليه السلام لأصحابه رضي الله عنهم: «أترون قلبي هٰهنا، فوالله ما يخفى عليّ ركوعكم ولا خشوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري» ذكره مالك في الموطأ من حديث أبي هريرة، فذكر عليه السلام أنهم كانوا خاشعين.

وقد تقدم قوله ﷺ وذكر الصلوات الخمس: من أتم ركوعهن وخشوعهن فجعل الخشوع من شروط الصلاة التي لا تكمل إلا به.

٤٦٧ ــ وقد قيل: «من صلى بغير خشوع كان كمن أهدى إلى ملكٍ جاريةً بغير روح» ولقد صدق، فإن الخشوع روح الصلاة كما تقدم. وماذا يفيدك أن تحضر جسدك وترفع وتخفض بيديك وقلبك غائب غير حاضرٍ معك؛ وإنما أمرت أن تحضر بكُليتك ولا يغيب شيء منك، وربما كان قلبك أهم ما تحضره من جسدك وتسكن به من جوارحك وأكد عليك من سائرك على أن الطمأنينة في الصلاة فريضة، والسجود على الأعضاء التي أمرت أن تسجد عليها واجبٌ، واستقبال القبلة لا خلاف في لزومه، وقد تقدم في صلاة النبي ﷺ وفي تعليمه الناس.

٤٦٨ ــ وقال عليه السلام: «اسكنوا في الصلاة»، ذكره مسلم من حديث جابر بن سمرة، فأمر عليه السلام بسكون الجوارح فيها.

٤٦٩ ــ وذكر أبو جعفر العقيلي عن الأحوص بن حكيم، عن خالد بن معدان، عن عبادة ابن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ العبد فأحسن وضوءه ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت له الصلاة حفظك الله كما حفظتني ثم يصعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور، وفتحت لها أبواب السماء حتى تنتهي إلى الله تبارك وتعالى فتشفع لصاحبها، وإذا ضيع وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني، ثم صُعد بها إلى السماء فغلقت دونها أبواب السماء، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها[1]» فذكر إتمام الركوع والسجود في هذا الباب والذي تقدم في هذا المعنى يغني عن هذا الحديث وهو أشهر وأعلى إسناداً.

(١) ضعيف: فيه الأحوص بن حكيم، ضعيف الحديث.

٤٧٠ ــ وسئل الجنيد بن محمد رحمه الله عن فرض الصلاة فدل السائل على مجالس الفقهاء، فلما مضى السائل قال لأصحابه: تدرون ما فرضُ الصلاة؟ قالوا: يذكر الشيخ. قال: فرض الصلاة قطع العلائق، وجمع الهمم، والحضور بين يدي الله تعالى.

٤٧١ ــ ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: أن قل لقومك تحضرون بأبدانكم، وتعطوني بألسنتكم، وتُغَيِّبون عني قلوبكم باطلاً ما تذهبون.

فعليك رحمك الله أن تحضر قلبك في صلاتك جهد استطاعتك، ومبلغ طاقتك، وأن لا تصرفه هٰهنا ولا هٰهنا، وأن لا تمر به هكذا وهكذا، وأن ترفع عنه الخواطر المائلة به، والأحاديث الشاغلة له، وأن تسمع ما تقرأ وتعقل ما تفعل، فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت، ولا يكتب لك منها إلا ما فيه حضرت.

٤٧٢ ــ وذكر أبو داود في «كتاب السنن» عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل لينصرف وما كُتب له إلا عُشر صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، نُصفها، ثُلثها».

٤٧٣ ــ وذكر النسائي عن أبي اليسر ــ صاحب رسول الله ﷺ ــ أن رسول الله ﷺ قال: «منكم من يصلي الصلاة كاملة، ومنكم من يصلي النصف، والثلث، والربع، والخمس» حتى بلغ العُشر.

٤٧٤ ــ وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليصلي فما يكتب له عشر صلاته، فالتسع، فالثمن، فالسبع، حتى تكتب له صلاته كاملة».

فعلى حكم هذه الأحاديث إنما يكتب لك من صلاتك ما حضر فيها قلبك، وعقله عقلك.

٤٧٥ ــ وقال سلمان، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: «الصلاة مكيال، فمن وَفَى وفى له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين».

٤٧٦ ــ وقال عليه السلام: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلاً عليهما بقلبِهِ ووجههِ إلا وجبت له الجنة». ذكر مسلم من حديث عقبة بن عامر، فشرط عليه السلام حضور القلب في الصلاة.

٤٧٧ ــ وقال عليه السلام: «إن المصلي يناجي ربه، فلينظر بماذا يناجيه».

واعلم أن المناجي لا يكون مناجياً حتى يعلم من يناجي، وبما يناجي، ويحضر عند المناجاة، فقد علمت كيف يكون العبد منا إذا ناجى سيده من أهل الدنيا، والحر إذا ناجى عظيم قريته، أو أمير بلدته كيف يكون إصغاؤه إليه، وتذلله بين يديه، وخشوع بدنه، وسكون

جوارحه، وحضور قلبه لسماع كلامه وتلقي حديثه، بل الصاحب مع من يُوقر من أصحابه، ويُعظم من إخوانه، فأقل درجتك يا هذا، وأحط منزلتك، وأدنى مرتبتك أن تكون كذلك مع ربك تبارك وتعالى، وكما تحب أن لا تصرف وجهك عن قبلتك في صلاتك فكذلك لا تصرف قلبك عن ربك.

٤٧٨ ــ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الرجل لتشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل الله له صلاته» قيل: وكيف ذلك؟ قال: «لا يتم خشوعها، ولا تواضعها، ولا إقباله على الله عزّ وجلّ فيها».

٤٧٩ ــ وقال عبادة بن الصامت: «أول ما يرفع من الناس الخشوع، يوشك الرجل يدخل مسجداً جماعةً فلا يرى فيه رجلاً خاشعاً».

نعم أمر الوسواس في الصلاة شيء غالبٌ ومبعوثٌ مسلط، ورده بالجملة لا يُطاق، ودفعه كله لا يقدر عليه، ولا يقوم به إلا من أيده الله بتأييده، وأمده بإمداده، ولم تكلف قطع الخواطر عنك أصلاً، ولا منعها من الولوع على قلبك رأساً، ولكن عليك إذا حضرت الاجتهاد في ردها، والمدافعة لها، وبعد جهدك لا تلام إن شاء الله تعالى.

٤٨٠ ــ قال أحمد بن أبي الحواري: قال أبو سليمان الداراني: «إذا قمت إلى الصلاة فتذكر من أنت إليه قائم، وبين يدي من أنت واقف، واعتقد نفي ما يجري عليك من الخواطر المذمومة، فإذا فرغت فاستغفر الله عزّ وجلّ فإنه سبحانه يقبل العقد الأول والآخر، ويغفر ما بينهما برحمته تبارك وتعالى».

٤٨١ ــ وقال أبو حمزة: «يستعان على رد الوسواس بملاحظة قيام الله ــ عزّ وجلّ ــ على القلب وقدرته على العبد».

وقد ذهب طائفة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم إلى تخفيف الصلاة مخافة الوسواس أن تكثر عليهم، ويمنعهم من الإقبال على صلاتهم، فانظر قبل دخولك في الصلاة في الأسباب التي تخاف أن تَشغلك وتُميلك، أو تتذكرها فتذهب بقلبك، فاقطعها كلها عنك، واقطع منها ما أمكن قطعه من غير رخصةٍ، أو استراحة إلى تأويل غير صحيح، ألا تراه عليه السلام قد قال: «لا صلاة بحضرة الطعام» إشارةً والله أعلم، إلى أن يتعلق القلب بالطعام، وأن يكون متفرغاً لما هو فيه من الصلاة، مقبلاً على ما هو فيه من المناجاة، وكذلك وهو يدافع الأخبثين لما في ذلك والله أعلم بما على المصلي من الأشغال والمشقة والأذى في تلك المدافعة، وهذان الحديثان ذكرهما مسلم.

٤٨٢ ــ وذكر مالك في الموطأ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أهدى أبو جهم بن

حذيفة، إلى رسول الله ﷺ خميصة شامية لها علمٌ، فشهد فيها الصلاة، فلما انصرف قال: «ردي هذه الخميصة إلى أبـي جهم فإني نظرت إلى علمها في الصلاة فكاد يفتني».

وقد يكون هذا النظر من النبـي عليه السلام إلى هذه الخميصة تعزية لأمته ورحمة لهم، ورفقاً من الله ــ عزّ وجلّ ــ بهم، وعذراً عنده جل جلاله إذا شغلوا في صلاتهم لضعفهم وقلة حزمهم، أو يكون ذلك لتقتدي به في ذلك أمته، فيتفرغون لصلاتهم بترك ما يشغلهم عنها ويفتنهم فيها، وهذا أصح والله أعلم.

٤٨٣ ــ وذكر مالك ــ أيضاً ــ في الموطأ، عن عبد الله بن أبـي بكرٍ، أن أبا طلحة الأنصاري كان يصلي في حائط له، فطار دبسي فطفق يتردد يلتمس مخرجاً، فأعجبه ذلك، فأتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته، فإذا هو لا يدري كم صلى، فقال: لقد أصابني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى رسول الله ﷺ فذكر له الذي أصابه في ماله من الفتنة، وقال: يا رسول الله، هو صدقة لله فضعه حيث شئت.

٤٨٤ ــ وعن عبد الله بن أبـي بكرٍ ــ أيضاً ــ: أن رجلاً من الأنصار كان يصلي في حائطٍ له بالقُفِ ــ وادٍ من أودية المدينة في زمان التمر والنخل، وقد ذللت فهي مطرقة بتمرها ــ فنظر إليها فأعجبه ما رأى من ثمرها، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى، فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنةٌ، فجاء عثمان بن عفان وهو يومئذ خليفةٌ، فذكر له ذلك وقال: هو صدقة فاجعله في سبيل الخير، فباعه عثمان بخمسين ألفاً، فسُمي ذلك المال الخمسين.

فانظر إلى عزيمة هؤلاء الرجال وقولهم، وزهدهم في الدنيا، ورغبتهم فيما عند الله عزّ وجلّ.

٤٨٥ ــ ويروى عن يوسف بن حبيب أنه قال: قلنا لحبيب بن عبد الله: أوصنا، فقال: أوصيكم بالقرآن فإنه نور الليل المظلم، وهدى النهار المضيء، وأوصيكم بالمجاهدة، والاستدراك لما فات، والاستعداد لما هو آتٍ، وإن عرض لكم بلاءٌ فقدموا أموالكم قبل أنفسكم، ثم أنفسكم قبل أديانكم، فالمحروم من حُرم دينه، والمسلوب من سُلب دينه، وإذا وقفتم بين يدي ربكم في الصلاة فاجعلوا الجنة والنار بين أيديكم، والميزان والصراط حولكم، كأنكم تقولون: ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون.

٤٨٦ ــ وقال أبو القاسم منصور بن أحمد، عن علي بن جعفر، قلت لأبـي سعيد الخراز، أن رجلاً عندنا يقول: لو أن رجلاً وقف يصلي فعرف حقيقة ما هو فيه، ثم جاءت نارٌ التفت إليها حتى تحرقه، فقال: صدق، وسأضرب لك مثلاً إنه من عرف الله ثقلت عليه

السموات والأرض.

٤٨٧ ـ وقال أويس القرني لرجل: «إذا قمت للصلاة فكن كأنك قد قتلت أهل السموات والأرض ـــ يعني من رهبتك وخشيتك وخوفك ممن تقوم بين يديه».

٤٨٨ ـ وقال مروان بن محمدٍ: «ما رأيت سعيد بن عبد العزيز قط في صلاة إلا رأيت دمعه يقطر على الحصير».

٤٨٩ ـ وقال له أبو عبد الرحمن الأسدي: ما هذا البكاء الذي يعتريك في الصلاة؟ قال: وأيش سؤالك عنه؟ قال له: لعل الله أن ينفعني بذلك، قال له: يا ابن أخي ما قمت قط إلى الصلاة إلا ومثلت لي جهنم.

وأوصى رجل من الأنصار ابنه بوصايا، وفيها: وصل صلاة مودع وأنت ترى أنك لا تصلي صلاة بعدها أبداً.

٤٩٠ ـ وقال عليه السلام: «الصلاة تخشعٌ، وتضرعٌ، وتمسكن، وتقنع يديك» يقول: ترفعها إلى ربك مستقبلاً بطونها وجهك، وتقول: يا رب يا رب. ذكر الترمذي من حديث الفضل بن عباس[1].

٤٩١ ـ وذكر البزار من حديث عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مُصراً على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، والمصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزي، واستحفظه مليكي، أحول له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة»[2].

وذكر في هذا الحديث التواضع في الصلاة، ولا يكون التواضع إلا بالخشوع والحضور واجتماع القلب عند من يقوم مصلياً بين يدي، المعنى والله أعلم أن العبد إذا كان على هذه الصفة، وأتى بهذه الصلاة وجب من فضل الله ورحمته قبولها، وإن كان لا يجب على الحقيقة على الله عزّ وجلّ شيءٌ. وإذا لم يكن العبد على هذه الصفة، ولا أتى بهذه الصلاة؛ بقي تحت

---

(١) صحيح: أخرجه أصحاب السنن إلّا النسائي، وانظر: «سنن الترمذي» (٢/ ٢٢٧ ـــ وهامشه للشيخ شاكر).

(٢) ضعيف: أخرجه البزار برقم (٣٤٨ ـ كشف)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٤٧): «... فيه عبد الله بن واقد الحراني، ضعفه النسائي والبخاري وإبراهيم الجوزجاني وابن معين في روايته، ووثقه أحمد وقال: يتحرى الصدق، وأنكر على من تكلم به، وأثنى عليه خيراً، وبقية رجاله ثقات» اهـ.
قلنا: والإسناد ضعيف لضعفه.

الرجاء وانتظار السبب الممتد، والفيض الذي لا ينقطع ولا ينفد.

٤٩٢ ــ ويروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا حضر الصلاة كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه» تعني اشتغالاً منه بالصلاة، وإقبالاً عليها، واهتماماً بها.

٤٩٣ ــ وقال عليه السلام: «جُعلت قُرةُ عيني في الصلاة» ذكره النسائي.

٤٩٤ ــ وكان ﷺ يقول: «يا بلال أرحنا بالصلاة». لأنه كانت راحةً فيها.

٤٩٥ ــ وقد سُئل عليه السلام عن الالتفات في الصلاة، فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» ذكره البخاري عن عائشة رضي الله عنها.

٤٩٦ ــ قال أبو طالب المكي: حدثنا بعض العارفين، قال: صليت ركعتين من السحر، ثم غفوت بعدها فرأيت قصراً عالياً ذا شُرَافاتٍ بيضٍ كأنهن الكواكب، فاستحسنته فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل لي: هذا ثواب الركعتين، ففرحت وجعلت أطوف حوله، فرأيت شرافة من ركنه قد وقعت، فشانه ذلك وعابه، فاغتممت وقلت: لو كانت هذه الشُرافة في موضعها تم حسن هذا القصر، فقال لي غلام كان هنالك: قد كانت هذه الشُرافة في مكانها من القصر إلا أنك التفت في صلاتك فسقطت.

وهذا في النظر في الصلاة إلى المباح أن تنظر إليه في غير الصلاة، وأما النظر إلى ما حرم النظر إليه فإن تعمد ذلك يفسد الصلاة، وفاعل ذلك قد ارتكب مُحرماً وأصاب مأثماً، وأمره إلى الله تعالى.

٤٩٧ ــ يروى عن أبـي يعقوب يوسف بن الخسين رحمه الله تعالى قال: «بينا أنا وذو النون المصري في بعض الزيارات جاء علينا يوم الجمعةِ، فدخلنا بعض القرى لنؤدي فرض الجمعة، ففعلنا وأقمنا حتى صلينا العصر ثم خرجنا، فسلم ذو النون على رجل مكفوف البصر وعليه آثار الخدمة، وبهاء الطاعة، فاغتم ذو النون لكف بصره، فقال له الرجل: يا ذا النون لا تعترض على العادل في حكمه، فإن من نظر إلى سواه كان هذا جزاءه، فلما خرجنا سألت ذا النون عنه فقال: هذا كان يوماً في صلاته فنظر إلى شخصٍ محرم عليه النظر إليه، فندم فلم يزل يبكي على تلك النظرة حتى عمى».

٤٩٨ ــ ويروى عن يحيـى بن زكريا عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل: «وأمركم بالصلاة، فإذا قام أحدكم في صلاته فلا يلتفت، فإن الله عزّ وجلّ لا يزال مقبلاً بوجهه على عبده ما لم يلتفت، وإنما مثل ذلك مثل رجل دخل على سلطان فأخلى له نفسه وقال له حاجتك، فجعل الرجل يلتفت يميناً وشمالاً، فقال له الملك في آخر كلامه: قم فاخرج، فخرج بغير حاجته».

٤٩٩ ــ وقال أحمد بن أبي الحواري: «إذا قام العبد إلى الصلاة قال الله تعالى: ارفعوا الحجب بيني وبين عبدي، فإذا التفت قال: ارخوها ودعوه وما رضي لنفسه».

٥٠٠ ــ وروي عن عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: «إذا قام العبد إلى الصلاة فإنه بين يدي الرحمن سبحانه، فإذا التفت قال له الرب جل جلاله: يا ابن آدم إلى من تلتفت، إلى ربٍ خيرٍ مني تلتفت، أقبل إليَّ فأنا خيرٌ لك ممن تلتفت إليه».

واعلم أن قول الله عزّ وجلّ: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ [المعارج: ٣٤]، يحتمل أن يكون المحافظة على الوقت، والمحافظة على أعمال الصلاة، من قراءةٍ، وقيامٍ، وركوعٍ، وسجودٍ، وغير ذلك من الطمأنينة والسكون، وحضور القلب، وسائر أعمالها، فمن حافظَ عليها هذه المحافظة، وأتى بها على هذه الصفة كان على ما سواها من دينه أشد محافظة، ومن ضيعها كان لما سواها من دينه أشد تضييعاً.

٥٠١ ــ كما قال عمر بن الخطاب: «إن أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع».

٥٠٢ ــ وفي الخبر عن النبي عليه السلام: «من هانت عليه صلاته كان على الله أهون».

٥٠٣ ــ وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول: «يا ابن آدم ماذا يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك».

واعلم أن الخشوع ليس مخصوصاً بالصلاة، بل يكون في كل وقتٍ، ولكنه في الصلاة أقرب إلى الخشوع، إنما يتولد عن تعظيم الله عزّ وجلّ وهيبةٍ له وإجلال لسلطانه، والصلاة موضع تعظيم الله وإجلال له سبحانه وتعالى.

٥٠٤ ــ ويروى أن الله عزّ وجلّ أوحى إلى داود عليه السلام: «يا داود اذكرني حين تذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك، ولكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً، وإذا قمت بين يدي فقم مقام العبد الذليل الحقير، وذم نفسك فإنها أولى بالذم، وناجني حين تناجيني بقلب خائفٍ ولسانٍ صادق».

٥٠٥ ــ ويروى أن الحسن رحمه الله تعالى نظر إلى رجلٍ يعبث بيده في لحيته وهو في الصلاة، فقال: لو خشع قلب هذا خشعت يده. ونظر يوماً إلى رجل يعبث بالحصى في الصلاة وهو يقول: اللهم زوجني من الحور العين، فقال: بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى، وقال تعالى: ﴿وبشروا المخبتين﴾ [الحج: ٣٤]، قيل في

تفسير المخبتين: هم أئمتهُ المتواضعون، يقال: أخبت إلى الله فهو مخبتٌ، إذا تواضع وتضرع، ومنه قوله: ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ [هود: ٢٣] أي خضعوا وتضرعوا، وقيل: أخبتوا: اطمأنوا وسكنت نفوسهم إليه، وأخبت الرجل توقى المأثم، قيل: ومنه: ﴿وبشروا المخبتين﴾ [الحج: ٣٤]. وقال بعض الصوفية: الإخبات: قبض الصفات عن الحركات، قيل له: فما حقيقة ذلك؟ قال: جَمعُ السِرِ أن يَقْسِمَ لغير الله. قالوا له: زدنا، قال: ما فوق هذا عندي مزيد.

٥٠٦ ــ ويروى أن رباحاً القيسي، قال: «غدوت يوماً إلى رابعة العدوية زائراً فوجدتها تصلي، فلما سلمت قالت لي: يا رباح، إني أجد في عيني خشونة، فنظرت في عينها وإذا قطعة قصبٍ كبيرة مغروسة في عينها، وكانت تصلي على باديةٍ ــ يعني على حصيرٍ ــ وإذا قد سجدت بالليل فدخلت القصبة في عينها ولم تشعر لشغلها بصلاتها، وخشوعها في وقت سجودها، وحين مناجاتها. قال رباح: فوالله ما أخرجتها من عينها إلا بعد مشقة، فتعجبت من شغلها عن الأكوان حال وجودها في سجودها».

هذه رابعة كان سرها قد اجتمع عند ربها فلم تحس بما نزل من جسدها.

٥٠٧ ــ وقيل لخلف بن أيوب: «ألا تطرد الذباب عنك في الصلاة؟ قال: لا أعود نفسي شيئاً يُفسد عليَّ صلاتي. قيل له: وكيف تصبر على أذاها؟ قال: بلغني أن من الناس من يصبر تحت السياط ليقال فلانٌ جُلدَ، وفلانٌ صبور، ويفتخر بذلك، أفأتحرك أنا لذبابةٍ تنزل عليَّ وأنا بين يدي ربـي أناجيه، وأتلو كتابه».

وغير بعيد هذا، فإن القلب إذا استغرق بشيءٍ شغل عن شيء آخر، وقد يُنادَى فلا يَسمعُ، وقد يُصاب جسده بما يؤلم الألم الكثير، وبما يوجع فلا يحس به ولا يشعر بوقوعه، وقد شوهد من هذا كثيرٌ.

٥٠٨ ــ ذكر ابن جهضم في كتابه عن أبـي القاسم سمنون المحب، قال: كان في جيراني رجلٌ له جارةٌ، وكان كثير الميل إليها، شديد المحبة فيها، فاعتلت الجارية علة شديدةً فأخذه ما قدم وما حدث، فبينا هو يوماً يحرك حساءً صنعه لها بمحراكٍ إذ قالت الجارية أوه، فسقط المحراك من يده وجعل يحرك الحساء بيده حتى سقط لحم أصابعه وهو لا يشعر، فنظرت إليه الجارية فقالت: ما هذا؟ـ فاستيقظ فنظر إلى أصابعه فرأى لحمها قد سقط، فقال لها: هذا من أجل قولك أوّه. وقد يجد الألم الكثير فيصبر عليه ولا يتحرك عند نزوله.

٥٠٩ ــ ويروى أن رجُلاً ضُربَ بسياطٍ كثيرة فلم يتكلم ولم يتحرك، ثم ضُربَ سوطاً

واحداً فقامت فصاح وتحرك واضطرب، فقيل له: ويلك ضُربت كذا وكذا ولم تتكلم ولا تحركت، ثم ضُربت سوطاً واحداً فقامت قيامك، فقال: إن الذي كنت أُضرب بسببه كان يراني فكنت أصبر له وأتحبب بذلك إليه، وإذا ضُربتُ هذا السوط كان قد صرف عينيه عني، فلما علمت أنه لا يراني ولا يعلم بمكاني لم أقدر على الصبر وكان ما رأيتم.

٥١٠ ــ وممَّا جَرَ ذكر الذباب والصبر عليها، ما ذكر أنه كان بقرطبة رجل من عظمائها وكان كثير الوقار، كثير السكون، كان إذا جلس في جماعة لم يتحرك ولم يتقلب، ولم يلتفت يميناً ولا شمالاً، فخرج يوماً في جنازةٍ شهدها عظماء البلد، فجلس معهم في الجبانةِ، فدخلت بين جلده وبين ثوبه زنابير فجعلت تلسعه فلا يتحرك، ولا يضطرب، ولا يلتفت وكأنها إنما تلسع صخرة من الصخور، إلا أنه جعل لونه يتغير، ويحمر وجهه ويصفر، حتى فرغ من دفن الجنازة، فانصرف إلى منزله، وخلع ثوبه، وإذا بجسده قد تورم وتعقد من لسع تلك الزنابير. وكان رجلاً فاضلاً كثير المعروف، كثير الخير، كثير الصدقات، يقول ذلك بعض الفقراء بعد موته، وأظهر هذه الحكاية رحمه الله، وهذا الرجل المذكور هو القاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ، وهو من جلّتِها وأحد فقهاءِ الشورى.

فإذا كان هذا قد تحمل المشقة، وصبر على هذه الآلام من أجل الناس، ولكي لا يوصف بالجزع، وقلة الصبر، وعدم الوقار، فكيف يكون في صلاته مخافة أن يسقط من عين الله، أو يأتي بشيءٍ يشينه عند الله تعالى. وكذلك ذلك الأول هو أحرى أن يتحمل ما تحمل توقيراً لوقوفهِ بين يدي ربه، وتعظيماً لمشاهدته وهيبة لاطلاعه تبارك وتعالى عليه.

٥١١ ــ ويروى عن مسلم بن يسار رحمه الله أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله: «تحدثوا كيف شئتم فإني لا أسمعكم».

٥١٢ ــ ويروى أنه كان يصلي في جامع البصرة، فسقط منه ناحيةٌ فلم يشعر بذلك.

٥١٣ ــ ويروى أن الحريق وقع في بيته وهو قائمٌ يصلي ففزع إليه الناس حتى أطفأوه وهو قائم يصلي، فلما انصرف من الصلاة أعلمته امرأته، فقال: ما شعرت بذلك.

٥١٤ ــ وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب يصلي فيرجع ويتأوه، حتى لو رآه رجلٌ ممن لا يعرفه لقال هذا مجنونٌ.

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لا يتحرك في صلاته ولا يحك شيئاً من جسده حتى يفرغ.

وكان عبد الله بن الزبير رحمه الله تعالى يصلي، فجاء حجر المنجنيق، فأخذ طائفة من ثوبه، فما انتقل عن صلاته حتى فرغ. وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه جذعٌ من الخشوع لا

يتحرك، وكذلك كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٥١٥ ــ وقال أبو المصعب: كان مالك بن أنس يُطيل الركوع في ورده، وإذا وقف في الصلاة كأنه خشبةٌ يابسةٌ لا يتحرك منه شيء، فلما ضُرب وأصابته العلة قيل له: لو خففت من هذا قليلاً، فقال: ما ينبغي لأحدٍ إذا عمل عملاً إلاّ حَسَّنه لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [هود: ٧].

٥١٦ ــ وكان أبو يزيد البسطامي إذا دخل في الصلاة سمعت لأعضائه حركة كأنها عظامٌ في جرابٍ.

٥١٧ ــ ويروى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يتغير وجهه ويتلون إذا حضر وقت الصلاة، ويقول: جاء وقت أمانةٍ عرضت على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

٥١٨ ــ وكان سليمان التيمي رحمه الله تعالى إذا تهيأ للصلاة يصفر ويحمر، ويقول: إني أريد القيام بين يدي الله عزّ وجلّ.

٥١٩ ــ وقال سفيان الثوري: لو رأيت منصور بن المعتمر يصلي لقلت يموت الساعة.

٥٢٠ ــ وقال مجاهد بن جبير: كنت إذا رأيت العرب استجفيتها، فإذا قاموا إلى الصلاة، فكأنهم أجسادٌ لا أرواح فيها من خشية الله تعالى ــ يعني بالعرب الصحابة والتابعين ــ رضوان الله عليهم.

٥٢١ ــ وقال أبو بكر بن عياشٍ: رأيت حبيب بن أبي ثابت يصلي وكأنه ــ ميتٌ يعني من خوفه وخشوعه.

٥٢٢ ــ وكان يحيى بن وثاب إذا انصرف من الصلاة مكث ما شاء الله تُعرف عليه كآبة الصلاة.

٥٢٣ ــ وكان إبراهيم النخعي يمكث ساعة بعد الصلاة كأنه مريضٌ.

٥٢٤ ــ ويروى عن ابن عباسٍ رضي الله عنه أنه قال: «ركعتان في تفكرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ والقلب ساهٍ».

٥٢٥ ــ وروى أبو طالب المكي عن بشر بن الحارث، عن سفيان الثوري، أنه قال: «من لم يخشع فسدت صلاته».

٥٢٦ ــ ويروى عن الحسن أنه قال: «كل صلاةٍ لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع».

٥٢٧ ــ وعن معاذ بن جبل: «من عرف من على يمينه ومن على شماله وهو في الصلاة متعمداً فلا صلاة له».

٥٢٨ ــ وقال سعيد بن جبير: «ما عرفت من على يميني، ولا من على يساري منذ أربعين سنة منذ سمعت عبد الله بن عباس، يقول: الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله».

٥٢٩ ــ وقال محمد بن سيرين: «كانوا يستحبون للرجل إذا قام في الصلاة لا يجاوز بصره مصلاه حيث يسجد، وإن كان استعاد شيئاً غمض عينيه» يقول: إذا كان تعود في صلاته أن ينظر غمض عينيه حتى لا ينظر.

٥٣٠ ــ وكان عبد الله بن مسعودٍ إذا قام في الصلاة غض بصره وصوته ويده.

٥٣١ ــ وكان منصور بن المعتمر إذا صلى ضرب صدره بلحيته.

٥٣٢ ــ وكان عباس بن عبد الله بن قيس من خاشعي هذه الأمة، وكان إذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدثت النساء بما يتحدثن به، فلا يسمعهن ولا يعقل ما يفعلن، وقيل له ذات يوم: أتحدث نفسك بشيء في الصلاة؟ قال: نعم، بوقوفي بين يدي الله عزّ وجلّ، ومنصرفي إلى أحد الدارين. فقيل له: إلا بما نُحدث به أنفسنا من أمر الدنيا وما يوسوس به الشيطان إلينا، فقال: لأن تختلف الأسنة في صدري أحب إليَّ من ذلك.

٥٣٣ ــ وقال سعد بن معاذٍ صاحب النبي ﷺ: «ما كنت قط في صلاةٍ فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها، ولا كنت قط في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول ويقال لها حتى أنصرف عنها».

هذا الذي يذكر عن هؤلاء الأفاضل كثيرٌ، وقد ذكر أيضاً نحوه عن طائفةٍ غيرهم، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء، وربما كان الأغلب من حالهم، والأكثر من صلاتهم، أو فيها كلها والله أعلم.

وقال بعضهم: الصلاة من الآخرة، فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا. وقيل لآخر هل تذكر في الصلاة شيئاً؟ فقال: وهل شيءٌ أحب إليَّ من الصلاة حتى أذكره فيها.

وإذا خشع قلبك وحضر انطرد وسواسك، وطابت مناجاتك، وقصر عليك من الصلاة ما طال على غيرك.

٥٣٤ ــ كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يسجد فيطيل السجود حتى تنزل العصافير على ظهره من طول سجوده ما تحسبه إلا جذع حائطٍ.

٥٣٥ ــ وعن حماد بن زيد، قال: كان عبد الله بن غالبٍ الحداي يسجد السجدة فيذهب الذاهب إلى الكلأ ويرجع وهو على حاله، وعبد الله بن غالبٍ هذا من كبار عظماء العابدين، وهو الذي وُجِدَ في قبره ريح المسك ودام ذلك، ومشى إليه العلماء والثقات، وشاهدوا ذلك منه، ولما كثر سير الناس إليه خيف عليهم الفتنة فسوي بالأرض وعُمي مكانه.

٥٣٦ ــ وذكر ابن مغيث بإسناده إلى عبد الله بن وهبٍ، قال: سمعت سليمان بن القاسم رحمه الله يوم عيدٍ عند منصرفنا من المصلى لأنظر عند من يتعدى، فدخل المسجد الجامع فظننت أنه مسلكه، فدخلت خلفه فمال إلى الصف الأول فكبر للصلاة فكبرت خلفه وصليت ركعتين وقعدت في التشهد، وخرّ ساجداً فسمعته يقول في سجوده: يا رب انصرف عبادك إلى ما أعدوا من زهرات الدنيا ليومهم هذا من زينتهم وطعامهم، وانصرف عبدك سليمان إليك يسألك فكاك رقبته من حر نارك، ويسألك مغفرتك برحمتك، فيا ليت شعري ماذا فعلت به، هل قبلته وتجاوزت عنه، فإن كنت قبلته فقد نعم، وسعد، وأفلح. وإن كنت لم تفعل فيا ويحه، ويا بؤسه، وأخذ في البكاء والانتحاب فطال عليّ انتظاره فقلت في نفسي أنصرف إلى منزلي وإلى من عودته الفطر معي، فإني أخاف أن يستبطئوني فينصرفوا، فجعلت على ثوبه علامةً وهو ساجدٌ، فذهبت إلى منزلي فتغديت مع القوم وأطلت الحديث معهم، ثم انصرفوا وأخذتني نعسةٌ فنمت نوماً طويلاً ثم استيقظت فجددت الوضوء ثم لبست ثيابي ودخلت المسجد قريباً من الزوال وإذا هو ساجدٌ على حاله وعلامتي على ثوبه لم يزل وهو في بكائه وتضرعه حتى وصل الظهر بصلاته.

وأما البكاء في الصلاة فقد بكى رسول الله ﷺ فيه:

٥٣٧ ــ قال عبد الله بن الشخير: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزير المِرجَل ــ يعني يبكي. ذكره النسائي[1].

٥٣٨ ــ وقال عليه السلام: «مروا أبا بكر يصلي بالناس» فقالت عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه. فأخبرت أنه كان يبكي إذا صلى. وذكر هذا الحديث مسلم بن الحجاج.

---

(١) صحيح: ورواه أيضاً أحمد في «المسند»، (٤/ ٢٥ ــ ٢٦٢).

٥٣٩ ــ وقال عبد الله بن شداد: سمعت نشيج عُمر وأنا في آخر الصفوف يقرأ: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦]. ذكره البخاري.

وقد بكى غيرهما من الصحابة، وبكى المسلمون، والأحاديث في هذا الباب كثيرٌ.

واعلم أن الإنسان قد يذكر في الصلاة شيئاً من أفعال الخير، وإن لم يكن ذلك لكثرة اشتغاله به قبل الصلاة.

٥٤٠ ــ وقد صلى النبي ﷺ يوماً صلاة العصر، فلما سلم انصرف سريعاً، فعجب الناس من سرعته، فقال: «أذكرت وأنا في الصلاة تبراً كان عندنا فكرهت أن يمسي أو يبيت عندنا، فأمرت بقسمته» ذكره البخاري وغيره.

٥٤١ ــ ويروى أن عمر بن الخطاب، قال: إني لأجهز جيش [.....][1] وأنا في الصلاة. وهذا لكثرة اشتغاله بالمسلمين وبما يصلحهم من حراسة ثغورهم، وجهاد عدوهم، والنظر في أمورهم، وغلبة ذلك عليه.

بـــاب

٥٤٢ ــ مسلم عن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من أدرك ركعة من الصلاة مع الإمام، فقد أدرك الصلاة كلها».

٥٤٣ ــ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر».

٥٤٤ ــ البخاري عن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أدرك أحدكم سجدة من صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته، وإذا أدرك سجدة من صلاة الصبح قبل أن تطلع الشمس فليتم صلاته».

باب ذِكْر أَعْمالٍ أُبيحت في الصَّلاَةِ، وَأَعْمال نُهيَ عَنهْا

٥٤٥ ــ مسلم عن مُعيقبٍ الدوسي، أن رسول الله ﷺ قال في الرجل يُسوي التراب حيث يسجد، قال: «إن كنت فاعلاً فواحدة» وفي رواية: «إن كنت لا بد فاعلاً فواحدة». يريد عليه السلام في الصلاة، وقد بينه مسلم.

٥٤٦ ــ وذكر سفيان بن عيينة من حديث أبـي ذرٍ، عن النبـي ﷺ قال: «إذا قام

(١) بياض بالأصل المخطوط.

أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يمسح إلا مرة». يعني الحصى حيث يسجد، وكانوا يصلون على الأرض.

٥٤٧ ـ البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبزق أمامه، فإنما يناجي الله عزّ وجلّ ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً، وليبصق عن يساره، أو تحت قدميه فيدفنها».

٥٤٨ ـ وذكر النسائي عن طارق بن عبد الله المحاربي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنت تصلي فلا تبزق بين يديك، ولا عن يمينك، وابزق خلفك، أو تلقاء شمالك إن كان فارغاً، وإلا فهكذا» وبزق يحيى بن سعيد راوي الحديث تحت رجله ودلكه.

٥٤٩ ـ وذكر مسلم عن عبد الله بن الشخير، أنه صلى مع النبي ﷺ قال: فتنخع فدلكها بنعله اليسرى.

٥٥٠ ـ وعن القاسم بن مهران، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد، فأقبل على الناس فقال: «ما بال أحدكم يقوم مستقبلاً ربه فيتنخع أمامه، أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه، فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليقل هكذا» ووصف القاسم فتفل في ثوبه ثم مسح بعضها على بعض، وقد جعل عليه السلام مكان النخاعة خلوقاً، وكان رآها في قبلة المسجد. ذكره النسائي.

٥٥١ ـ وذكر البخاري عن سهل بن سعدٍ أن بَني عمرو بن عوف كان بينهم شيءٌ، فخرج رسول الله ﷺ بينهم، فجلس رسول الله ﷺ وجاءت الصلاة، فجاء بلال إلى أبي بكر، فقال: إن رسول الله ﷺ قد حُبسَ وجاءت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت، فأقام بلال وتقدم أبو بكرٍ فكبر للناس، فجاء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف حتى قام في الصف، فأخذ الناس في التصفيق، وكان أبو بكرٍ لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت فإذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ يأمره أن يصلي، فرفع أبو بكر يده فحمد الله ورجع القهقراء وراءه، فتقدم رسول الله ﷺ حتى قام في الصف، فصلى للناس فلما فرغ أقبل على الناس فقال: «أيها الناس مالكم حين نابكم شيءٌ في الصلاة أخذتم في التصفيق، إنما التصفيق للنساء، من نابه شيءٌ في صلاته فليقل سبحان الله فإنه لا يسمعه أحدٌ حين يقول سبحان الله إلا التفت إليه، يا أبا بكر ما منعك أن تصلي للناس حين أشرت إليك» فقال أبو بكر: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ.

التصفيق: هو ضرب الكف على الكف، كانوا يفعلون ذلك إذا أرادوا أن ينبهوا الإمام

على شيء، أو لغير ذلك.

٥٥٢ ــ وذكر أبو داود في هذا الحديث: أن النبـي ﷺ قال لبلالٍ: «إن حضرت الصلاة ولم آتك فأمر أبا بكر فليصل للناس».

٥٥٣ ــ وذكر أبو بكر بن أبـي شيبة في مسنده عن ابن عباس، أن النبـي ﷺ حيث جاء أخذ القراءة من حيث بلغ أبو بكر. وذكره أبو بكر البزار في مسنده من حديث عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

٥٥٤ ــ وذكر النسائي عن عبد الله بن يحيى، قال: قال علي بن أبـي طالب رضي الله عنه: «كانت لي ساعة من السحر أدخل فيها على رسول الله ﷺ فإن كان في صلاته سَبَّحَ فكان أذنه لي، وإن لم يكن في صلاته أذن لي». وفي رواية أخرى: «كنت آتيه كل سحرٍ فأقول: السلام عليك يانبـي الله، فإن تنحنح انصرفت إلى أهلي وإلا دخلت عليه».

٥٥٥ ــ مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ لحاجةٍ، ثم أدركته وهو يسير فسلمت عليه، فأشار إليَّ، فلما فرغ دعاني فقال: أهل سلمت عليَّ آنفاً وأنا أصلي» وهو موجهٌ حينئذ قبل المشرق.

٥٥٦ ــ أبو داود عن عبد الله بن عمر، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى قباءٍ يصلي فيه، فجاءت الأنصار فسلموا عليه، قال: فقلت لبلالٍ: كيف رأيت رسول الله ﷺ يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه وهو يصلي؟ قال: يقول هكذا ــ وبسط كفه وبسط جعفر بن عونٍ كفه وجعل بطنها أسفل وظهرها إلى فوق.

٥٥٧ ــ وذكر مسلم عن كريب ــ مولى ابن عباس ــ أن عبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أزهر، والمسور بن مخرمة أرسلوه إلى عائشة زوج النبـي ﷺ فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد العصر، وقل إنا أخبرنا أنك تصليها، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ نهى عنها، قال ابن عباس: وكنت أصرف مع عمر بن الخطاب الناس عنها. قال كريبٌ: فدخلت عليها وبلغتها ما أرسلوني به، فقالت: سل أم سلمة، فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها، فردوني إلى أم سلمة مثل ما أرسلوني به إلى عائشة، فقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنهما ثم رأيته يصليهما، أما حين صلاهما فإنه صلى العصر ودخل عليَّ وعندي نسوةٌ من بني حرامٍ من الأنصار فصلاهما فأرسلت إليه الجارية فقلت قومي بجنبه فقولي له تقول أم سلمة: يا رسول الله إني سمعتك تنهى عن هاتين الركعتين وأراك تُصليهما، فإن أشار بيده فاستأخري عنه، قالت: ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت، فلما انصرف قال: «يا بنت أبـي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر إنه أتاني

ناسٌ من عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان».

٥٥٨ ــ مسلم عن أبـي قتادة الأنصاري، قال: رأيت النبـي ﷺ يؤم الناس وأمامة بنت أبـي العاص ـــ وهي بنت زينب ابنة النبـي ﷺ ـــ وهي على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها. وفي رواية: «في المسجد» وفي رواية أخرى: «في الظهر أو العصر». ذكر هذا أبو داود أيضاً.

٥٥٩ ــ النسائي عن عبد الله بن شدادٍ، عن أبيه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً، فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها، قال: فرفعت رأسي فإذا الصبـي على ظهر رسول الله ﷺ فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ وأنه يوحى إليك، قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

٥٦٠ ــ وذكر مسلم من حديث سهل بن سعدٍ، وذُكر له المنبر، قال: رأيت رسول الله ﷺ قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه وهو على المنبر، ثم رجع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس، فقال: «أيها الناس، إنما صنعت هذا لتأتموا بـي، ولتعلموا صلاتي» وقال البخاري: «فاستقبل القبلة كبر وقام الناس خلفه، فقرأ وركع، وركع الناس خلفه، ثم رفع رأسه فرجع القهقرى، فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، وذكر الركعة الثانية».

٥٦١ ــ الترمذي عن عائشة، قالت: جئت رسول الله ﷺ في البيت والباب عليه مغلقٌ، فمشى حتى فتح لي، ثم رجع إلى مكانه ووضع الباب في القبلة.

٥٦٢ ــ النسائي عن أبـي هريرة، عن النبـي ﷺ قال: «اعترض لي الشيطان في مصلاي فأخذت بحلقه فخنقته حتى وجدت برد لسانهِ على كفي، ولولا ما كان من دعوة أخينا سليمان أصبح مربوطاً تنظرون إليه».

٥٦٣ ــ مسلمٌ عن ابن عمر، عن إحدى نسوة النبـي ﷺ عن النبـي ﷺ أنه كان يأمر بقتل الكلب العقور، والفأرة، والعقرب، والحدأة، والغراب، والحية. قال: وفي الصلاة والحرم أيضاً.

٥٦٤ ــ النسائي عن رفاعة بن رافع، قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فعطست فقلت الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فقال: «من المتكلم في الصلاة؟» فلم يكلمه أحدٌ، ثم قالها الثانية: «من المتكلم في

الصلاة؟» فقال رفاعة بن رافع بن عفراء: أنا يا رسول الله. فقال: «كيف قلت؟» قال: قلت: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى. فقال: «والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعةٌ وثلاثون ملكاً أيهم يصعد بها»[1].

٥٦٥ ــ وذكر ابن الجارود في المنتقى عن أبـي سعيد الخدري، عن النبـي ﷺ قال: «إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع، فإن غلبه أمرٌ وضع يده على فيه».

٥٦٦ ــ مسلم عن أبـي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لينتهين أقوامٌ عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم».

٥٦٧ ــ البخاري عن أنس بن مالكٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم» فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «لينتهين عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم».

٥٦٨ ــ أبو داود عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا نسلم في الصلاة ونأمر بحاجاتنا، فقدمت على رسول الله ﷺ وهو يصلي فسلمت عليه فلم يرد عليّ السلام، فأخذني ما قدم وما حدث، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال: «إن الله يُحدِثُ من أمره ما يشاء، وأن الله عزّ وجلّ قد أحدث أن لا تكلموا في الصلاة» فرد عليَّ السلام[2].

٥٦٩ ــ النسائي عن عبد الله بن مسعود، قال: كنت آتي النبـي ﷺ وهو يصلي فأسلم عليه فيرد علي، فأتيته وهو يصلي فسلمت عليه فلم يرد عليَّ، فلما سلم أشار إلى القوم، فقال: «إن الله تعالى أحدث في الصلاة أن لا تكلموا إلا بذكر الله وما ينبغي لكم، وأن تقوموا لله قانتين».

٥٧٠ ــ مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أماه ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يُصَمِّتونني سكتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ بأبـي هو وأمي ما رأيت معلّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كرني ولا ضربني ولا شتمني، ثم قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً يأتون الكهان،

---

(١) صحيح: وأخرجه أيضاً الترمذي (٢/ ٢٥٥)، وسنده صحيح.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٩٢٤، ٩٣١)، وانظر: «مشكاة المصابيح» برقم (٩٨٩ ــ ٩٩٠)، وتعليق الشيخ الألباني.

قال: «فلا تأتهم» قال: ومنا رجالٌ يتطيرون، قال: «ذلك شيء تجدونه في صدورهم فلا يصيبهم» قلت: ومنا رجالٌ يُخَطُّونَ، قال: «كان نبيٌّ من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك» قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَلَ أُحُدٍ والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاةٍ من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليه، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «ائتِني بها» فأتيته بها فقال لها: أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «اعتقها فإنها مؤمنةٌ».

وقال أبو داود في الحديث: فقال: «إنما الصلاة كقراءة القرآن، وذكر الله تعالى، فإذا كنت فيها فليكن ذلك شأنك».

وقوله «يخطون»: هي القرعة، وقرعة الرمل، ويكون لغير ذلك. و«صكها»: لطمها، و«آسف» أي غضب.

٥٧١ ـ مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه نهى أن يصلي الرجل مختصراً.

٥٧٢ ـ وعن عبد الله بن عباس، أنه رأى عبد الله بن الحارث وهو يصلي ورأسه معقوص من ورائه، فقام فجعل يحله، فلما انصرف أقبل إليَّ ابن عباس، فقال: مالك ورأسي، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما مثل هذا مثل الذي يصلي وهو مكتوفٌ».

٥٧٣ ـ البخاري عن عائشة، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» وقد تقدم هذا الحديث.

٥٧٤ ـ النسائي عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لايزال الله تعالى مقبلاً على العبد في الصلاة ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه».

باب ذكر النوافل التي تصلى قبل المكتوبات وبعدها

منها ركعتا الفجر يصليان بعد طلوع الفجر الثاني، وقبل صلاة الصبح. وفاتت ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعتق رقبة.

٥٧٥ ـ وذكر مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح».

٥٧٦ ـ مسلم عن عائشة، عن النبي ﷺ أنه قال: «ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها».

٥٧٧ ـ أبو داود عن عبد الله بن ربادة الكندي، عن بلالٍ، أنه أتى رسول الله ﷺ يؤذنه بصلاة الغداة، فشغلت عائشة بلالاً بأمرٍ سألته عنه حتى فضحه الصبح فأصبح جداً، قال: فقام بلال فآذنه بالصلاة وتابع أذانه، فلم يخرج رسول الله ﷺ، فلما خرج صلى بالناس، فأخبره أن عائشة شغلته بأمرٍ سألته عنه حتى أصبح جداً، وأنه أبطأ عليه بالخروج، فقال: «إني كنت ركعت ركعتي الفجر» فقال: يا رسول الله، إنك أصبحت جدًّا، قال: «لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما».

٥٧٨ ـ وذكر مسلم ـ أيضاً ـ عن أبي قتادة الأنصاري في نوم النبي ﷺ في الوادي عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وذكر الحديث، وقال فيه: وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه، قال: فجعل بعضنا يلمس إلى بعض كفارة مما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا، ثم قال: «أما لكم فيّ أُسوة» ثم قال: «إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يُصل حتى يجيء وقت الأخرى، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها، فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها».

٥٧٩ ـ وذكر أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة، أو غفل عنها، فليصلها إذا ذكرها، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾» [طه: ١٤].

٥٨٠ ـ وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة حُنين سار ليلة حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلالٍ: اكلأ لنا الليلة، فصلى بلال ما قدر له، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما تغشى وقت الفجر استند بلالٌ إلى راحلته مُواجه الفجر، فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، ففزع رسول الله ﷺ فقال: «أي بلال» فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قال: «اقتادوا» فاقتادوا رواحلهم، ثم توضأ رسول الله ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾» [طه: ١٤]. وفيه: ثم أذن بلالٌ فصلى رسول الله ﷺ ركعتين ثم صلى الغداة[١].

٥٨١ ـ وعن عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر فيخفف، حتى

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٨/٢)، وأبو داود (٤٣٥)، وابن ماجه (٦٩٧)، والبيهقي (٢١٧/٢)، وغيرهم.

إني لأقول هل قرأ فيها بأم القرآن».

٥٨٢ ــ وعنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر صلى ركعتين أقول لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب».

٥٨٣ ــ وعن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر ﴿قل يٰأيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾».

٥٨٤ ــ أبو داود عن ابن عمر، قال: «رمقت رسول الله ﷺ شهراً، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر: ﴿قل يٰأيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾[١]».

٥٨٥ ــ وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «نعم السورتان يقرأ بهما في ركعتين قبل الفجر: ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل يٰأيها الكافرون﴾».

٥٨٦ ــ وذكر مسلم عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ [البقرة: ١٣٦] والتي في آل عمران ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ الآية: [آل عمران: ٦٤]».

٥٨٧ ــ وذكر أبو داود عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه» فقال له مروان بن الحكم: أما يجزي أحدنا ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع على يمينه؟ قال: لا. فبلغ ذلك ابن عمر، فقال: أكثر أبو هريرة على نفسه، فقيل لابن عمر: أتنكر شيئاً غيرها مما يقول؟ قال: لا، ولكنه اجتراء وَجَبُنَا، فبلغ ذلك أبا هريرة، فقال: وما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا.

٥٨٨ ــ النسائي عن أبي هريرة، قال: «كان رسول الله ﷺ يضطجع بعد ركعتي الفجر على شقه الأيمن ثم يجلس».

٥٨٩ ــ البخاري عن عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين قبل صلاة الفجر بعد أن يستبين الفجر، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة».

٥٩٠ ــ مسلم عن عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر فإن

---

(١) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٤٧٩٠)، والترمذي (٤١٥)، والنسائي (٢/ ١٧٠)، وابن ماجه (١١٤٩)، وأحمد (٤٧٦٣ ــ شاكر). والحديث لم أجده في «سنن أبي داود» والله أعلم.

كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع».

٥٩١ ــ وعنها أيضاً: «أن رسول الله ﷺ كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدةٍ، فإذا فرغ منها اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن فيصلي ركعتين خفيفتين».

٥٩٢ ــ الترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يُصل ركعتي الفجر فليصلهما بعدما تطلع الشمس».

٥٩٣ ــ وعن قيس بن عمروٍ، ويقال قيس بن مَهدٍ، قال: خرج رسول الله ﷺ فوجدني أصلي، فقال: «مهلاً يا قيس أصلاتان معاً» فقلت: يا رسول الله، إني لم أكن أركع ركعتي الفجر، قال: «فلا إذاً»[1] وليس إسناد هذا الحديث بمتصل.

٥٩٤ ــ وعن عبد الله بن السائب، أن رسول الله ﷺ كان يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، ويقول: «إنها ساعةٌ تفتح فيها أبواب السماء وأحب أن يصعد لي فيها عملٌ صالحٌ».

ويروى في هذا الخبر من الزيادة: «إذا فاءت الأفياء، وهبت الأرواح فارفعوا إلى الله حاجاتكم، فإنها ساعة الأوابين، قال الله تعالى: ﴿إنه كان للأوابين غفوراً﴾ [الإسراء: ٢٥]».

ويروى من حديث ابن مسعود: «يقرأ بفاتحة الكتاب وآية الكرسي».

٥٩٥ ــ ويروى من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يُحسن قراءتهن، وركوعهن، وسجودهن، صلى معه سبعون ألف مَلَكٍ يستغفرون له حتى الليل».

٥٩٦ ــ أبو داود عن أبي أيوب الأنصاري، عن النبي ﷺ: «أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليمٌ تفتح لهن أبواب السماء»[2]. وقد روي عنه عليه السلام أنه كان يُسلم بينهن.

٥٩٧ ــ وذكر النسائي عن عاصم بن سمرة، قال: سألنا عليًا عن صلاة رسول الله ﷺ

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٧)، وأبو داود (١٢٥٣، ١٢٥٤)، والترمذي (٤٢٢)، وابن ماجه (١١٥٤)، وغيرهم. وقال الترمذي: «وإسناد هذا الحديث ليس بمتصل: محمد بن إبراهيم التيمي لم يسمع من قيس» اهـ.
قلنا: فالإسناد بهذه العلة يكون منقطع، والله أعلم.

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٢٧٠)، وفيه عبيدة بن معتب، ضعيف، وقد اختلط بأخره.

فوصف، قال: «وكان يُصلي قبل الظهر أربعاً، وبعدها ركعتين، وقبل العصر أربعاً ويفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة وليس من شيء إلا وهو ومن تبعهم من المسلمين».

٥٩٨ ــ ويروى عنه عليه السلام، أنه قال: «أربعٌ قبل الظهر بعد الزوال تحسب بمثلهن في صلاة السحر، وليس من شيءٍ إلا وهو يسبح الله تعالى في تلك الساعة» ثم قرأ: ﴿يتفيؤوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ [النحل: ٤٨] الآية كلها. ذكره الترمذي في التفسير.

٥٩٩ ــ الترمذي عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حافظ على أربع ركعاتٍ قبل الظهر، وأربع بعد الظهر حرمه الله تعالى على النار»[1].

٦٠٠ ــ وعن عائشة «أن النبي ﷺ كان إذا لم يُصل قبل الظهر أربعاً صلاهن بَعْدُ».

٦٠١ ــ وذكر النسائي رحمه الله تعالى عن أم حبيبة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ثنتا عشرة ركعة من صلاهن بني له بيت في الجنة، أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعد الظهر، وركعتين قبل العصر، وركعتين بعد المغرب، وركعتين قبل صلاة الصبح»[2]. وقد روي عنه عليه السلام أنه كان يصلي قبل الظهر ركعتين.

٦٠٢ ــ وذكر الترمذي عن ابن عمر، قال: «حفظت عن رسول الله ﷺ عشر ركعات كان يصليها بالليل والنهار، ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء الآخرة» وحدثتني حفصة أنه كان يصلي قبل الفجر ركعتين. وقوله: «قبل الفجر»[3] يعني به قبل صلاة الفجر.

٦٠٣ ــ وذكر أبو بشر الدولابي في مسنده عن شعبة بن الحجاج، من حديث ابن عمر، قال: «كانت صلاة رسول الله ﷺ التي لا يدع: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء الآخرة، وركعتين قبل الصبح» فقال رجل عند ابن سيرين: هذا مما لا بد منه، فقال ابن سيرين: مما لا بد منه المكتوبة.

٦٠٤ ــ وذكر أبو داود عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرىءً صلى قبل العصر أربعاً»[4].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٤٢٧).

(٢) صحيح: وأخرجه أيضاً الترمذي (٢/ ٢٧٤).

(٣) صحيح: وقد أخرجه الشيخان أيضاً، انظر: «مشكاة المصابيح» للخطيب التبريزي برقم (١١٦٠).

(٤) حسن: وأخرجه أيضاً الترمذي برقم (٤٣٠).

ولم يرد عن النبـي ﷺ أنه جهر في صلاته بالنهار إلا في الجمعة، والكسوف، والعيدين، والاستسقاء، فإنه روي عنه الجهر فيه، وقد روي عنه الإسرار في صلاة الكسوف أيضاً، وغير ذلك من الصلوات المكتوبات، إنما نقل عنه الإسرار إلا أنه كان يُسمع الآية ونحوها.

وأما النوافل بالنهار فلم يصح عنه عليه السلام إسرارٌ، ولا إجهار، وإلا ظهر أنه كان يُسرّ فيها، وجاءت عنه عليه السلام رواية أخرى أنه أسَّر في صلاة الكسوف.

٦٠٥ ــ ويروى عنه عليه السلام أنه أمر بعبد الله بن جذامٍ وهو يصلي بالنهار ويجهر فقال له: «يا عبد الله سَمعَ الله ولا تُسمعنا» وهذا الحديث ليس بالقّوي.

٦٠٦ ــ وكان عبد الله بن مسعود يُسر في التطوع بالنهار إلا أن يسمع الآية. قال علقمة: صليت إلى جنب عبد الله بن مسعود بالنهار فما دريت أي سورةٍ يقرأ، حتى سمعته يقول: ﴿رب زدني علماً﴾ [طه: ١١٤] فعرفت أنها سورة طه.

٦٠٧ ــ وكان ابن عمر يجهر، قال بسر بن حربٍ: سمعت ابن عمر يتطوع بالنهار فجعلت أسمع قراءته، فجعل يجهر.

٦٠٨ ــ وقال المغيرة، عن إبراهيم: لا بأس أن يجهر بالنهار.

٦٠٩ ــ وقال عبد الرحمن بن سابطٍ: «أدنى ما يكون من الجهر بالنهار أن تسمع أذنيك».

الصلاة بعد العشاء:

٦١٠ ــ البخاري عن ابن عباس، قال: بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبـي ﷺ فصلى النبـي ﷺ العشاء، ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعاتٍ، ثم قام. وذكر الحديث في قيامه عليه السلام إلى الصلاة من جوف الليل وقد صلى عليه السلام هذه الصلوات الرواتب في بيته.

٦١١ ــ وذكر مسلم عن عمر، قال: صليت مع النبـي ﷺ قبل الظهر سجدتين وبعدها سجدتين، وبعد المغرب سجدتين، وبعد العشاء سجدتين، وبعد الجمعة سجدتين، فأما المغرب والعشاء والجمعة فصليت مع النبـي ﷺ في بيته.

٦١٢ ــ وقد روي عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ﷺ يطيل الركعتين بعد المغرب حتى يتفرق أهل المسجد» ذكره أبو داود في السنن[1].

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (١٣٠١)، وفيه جعفر بن أبـي المغيرة يرويه عن سعيد بن جبير، وقال

٦١٣ ــ وذكر عن كعب بن عجرة، أن النبي ﷺ أتى مسجد بني عبد الأشهل فصلى فيه المغرب، فلما قضوا صلاتهم رآهم يسبحون بعدها، فقال: «هذه صلاة البيوت»[١].

٦١٤ ــ ويروى عن أبي العالية، عن حذيفة بن اليمان، أن النبي ﷺ قال: «عجلوا بالركعتين بعد المغرب لترفع مع صلاة المكتوبة».

٦١٥ ــ وعن مكحول الدمشقي، قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم رفعتا في عليين».

٦١٦ ــ وعن أبي تميمة الجيشاني، أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون: إن استُغلبت فرميت بالنبل على أن تترك الركعتين بعد المغرب فلا تتركها وهما إدبار السجود.

الحض على صلاة النافلة في البيت:

٦١٧ ــ مسلم عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً».

يريد عليه السلام أن الموتى لا يصلون، لأن الأعمال قد انقطعت، والصحف قد طويت بما فيها، واكتساب الثواب قد رفع، يقول: فلا تكونوا في بيوتكم مثل هذا الميت في قبره لا يصلون ولا تُصلى.

٦١٨ ــ مسلم عن عبد الله بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله تعالى جاعل في بيته من صلاته خيراً».

٦١٩ ــ وعن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «إن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة».

٦٢٠ ــ أبو داود عن زيد بن ثابت ــ أيضاً ــ أن النبي ﷺ قال: «صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة»[٢].

٦٢١ ــ ومن غير كتاب أبي داود، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك من مخرج السوء، فإذا دخلت منزلك فصل ركعتين

ابن منده: «ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير» اهـ.

(١) **ضعيف**: وأخرجه أيضاً الترمذي برقم (٦٠٤)، وفيه إسحاق بن كعب بن عجرة، مجهول الحال.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود برقم (١٠٤٤) بإسنادٍ صحيحٍ.

يمنعانك من مدخل السوء».

وأما ذكر الوتر فسيجيء في صلاة الليل إن شاء الله تعالى.

واعلم أن هذه النوافل الرواتب بإثر الصلوات المكتوبات وقبلها، وإن كانت ليست بمفروضةٍ، فينبغي للعبد أن لا يخل بها، ولا يفرط في شيء منها، وأن يزيد عليها إن أمكنه الزيادة لما فيها من البركة والفوائد الجمة، وآكد ما فيها وأوجب اتباع السنة والاقتداء بالنبي ﷺ ومن سلف من صالحي الأمة.

٦٢٢ ــ قال عبد الله بن المبارك: «لو تركت سنة من السنن، أو أدباً من آداب الإسلام، لخشيت أن يسلبني الله جميع ما أعطاني».

٦٢٣ ــ وقال رويم: «من ترك الأدب عوقب بحرمان السنن، ومن ترك السنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن ترك الفرائض عوقب بحرمان المعرفة».

وأيضاً فإنه يجبر بها ما انتقص من الفريضة يوم القيامة، وقد تقدم الحديث بذلك عن النبي ﷺ إلى غير ذلك مما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

والإنسان مجبول على النقصان، وحديث النفس أشغل، ودواها أعضل، والذي يأتي بالصلاة المكتوبة كاملة قليلٌ، وقد قال بعض العلماء في قول الله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء: ٧٩] أن هذا الخطاب إنما هو للنبي ﷺ خاصة، وأن النافلة إنما هي له وحده ﷺ لأنه عليه السلام مغفورٌ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأيضاً فإن صلاته عليه السلام كانت كلها كاملة لا يحتاج إلى إصلاحها، ولا إلى جبر شيء منها، فكان كلما صلى من نافلة زائداً له على صلاته، والنافلة في كلام العرب الزيادة، وأما سائر الناس فإنما هي لهم جبرانٌ ـــ يجبر بها ما كان من نقصان وكفارات لما تلبسوا به من الخطئات، وهذا وإن كانت صلاته ﷺ كاملة على ما وُصفَ فغير بعيدٍ أن يكون في أصحابه من يأتي بالصلاة كاملة لا يحتاج إلى جبر شيء منها، بل في أكثرهم وكذلك في غيرهم فتبقى لهم نوافلهم يزيدون بها في درجاتهم، ويتقربون بها من ربهم، على أنه قد تقدم قوله عليه السلام: «منكم من يصلي الصلاة كاملة» وفيه الكفاية، وفي كلامه عليه السلام الهدى والنور، ويكون أيضاً في الطائفتين من يكون النقصان في صلاته قليلاً، ويكون له نوافل كثيرة، فعلى الإنسان أن يواظب على هذه النوافل الرواتب، ولا بد إن لم يقدر على الزيادة فيها أن يأخذ نفسه بها ويحملها عليها، وأن يعد من عمله لإصلاح خلله، ويكثر من نافلته بجبر فريضته، وكل واحد منا يعلم أين صلاته وأين قلبه فيها، وكيف تفرغه لها، واهتمامه بها، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

باب في الجمعة وفضلها، والاغتسال لها، والتطيب، والتبكير

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال بعض الصالحين: فاتتني صلاة الجمعة فأخبرت بذلك أبا مروانَ الخفاف المتعبد، فقال لي: أحسن الله عزاءك، وما عزاني أحدٌ في مثل هذا قط، ولا عزيته، وذلك لصغر هذه المصيبة عندنا وهوانها علينا.

٦٢٤ ــ مسلم عن أبـي هريرة، وحذيفة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله تعالى بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم لنا تبعٌ يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي بينهم قبل الخلائق» وفي رواية: «المقضي لهم قبل الخلائق»[1].

٦٢٥ ــ أبو داود عن أبـي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أُهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصبحةٌ يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من قيام الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يُصَادِفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه».

٦٢٦ ــ وفي رواية مسلم لهذا الحديث: «لا يوافقها عبد مسلم قائم يصلي يسأل الله عزّ وجلّ خيراً إلا أعطاه إياه» وأشار بيد يقللها. وفي روايةٍ: «وهي ساعة خفيفة». وقد اختلف في وقت هذه الساعة.

٦٢٧ ــ فذكر مسلم من حديث أبـي موسى الأشعري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن يقضي الصلاة» وفي اتصال سند هذا الحديث كلامٌ[2].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٥٦)، والنسائي (٣/ ٨٧)، وابن ماجه (١٠٨٣)، وأبو بكر المروزي في «كتاب الجمعة وفضلها» برقم (٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٣)، وأبو داود (١٠٤٩)، والبيهقي (٣/ ٢٥٠)، وأبو بكر المروزي في «كتاب الجمعة وفضلها» برقم (١٠). وأخرجه البيهقي في «السنن» (٣/ ٢٥٠) بإسناده إلى أحمد بن سلمة قال: «ذاكرت مسلم بن الحجاج حديث مخرمة هذا، فقال مسلم: هو أجود حديث وأصحه في بيان ساعة الجمعة» اهـ. أما الإمام النووي فقد صححه (٦/ ١٤١). وتعقب الإمام الدارقطني مسلماً في هذا الحديث، في كتابه: «الإلزامات والتتبع» (ص١٦٧ ــ قسم التتبع): فقال رحمه الله: «وهذا الحديث لم يسنده غير مخرمة بن بكير عن أبيه عن أبـي بردة، وقد رواه جماعة عن أبـي بردة من قوله، ومنهم من =

٦٢٨ ــ وذكر الترمذي من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ «أنها حين تقام الصلاة إلى انصرافهم منها» وكثير يضعف[١].

٦٢٩ ــ وروي من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «هي من حين يقوم الإمام في خطبته ــ كذا قال ــ إلى أن يفرغ من خطبته». وفي إسناده محمد بن غنم ضُعف.

٦٣٠ ــ وذكر عبد السلام بن حفص، ويقال مصعب عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعة التي يتحرى فيها الدعاء يوم الجمعة هي آخر ساعة من الجمعة».

وقد اختلفت الآثار في وقت هذه الساعة، وأنها تدور في ساعات الجمعة على الأوقات المذكورة في هذه الأحاديث، فيوماً تكون آخر ساعة من الجمعة، ويوماً تكون ما بين أن يجلس الإمام إلى أن يقضي الصلاة، ويوماً تكون حين تقام الصلاة إلى الانصراف منها، وفي غير ذلك كليلة القدر التي تكون في رمضان ليلة ثلاثٍ وعشرين، وفي آخر: ليلة خمس وعشرين، وفي آخر: ليلة سبع وعشرين، وفي آخر: ليلة تسع وعشرين، فيكون النبي ﷺ قد سئل عن ذلك في أوقات متفرقة، أو في أعوامٍ مختلفةٍ،

= بلغ به أبا موسى ولم يسنده، والصواب من قول أبي بردة، كذلك رواه يحيى بن سعيد القطان عن الثوري عن أبي إسحاق عن أبي بردة، وتابعه واصل الأحدب، رواه عن أبي بردة قوله. قال جرير عن مغيرة عن واصل، وتابعهم مجالد بن سعيد رواه عن أبي بردة كذلك. وقال النعمان بن عبد السلام: عن الثوري عن أبي إسحاق، عن أبي بردة عن أبيه موقوف، ولا يثبت قوله عن أبيه، ولم يرفعه غير مخرمة عن أبيه: وقال أحمد بن حنبل عن حماد بن خالد قلت لمخرمة: سمعت من أبيك شيئاً؟ قال: لا» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢/٤٩٨): «أُعل بالانقطاع والاضطراب، أما الانقطاع، فإن مخرمة بن بكير لم يسمع من أبيه، قال أحمد عن حماد بن خالد عن مخرمة نفسه، وكذا قال سعيد بن أبي مريم عن موسى بن سلمة عن مخرمة، وزاد: إنما هي كتب كانت عندنا. وقال علي بن المديني: لم أسمع أحداً يقول من أهل المدينة يقول عن مخرمة أنه قال في شيء من حديثه: سمعت أبي، ولا يقال: مسلم يكتفي في المعنعن بإمكان اللقاء مع المعاصرة وهو كذلك هنا؛ لأنّا نقول وجود التصريح عن مخرمة بأنه لم يسمع من أبيه كافٍ في دعوى الانقطاع. وأما الاضطراب فقد رواه أبو إسحاق وواصل الأحدب، ومعاوية بن قرة وغيرهم عن أبي بردة من قوله، وهؤلاء من أهل الكوفة، وأبو بردة كوفي، فهم أعلم بحديثه من بكير المدني وهم عدد، وهو واحد، وأيضاً لو كان عند أبي بردة مرفوعاً لم يفت فيه برأيه، بخلاف المرفوع. ولهذا جزم الدارقطني بأن الموقوف هو الصواب» اهـ.

(١) ضعيف جداً: أخرجه الترمذي برقم (٤٩٠)، وفيه كثير بن عبد الله المزني، متروك الحديث.

فجاوب عن ذلك بما جاوب والله أعلم بحقيقة ذلك.

٦٣١ ــ مسلم عن عائشة أنها قالت: كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم، ومن العوالي، فيأتون في العراء ويصيبهم الغبار، فيخرج منهم الريح، فأتى رسول الله ﷺ إنسانٌ منهم وهو عندي، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا»[١].

٦٣٢ ــ وعنها قالت: كان الناس أهل عملٍ ولم تكن لهم كفايةٌ، فكان يكون بهم تفلٌ، فقيل لهم: «لو اغتسلتم يوم الجمعة».

٦٣٣ ــ وروى يحيى بن سعيد عن عمرة، عن عائشة، قالت: إن الناس كانوا عمال أنفسهم، وكانت ثيابهم النمارُ، فكانوا يروحون في مهنتهم كما هي، فقال رسول الله ﷺ: «لو اغتسلتم، وما على أحدكم أن يتخذ ليوم الجمعة ثوبين سوى ثوبي مهنته». وفي رواية: «لجمعة أو غيرها». ذكره أبو عمر في التمهيد. وقد ذكره أبو داود في اتخاذ الثوبين.

٦٣٤ ــ مسلم عن أبي هريرة، قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة إذ دخل عثمان بن عفان فعرض به عمر، فقال: «ما بال رجالٍ يتأخرون بعد النداء» فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، ما زدت حين سمعت النداء على أن توضأت ثم أقبلت. فقال عمر: والوضوء أيضاً، ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل».

٦٣٥ ــ وعن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أراد أحدكم أن يأتي إلى الجمعة فليغتسل»[٢].

٦٣٦ ــ وعن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، فيغسل رأسه وجسده» زاد أبو بكر البزار في مسنده: «وهو يوم الجمعة».

٦٣٧ ــ أبو داود عن حفصة بنت عمر أمير المؤمنين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم رواحٌ إلى الجمعة، وعلى كل من راح إلى الجمعة الغسل»[٣].

٦٣٨ ــ مسلم عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «الغسل يوم الجمعة على كل محتلم»[٤].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٩٠٢)، ومسلم (٨٤٧)، وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨٤٤)، وغيره. وأخرجه أيضاً شيخه البخاري (٨٩٤، ٩١٩)، وعبد الرزاق برقم (٥٢٩٠، ٥٢٩١)، والحميدي (٦٠٨)، وأحمد (٢/ ٩)، والترمذي (٤٩٢، ٤٩٥)، والنسائي (٣/ ١٠٥ ــ ١٠٦)، وغيرهم.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٣٤٢).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٨٨٠)، ومسلم (٨٤٦)، وغيرهما.

٦٣٩ ــ وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «غسل الجمعة على كل محتلم، وسواكٌ، ويمس من الطيب ما قدر عليه، ولو من طيب المرأة»[١].

٦٤٠ ــ النسائي عن أوس بن أوس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة وغسل، وغدا وبكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، وأنصت ولم يلغ، كان له بكل قدمٍ عمل سنة صيامها وقيامها». ويروى من غسل رأسه يوم الجمعة واغتسل. ذكره أبو داود. ويروى «وبكر وابتكر»[٢].

٦٤١ ــ مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجمعة ثم راح، فكأنما قرب بدنةً، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجةً، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضةً، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر». وفي رواية: «فإذا جلس الإمام طويت الصحف» وحضر والذكر، وقع في رواية العدوي: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة».

٦٤٢ ــ وقال النسائي: عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد فكتبوا من جاء إلى الجمعة، فإذا خرج الإمام طويت الصحف»[٣].

٦٤٣ ــ قال: وقال رسول الله ﷺ: «المهجر إلى الجمعة كالمهدي بدتة، ثم كالمهدي بقرة، ثم كالمهدي شاة، ثم كالمهدي بطة، ثم كالمهدي دجاجة، ثم كالمهدي بيضة»[٤].

٦٤٤ ــ ومما يروى عن النبي ﷺ: «ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا في طلبهن: الأذان، والصف الأول، والغدو إلى الجمعة».

قال أحمد بن حنبل ــ وقد ذكر هذا الحديث: أفضلهن الغدو إلى الجمعة، وفي فضل الجمعة أكثر من هذا، وبأقل من هذا يقع الترغيب وتكون المبادرة، وأخبار الصالحين في هذا كثيرٌ.

٦٤٥ ــ وقال أبو أحمد العسكري وذكر التبكير إلى الجمعة قال: كان لي صديق

---

(١) صحيح: انظر مسلم في السابق.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٠٤٧، ١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١ ــ ٩٢)، وابن ماجه (١٦٣٦)، وابن حبان برقم (٥٥٠)، وأحمد (٤/ ٨)، والبيهقي (٣/ ٣٤٨ ــ ٣٤٩)، وغيرهم.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠)، والنسائي (٣/ ٩٧)، وغيرهم.

(٤) صحيح: أخرجه عبد الرزاق برقم (٥٥٦٢)، والنسائي (٣/ ٩٧ ــ ٩٨).

بسامراء يعرف بالعابد المكي، وكان يبكر إلى الجمعة، قال: بكرت إلى الجمعة في أيام الصيف فأقمت في الجامع ما أقمت، ثم خرجت أجدد الوضوء، فتوضأت ثم رجعت إلى الجامع، وقد أبطأ الناس، فجعلت أتعجب من قلة رغبتهم في البكور إلى الجمعة، فلما كبرت لأصلي هتف بي هاتف يقول:

إني لأعجب كيف ينسى من به ... رحلت إليه من الكرام قلوب

موصولة معقودة بفرائض ... كادت إليه من الحنين تذوب

ومن العجائب أن يرى متشاغلا ... يوم الزيارة للحبيب لبيب

قال: فغشي عليَّ، فسقطت على الأرض، ثم أفقت فجددت الوضوء وصليت.

٦٤٦ ــ ويروى عن ابن أخي الحسن البصري، قال: رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس يعرضون على الله عزّ وجلّ، فرأيت أمراً عظيماً، وهولاً جسيماً، فبينا أنا كذلك إذ دعي بي، فابتدرني ملكان فأخذا بضبعي، فذهبا بي إلى الله عزّ وجلّ فأمر بي إلى النار، ثم قال: ردوه، هذا رجل كان يواظب على الجمعة، فخلى عني، فاستيقظت فبقيت أياماً أجد ألم عضدي.

٦٤٧ ــ وفي أثر: «إن الملائكة لتفقد العبد عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً: ما أخر فلان عن وقته، ثم يقولون: اللهم إن كان أخره فقر فاغنه، وإن كان أخره مرضٌ فاشفه، وإن كان أخره شغلٌ ففرغه لعبادتك، وإن كان أخره لهوٌ فاقبل به على طاعتك».

باب لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة، ولا يتخطى رقاب الناس

٦٤٨ ــ البخاري عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل رجل ليوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهر، ويدهن من دهنه، ويمس من طيب بيته، ثم يخرج، فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[1].

٦٤٩ ــ أبو داود عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة، ولبس من أحسن ثيابه، ومس من طيب إن كان عنده، ثم أتى الجمعة فلم يتخط أعناق الناس، ثم صلى ما كتب الله له، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يفرغ من صلاته، كانت كفارة لما بينه وبين الجمعة التي قبلها». قال: يقول أبو هريرة: وزيادة ثلاثة أيام، يقول: إن الحسنة بعشر أمثالها.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٨٣، ٩١٠)، وأحمد (٥/٤٣٨، ٤٤٠).

٦٥٠ ـ النسائي عن عبد الله بن بُسر، قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فقال له رسول الله ﷺ: «اجلس فقد آذيت»(١).

الدنو من الإمام والإنصات، وأحاديث في حكم الجمعة:

٦٥١ ـ أبو داود عن سمرة بن جندب، أن رسول الله ﷺ قال: «احضروا الذكر، وادنوا من الإمام، فإن الرجل لا يزال يتأخر حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها»(٢).

٦٥٢ ـ مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت».

٦٥٣ ـ وروى حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ على المنبر فقال أبو ذر لأُبي بن كعب: متى نزلت هذه السورة؟ فأعرض عنه أُبي، فلما قضى صلاته قال أُبي بن كعب لأبي ذرٍ: إنما لك من صلاتك ما لغوت، فدخل أبو ذرٍ على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فقال: «صدق أُبي بن كعب»(٣).

٦٥٤ ـ مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا». وفي رواية: «ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه».

٦٥٥ ـ مسلم عن سلمة بن الأكوع، قال: كنا نُجمع مع رسول الله ﷺ إذا زالت الشمس، ثم نرجع نتبع الفيء.

٦٥٦ ـ مسلم عن ابن عمر، قال: «كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً، ثم يجلس، ثم يقوم، قال: كما تفعلون اليوم».

٦٥٧ ـ وعن جابر بن سمرة، قال: «كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس».

٦٥٨ ـ وعن أبي وائل، قال: خطبنا عمار بن ياسر فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا:

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ١٨٨)، وأبو داود (١١١٨)، والنسائي (٣/ ١٠٣)، وغيرهم.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١١٠٨)، وأحمد (٥/ ١١)، والحاكم (١/ ٢٨٩). وفيه يحيى بن مالك الأزدي العتكي، أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ق ٢/ ١٩٠)، ولم يحك فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٣) حسن: وذلك لأن محمد بن عمرو، حسن الحديث للكلام الذي فيه.

يا أبا الفيض لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، فإن من البيان لسحراً».

٦٥٩ ــ النسائي عن عبد الله بن أوفى، قال: «كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له حاجته»[١].

٦٦٠ ــ النسائي عن عمر بن الخطاب، قال: «صلاة الجمعة ركعتان تمامٌ غير قصر على لسان نبيكم وقد خاب من افترى»[٢].

٦٦١ ــ مسلم، قال: كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير يسأله أي شيء قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة سوى سورة الجمعة؟ فقال: كان يقرأ ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾.

٦٦٢ ــ وقد روي عنه عليه السلام أنه قرأ في الركعة الآخرة: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ ذكره مسلم عن أبي هريرة.

٦٦٣ ــ وذكر عن النعمان أيضاً قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد والجمعة بـــ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ و﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾، وإذا اجتمع العيد والجمعة في يومٍ واحدٍ يقرأ بهما أيضاً في الصلاتين».

٦٦٤ ــ مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان منكم مصلياً يوم الجمعة فليصل أربعاً».

٦٦٥ ــ وقد صح عنه عليه السلام أنه صلى يوم الجمعة ركعتين في بيته. ذكره النسائي[٣].

٦٦٦ ــ عن ابن عمر أنه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين يطيل فيهما، ويقول: كان رسول الله ﷺ يفعله[٤].

---

(١) صحيح بشواهده: أخرجه النسائي (٣/ ١٠٩)، والحاكم (٢/ ٦١٤)، وسنده حسن، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند الحاكم (٢/ ٦١٤) بسندٍ صحيح، والحمد لله.

(٢) ضعيف: أخرجه النسائي (٣/ ١١١)، وفيه شريك القاضي، ضعيف لسوء حفظه، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٦/ ١٦٩ ــ نووي)، والترمذي (٥٢١)، والنسائي في «كتاب الجمعة» برقم (٨٦).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (١١٢٩)، والنسائي (٣/ ١١٣).

٦٦٧ ــ الترمذي عن محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم يوم الجمعة فليتحول عن مجلسه ذلك»[١].

٦٦٨ ــ مسلم عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لينتهين أقوامٌ عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين».

٦٦٩ ــ النسائي عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك الجمعة ثلاثاً من غير ضرورة طبع الله على قلبه»[٢].

٦٧٠ ــ الترمذي عن أبي الجعد الضمري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاث مراتٍ تهاوناً بها طبع الله على قلبه»[٣].

باب الجمع بين الصلاتين

٦٧١ ــ مسلم عن ابن عباس، قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوفٍ ولا سفرٍ» وفي طريقٍ آخر عن ابن عباس «في غير خوفٍ ولا مطرٍ». ذكرها مسلم أيضاً. قيل لابن عباس: لم فعل ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أمته.

٦٧٢ ــ مسلم عن أنس، عن النبي ﷺ أنه كان إذا عجل يؤخر الظهر إلى أول وقت العصر، ثم يجمع بينها ويؤخر المغرب حتى يجمع بينهما وبين العشاء حين يغيب الشفق.

٦٧٣ ــ وعن أنس ــ أيضاً ــ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى أول وقت العصر، ثم نزل يجمع بينهما، فإن زاغت الشمس قبل أن

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٣٥)، وأبو داود برقم (١١١٩)، والترمذي (٥٢٦).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي في «كتاب الجمعة» برقم (٦)، وابن ماجه (١١٢٦)، والحاكم (١/ ٢٩٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (١٠١٦).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٤)، وأبو داود (١٠٥٢)، والترمذي (٥٠٠)، والنسائي (٣/ ٨٨)، وابن ماجه (١١٢٥)، والحاكم (١/ ٢٨٠)، وابن خزيمة (١٨٥٧ ــ ١٧٥٨)، وابن حبان برقم (٥٥٣ ــ ٥٥٤/ موارد)، والبيهقي (٣/ ١٧٢)، والبغوي (١٠٥٣)، وغيرهم. والسند حسن للكلام الذي في محمد بن عمرو، فهو حسن الحديث. وقد حسنه الترمذي وتابعهم البغوي، أما الحاكم فقد قال: «حديث صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

قلنا: وليس كما قالا، فمحمد بن عمرو لم يحتج به مسلم، بل أخرج له في المتابعات، وهناك فرق، فتنبه لذلك.

يرتحل صلى الظهر ثم ركب» هذا أصح، ويروى في صفة الجمع بين الصلاتين وكذلك الجمع في الحج.

٦٧٤ ـ وذكر النسائي عن نافع، قال: خرجت مع عبد الله بن عمر في سفرٍ يريد أرضاً له، فآتاه آتٍ فقال: إن صفية بنت أبـي عبيدٍ لَمَا بها ولا نظن أن تدركها، فخرج مسرعاً ومعه رجل من قريش يسايره وغابت الشمس، فلم يقل الصلاة وكان عهدي به وهو يحافظ على الصلاة، فلما أبطأ قلت: الصلاة يرحمك الله، فالتفت إليَّ ومضى حتى إذا كان في آخر الشفق نزل فصلى المغرب ثم أقام العشاء وقد توارى الشفق فصلى بنا، ثم أقبل علينا فقال: إن رسول الله ﷺ كان إذا عجل به السير صنع هكذا.

٦٧٥ ـ وعند أبـي داود في هذا الحديث، قال: «حتى إذا كان قبل غروب الشفق نزل فصلى المغرب ثم انتظر حتى غاب الشفق فصلى العشاء» وهذا صحيحٌ عن ابن عمر.

وقد اختلف عن ابن عمر في صفة الجمع في هذه الليلة حتى قال بعضهم: إنه جَمَعَ بينهما ربع الليل، والطرق صحاحٌ، ولا أدري الوهم ممن هو فيها، وإنما كتبت ما كتبت دون ما تركت منها لأن هذا يعضده أن الصلاة مؤقتة، ولا يخرج عن وقتها إلا بدليل. وقد روي عن معاذ بن جبل عن النبـي ﷺ في صفة الجمع إخراج إحداهما عن وقتها والله أعلم، وقد أخذ به جماعةٌ كثيرةٌ من العلماء.

باب القصر في الصلاة في السفر إلا في صلاة المغرب

ونهى عليه السلام أن تسافر المرأة بريداً مع غير ذي محرم، فسمي سير البريد سفراً.

٦٧٦ ـ مسلم عن أنس بن مالك، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فصلى ركعتين ركعتين حتى رجع.

٦٧٧ ـ وعن ابن عمر، قال: «جمع رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء بجُمعٍ صلى المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين».

٦٧٨ ـ أبو داود عن جابر بن عبد الله، قال: «أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة»[1].

التنقل على الدابة:

٦٧٩ ـ البخاري عن ابن عمر، قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي في السفر على

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٥)، وأبو داود (١٢٣٦)، وانظر: «إرواء الغليل» للشيخ الألباني برقم (٥٧٤).

راحلته حيث توجهت به يومىء إيماء صلاة الليل إلا الفرائض، ويوتر على راحلته».

٦٨٠ ــ وقال أبو دادو من حديث جابرٍ: «والسجود أخفض من الركوع». وقال من حديث أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ كان إذا سافر فأراد أن يتطوع استقبل بناقته القبلة فكبر، ثم يصلي حيث توجهت ركابه».

باب صلاة الخوف

٦٨١ ــ مسلم بن الحجاج عن صالح بن خَوَّاتٍ، عمن صلى مع النبي ﷺ يوم ذات الرقاع سهل بن أبي حثمة، أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو، فصلى بالذين معه ركعة، ثم ثبت قائماً وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا وجاءه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم.

٦٨٢ ــ أبو دادو عن حذيفة بن اليمان وسئل عن صلاة الخوف مع النبي ﷺ فقال: «صلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة، ولم يقضوا»(١).

وقد ورد عن النبي ﷺ روايات في صلاة الخوف صحاح، وهذان الحديثان صحيحان.

٦٨٣ ــ وذكر أبو داود أيضاً عن أبي بكرة الثقفي، قال: «صلى النبي ﷺ الظهر فصف بعضهم خلفه وبعضهم بإزاء العدو، فصلى ركعتين ثم سلم، فانطلق الذين صلوا فوقفوا موقف أصحابهم، ثم جاء أولئك فصفوا خلفه فصلى بهم ركعتين ثم سلم، فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات، ولأصحابه ركعتين»، وبذلك كان الحسن يفتي(٢).

باب في صلاة العيدين

٦٨٤ ــ البخاري عن أنس بن مالكٍ، قال «كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمراتٍ، ويأكلهن وتراً».

٦٨٥ ــ الترمذي عن بريدة بن حصيبٍ، قال: «كان النبي ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم، ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٢٤٦)، وغيره، وانظر: «الإرواء» للمحدث الجليل محمد ناصر الدين الألباني (٣/ ٤٤ ــ ط. المكتب الإسلامي).

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (١٢٤٨)، وفيه الحسن البصري، مدلس وقد عنعنه.

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٥٤٢)، وابن ماجه (١٧٥٦)، وابن خزيمة (٢/ ٣٤١)، والدارقطني (٢/ ٤٥)، والحاكم (١/ ٢٩٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٠)، وابن حبان (٥٩٣ ــ موارد)، وغيرهم كثير.

٦٨٦ ــ مسلم عن أم عطية، قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العَوَاتق، والحُيض، وذوات الخدور، أما الحُيض: فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلبابٌ، قال: «لتُلبسها أختها من جلبابها».

٦٨٧ ــ البخاري عن أم عطية، قالت: «كنا نأمر أن نخرج يوم العيد حتى نخرج الحُيّضَ فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم، ويرجون بركة ذلك اليوم وطهرته».

٦٨٨ ــ وعن ابن عمر، قال: «كان النبـي ﷺ يغدو إلى المصلى والعنزة بين يديه، تحمل وتنصب بالمصلى فيصلي إليها».

٦٨٩ ــ أبو داود عن ابن حمير، قال: «خرج عبد الله بن بشرٍ صاحب رسول الله ﷺ في يوم عيد فطرٍ أو أضحى وأنكر ابطاء الإمام، فقال: إنا كنا فرغنا ساعتنا هذه وذلك حين التسبيح»(١).

٦٩٠ ــ مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله تعالى، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن، وقال: «تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم» فقامت امرأةٌ من سطة النساء سفعاء الخدين، فقالت: لم يا رسول الله؟ قال: «لأنكن الشكاية، وتكفرن العشير» قال: فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقرطتهـن، وخواتمهن» زاد أبو داود فقسمه بين فقراء المسلمين.

٦٩١ ــ مسلم عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ خرج يوم أضحى أو فطر فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما، ثم أتى النساء. وذكر الحديث.

٦٩٢ ــ البزار عن أبـي سعيد الخدري، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رجع يعني يوم العيد صلى في بيته ركعتين».

٦٩٣ ــ النسائي عن سمرة بن جندب، قال: «كان النبـي ﷺ يقرأ في العيد بـــ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ و﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١١٣٥)، وابن ماجه (١٣١٧)، والحاكم (١/٢٩٥)، والبيهقي (٣/ ٢٨٢)، والغريابـي في «كتاب العيدين» برقم (٣٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٧)، وابن الجوزي في «التحقيق» ــ بتحقيقنا، (١/ ق ١٦٦/ ١)، والبيهقي =

٦٩٤ ــ الترمذي عن عمرو بن عوف: «أن رسول الله ﷺ كبر في الأولى سبعاً قبل القراءة، وفي الآخرة خمساً قبل القراءة»[١].

٦٩٥ ــ أبو داود عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال نبي الله ﷺ: «التكبير في الفطر سبعاً في الأولى، وخمساً في الآخرة، والقراءة بعدهما كليهما»[٢].

٦٩٦ ــ وعن عبد الله بن السائب، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ العيد فلما قضى الصلاة، قال: «إنا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة، ومن أحب أن يذهب فليذهب»[٣].

٦٩٧ ــ الترمذي عن أبي هريرة، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره»[٤].

٦٩٨ ــ أبو دادو عن أبي عمير بن أيمن عن عمومةٍ له من أصحاب النبي ﷺ «أن ركباً جاءوا إلى النبي ﷺ يشهدون أنهم رأوا الهلال بالأمس، فأمرهم أن يفطروا، وإذا أصبحوا أن يغدو إلى مصلاهم»[٥].

٦٩٩ ــ ومن مراسيل أبي داود، عن الزهري: «أن النبي ﷺ كان يكبر من أول أيام التشريق إلى آخر أيام التشريق»[٦].

= (٣/ ٢٩٤)، وغيرهم.

(١) إسناده ضعيف جداً، والحديث صحيح: أخرجه الترمذي (٣٦٥)، وابن ماجه (١٢٧٨)، والدارقطني (٢/ ٤٨)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٧٩)، والبيهقي (٣/ ٢٨٦)، وغيرهم. وفي سنده: كثير بن عبد الله، ضعيف جدّاً، ولكن الحديث صحيح بشواهده الكثيرة.

(٢) صحيح، وإسناده ضعيف: أخرجه أبو داود (١١٥١ ــ ١١٥٢)، وابن ماجه (١٢٧٨)، وعبد الرزاق برقم (٥٦٧٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٧٢)، وابن الجارود في «المنتقى» برقم (٢٦٢)، والدارقطني (٢/ ٤٥ ــ ٤٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٨٠)، وابن الجوزي في «التحقيق» (١/ ٦٤/ ٢)، وفي سنده عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، ضعيف، ولكن الحديث صحيح بشواهده الكثيرة.

(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (١١٥٥)، والنسائي (٣/ ١٨٥)، وابن ماجه (١٢٩٠)، وابن الجارود برقم (٢٦٤)، وابن خزيمة برقم (١٤٦٢)، والدارقطني (٢/ ٥٠)، والحاكم (١/ ٢٩٥)، والبيهقي (٣/ ١٠٣)، وعباس الدوري في «تاريخ يحيى بن معين» (٣/ ١٥)، وغيرهم كثير. والصواب في هذا الحديث أنه مرسل عن عطاء، قال بهذا عدة من العلماء منهم يحيى بن معين في «تاريخه» (٣/ ١٥)، وأبو زرعة الرازي في «العلل» لابن أبي حاتم (١/ ١٨٠)، والنسائي كما في «الأطراف» للمزي (٤/ ٣٤٧)، والمنذري في «مختصر السنن» (٢/ ٣٢)، وغيرهم.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٥٤١)، وفي الباب عن ابن عمر، وأبي رافع.

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١١٥٧).

(٦) إسناده ضعيف: وذلك لأنه مرسل.

اعلم رحمك الله تعالى أن هذين اليومين يوم الفطر ويوم الأضحى يوم أفراحٍ ومسراتٍ، وملابس، وبشاراتٍ، وملاذٍ، وشهواتٍ، وغدوات في المباح من كل ذلك، وروحاتٍ، ولكنها عند العقلاء مشوباتٌ بذكر لما يخاف وينتظره مما بين أيديهم من الشدائد التي لا توصف، والأهوال التي لا تقدر ولا تكيف، ولا يوجد عنها معدل ولا مصرفٌ إلا الغيض الذي لا ينقطع، والجود الذي يمتد ويتسع، وتتصاعد أمواجه وترتفع، والله تعالى يوجدنا طيب ذلك المشرب، وينزلنا ذلك المنزل الأعظم، الأوجب بكرمه ورحمته.

٧٠٠ ــ ويروى عن أزهر السمان، قال: كان صالح بن عبد الجليل إذا كان يوم عيدٍ غدا إلى المصلى، فإذا انصرف جمع أهله وولده وجعل التراب على رأسه ولحيته، وأخذ في البكاء والنحيب، فقال بعض أصحابه: يرحمك الله هذا يوم عيدٍ، وسرور، وفرح، فيقول: صدقتم، ولكني عبد أمرني مولاي أن أعمل له عملاً فعملته، فلا أدري أقبله مني أم لا، فمن أحق مني بطول الحزن ومن أحق مني بطول البكاء.

٧٠١ ــ وقال المبارك بن فضالة: نظر الحسن البصري إلى قوم يضحكون في يوم فطرٍ، فقال: إن الله عزّ وجلّ جعل شهر رمضان مضمار العبادة، يستبقون فيه إلى جنته، فسبق أقوامٌ، ففازوا وقصر أقوامٌ فخابوا، فالعجب للضاحك اللاعب في يوم يقوم فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، أما لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته عن تجديد ثوبٍ وترجيل شعرٍ.

وقد جاءت رخصةٌ عن النبي ﷺ في إباحة اللعب والفرح في هذين اليومين لمن أراد ذلك من الرجال والنساء، فمن أخذ بها فله ذلك، ومن أخذ بالآكد عليه والأنفع له كان قد اختار لنفسه خير المختارين، ونظر لها بأحسن النظرين.

٧٠٢ ــ النسائي عن أنس، قال: كان للجاهلية يومان في كل سنةٍ يلعبون فيهما، فلما قدم النبي ﷺ قال: «كان لكم يومان تلعبون فيهما قد أبدلكم الله خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى».

٧٠٣ ــ مسلم عن عائشة، قالت: دخل عليَّ أبو بكر ــ تعني الصديق ــ وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعاثٍ، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك في يوم عيدٍ، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن لكل قومٍ عيداً وهذا عيدنا». وفي رواية أخرى: «جاريتان يلعبان بدفٍ».

٧٠٤ ــ وزاد في طريق آخر: قالت: وكان يوم عيدٍ يلعب السُودَان بالدرق والحراب،

فأما سألت رسول الله ﷺ أراها قال: «تشتهين تنظرين؟» قالت: نعم. فأقامني وراءه خدي على خده، وهو يقول: «دونكم يا بني ارفده» حتى إذا مللت قال: «حسبك» قلت: نعم. قال: «فاذهبي». وفي رواية: إن لعبهم ذلك كان في مسجد رسول الله ﷺ.

باب في صلاة الاستسقاء

٧٠٥ ـ مسلم عن عبد الله بن زيد، قال: «خرج رسول الله ﷺ يوماً يستسقي، فجعل إلى الناس ظهره يدعو الله، واستقبل القبلة وحول رداءه وصلى ركعتين». زاد البخاري: «جهر فيهما بالقراءة» وزاد عن المسعودي: «وجعل اليمين على الشمال».

٧٠٦ ـ أبو دادو عن عبد الله بن كنانة، قال: أرسلني الوليد بن عتبة وكان أمير المدينة إلى ابن عباس أسأله عن صلاة رسول الله ﷺ في الاستسقاء، فقال: خرج رسول الله ﷺ متبذلاً متواضعاً متضرعاً حتى أتى المصلى، فرقي على المنبر ولم يخطب خطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير، ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد[1].

٧٠٧ ـ البخاري عن أنس بن مالك، «أن رسول الله ﷺ كان لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلاّ في الاستسقاء فإنه كان يرفع حتى يُرى بياض إبطيه».

٧٠٨ ـ أبو داود عن عبد الله بن عمرو، قال: كان النبي ﷺ إذا استسقى، قال: «اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك وأحيي بلدك الميت»[2].

٧٠٩ ـ مسلم عن أنس بن مالك، أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائماً ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم أغثنا» قال أنس: فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابةٌ مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سَبتاً، قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الأكام، والضراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر» قال: فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١١٣٤)، والنسائي (٣/ ١٧٩)، وأحمد (٣/ ١٠٣، ١٧٨، ٢٣٥، ٢٥٠)، والحاكم (١/ ٢٩٤)، والبيهقي (٣/ ٢٧٧)، وغيرهم.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (١١٦٥)، وبقية أصحاب السنن، إلاّ ابن ماجه، وغيرهم، وانظر: «الإرواء» برقم (٦٦٥).

٧١٠ ــ البخاري عن ابن عمر، قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺفلم ينزل حتى يجيش به كل ميزاب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل

الشاعر الذي أراد ابن عمر هو أبو طالب عم النبي ﷺ وهذا البيت في قصيدةٍ طويلة مدح بها النبي ﷺ.

٧١١ ــ مسلم عن عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عُرف ذلك في وجهه فأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرَّ به وذهب ذلك عنه» قالت عائشة: فسألته فقال: «إني خشيت أن يكون عذاباً سُلط على أمتي» ويقول إذا رأى المطر: «رحمة».

٧١٢ ــ وعنها: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح، قال: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به» قالت: وإذا تجبلت السماء تغير لونه ودخل وخرج، وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سُري عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته فقال: «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا: هذا عارضٌ ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤]».

صلاة الكسوف

٧١٣ ــ مسلم عن عائشة، قالت: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ، فأطال القيام جداً، ثم ركع فأطال الركوع جداً، ثم سجد، ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول، ثم سجد ثم انصرف رسول الله ﷺ وقد تجلت الشمس فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الشمس والقمر من آيات الله، وإنهما لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا، وادعوا الله تعالى، وصلوا وتصدقوا، يا أمة محمد ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمدٍ والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ألا هل بلغت».

٧١٤ ــ وفي رواية أخرى: «حتى استكمل أربع ركعات، وأربع سجدات» وفيها: «رأيت في مقامي كل شيء وعدتم حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها ابن لُحَيٍّ وهو الذي سبب السوائب».

٧١٥ ــ وقال في حديث جابر بن عبد الله وذكر صلاة الكسوف، قال: ثم تأخر وتأخرت الصفوف حتى انتهينا إلى النساء، ثم تقدم وتقدم الناس معه، حتى قام في مقامه

فانصرف حين انصرف وقد أضاءت الشمس، فقال: «أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا يكسفان لموت أحدٍ من الناس ولا لحياته، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فصلوا حتى تنجلي، ما من شيء توعدونه إلا وقد رأيته في صلاتي هذه، لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فطن به قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به، حتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً، ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي، ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل، فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه».

٧١٦ ــ ومن حديث ابن عباس، في خطبته ﷺ صلاة الكسوف، قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك كففت، قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرَ كاليوم منظراً، ورأيت أكثر أهلها النساء» قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن، يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط».

٧١٧ ــ ومن حديث ابن عباس، «أنه عليه السلام قام قدر سورة البقرة يعني في الركعة الأولى».

٧١٨ ــ ومن حديث عائشة «أنه عليه السلام جهر بالقراءة في الكسوف».

٧١٩ ــ النسائي عن أبي بكرة، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فانكسفت الشمس، فقام إلى المسجد يجر رداءه من العجلة، فقام إليه الناس، فصلى ركعتين كما تصلون، فلما انجلت خطبنا.

٧٢٠ ــ وفي كتاب إبي داود عن النعمان بن بشير، فجعل يصلي ركعتين ركعتين وسئل عنها حتى انجلت[١].

وقد جاءت عليه السلام صفات في صلاة الكسوف غير هذه، والطرق بها صحاحٌ، وروي عنه عليه السلام الصلاة في كسوف القمر، وهو حديثٌ ضعيف الإسناد، ذكره الدارقطني.

الصلاة على الميت

٧٢١ ــ مسلم عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ صلى على أصحمة النجاشي فكبر

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود برقم (١١٧٦)، بإسنادٍ حسن.

عليه أربعاً.

٧٢٢ ــ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخاً لكم قد مات فتقدموا فصلوا عليه» قال: فقمنا فصففنا صفين. يعني النجاشي.

٧٢٣ ــ البخاري عن طلحة بن عبيد الله بن عوفٍ، قال: صليت خلف ابن عباسٍ على جنازة فقرأ فاتحة الكتاب، فقال: لتعلموا أنها سنةٌ. زاد النسائي: «وسورة وجهر حتى أسمعنا».

٧٢٤ ــ وأخرج عن أبي أمامة، قال: «السنة في الصلاة على الجنائز أن يقرأ في التكبيرة الأولى بأم القرآن مخافةً، ثم يكبر ثلاثاً، والتسليم عند الآخرة».

٧٢٥ ــ وذكر محمد بن نصر المروزي في كتاب رفع الأيدي، عن أبي أمامة ــ أيضاً ــ قال: «السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبر، ثم يقرأ بأم القرآن، ثم يصلى على النبي ﷺ ثم يخلص الدعاء للميت، ولا يقرأ إلا في التكبيرة الأولى ثم يسلم». وذكره عبد الرزاق في مصنفه.

٧٢٦ ــ مسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان زيد بن أرقم يُكبر على جنائزنا أربعاً، وأنه كبر خمساً فسألته، فقال: كان رسول الله ﷺ يُكبرها.

٧٢٧ ــ مسلم عن سمرة بن جندبٍ، قال: صليت خلف النبي ﷺ على أم كعبٍ ــ ماتت وهي نفساء ــ فقام النبي ﷺ للصلاة عليها وسطها.

٧٢٨ ــ أبو داود عن أنس بن مالكٍ ــ وصلى على جنازة ــ فقال العلاء بن زيادٍ: يا أبا حمزة هكذا كان رسول الله ﷺ يصلي على الجنائز كصلاتك، يُكبر عليها أربعاً، ويقوم عند رأس الرجل وعجز المرأة؟ قال: نعم[1].

٧٢٩ ــ النسائي عن عمارٍ ــ مولى بني هاشم ــ قال: شهدت جنازة امرأة وصبي وفي القوم أبو سعيدٍ، وابن عباسٍ، وأبو قتادة، وأبو هريرة، فسألتهم عن ذلك فقالوا: السُنَة.

٧٣٠ ــ مسلم عن عوف بن مالكٍ، قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، واكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبَرَدِ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وابدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وادخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار» قال عوف: فتمنيت أن أكون ذلك الميت.

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (١١٩٣)، وفي سنده انقطاع واضطراب. وانظر: «الإرواء» برقم (٦٦٢).

٧٣١ ـ أبو داود عن أبي هريرة، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ على جنازة، فقال: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذَكرِنَا وإناثنا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحييته منا فاحيه على الإيمان، ومن توفيته منا فتوفه على الإسلام، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده»[1].

صلاة الضحى والحض عليها

٧٣٢ ـ مسلم عن أبي كثير، عن النبي ﷺ قال: «يصبح على كل مسلم من أحدكم صدقةٌ، فكل تسبيحة صدقةٌ، وكل تهليلة صدقةٌ، وكل تحميدة صدقةٌ، وكل تكبيرة صدقةٌ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى».

٧٣٣ ـ وقال أبو داود في هذا الحديث: «يصبح على كل سلامي من أحدكم في كل يوم صدقة».

٧٣٤ ـ مسلم عن أبي هريرة، قال: «أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيامٍ من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد».

٧٣٥ ـ ورواه أبو بكر البزار من حديث أبي الدرداء، وقال: «وتسبيحة الضحى في السفر والحضر».

٧٣٦ ـ الترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حافظ على سبحة الضحى غفر له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر»[2].

٧٣٧ ـ أبو داود عن معاذ بن أنس الجهني، أن رسول الله ﷺ قال: «من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حين يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غفر له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر»[3].

٧٣٨ ـ وفي مسند أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي هريرة، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً، فاغتنموا الغنيمة وأسرعوا الكرة، فقال رجل: يا رسول الله، ما رأينا بعثاً قط أسرع منه كرة ولا أعظم منه غنيمة، فقال: «ألا أخبركم بأسرع منه كرةً وأعظم منه غنيمة، رجل توضأ في بيته فأحسن وضوءه، ثم تحمل إلى المسجد فصلى فيه الغداة، ثم عقب بصلاة الضحى فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة».

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٣١٩٤).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٢٠١)، وغيره.

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي برقم (٤٧٦)، وفيه نهاس بن قهم، ضعيف.

٧٣٩ ــ النسائي عن نعيم بن هبار العطفاني، عن رسول الله ﷺ عن ربه تبارك وتعالى قال: «يا ابن آدم صلِّ أربع ركعاتٍ في أول النهار أكفك آخره»[١].

كم تصلى الضحى:

كان ثابت بن أسلم يصلي الضحى كل يوم مائة ركعةٍ. وكان النبي ﷺ يدع العمل خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم.

٧٤٠ ــ مسلم عن معاذة العدوية، أنها سألت عائشة أم المؤمنين كم كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى؟ قالت: أربع ركعات ويزيد ما شاء.

٧٤١ ــ وعن أم هانىء بنت أبي طالب، قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوبٍ، قالت: فسلمت عليه، فقال: «من هذا؟» قالت: أم هانىء بنت أبي طالب، قال: «مرحباً بأم هانىء» فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعاتٍ في ثوبٍ واحدٍ، فلما انصرف قلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلاً أجرته فلان بن ميسرة فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانىء» وذلك ضحى. وفي روايةٍ: «ما رأيته صلى صلاة قط أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود».

٧٤٢ ــ الترمذي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بني له قصراً من ذهب في الجنة». وقال: حديث حسن غريب.

٧٤٣ ــ وذكر العقيلي من حديث أبي ذرٍ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر النهار ثنتا عشرة ساعة، فأعد لكل ساعة منها ركعة وسجدتين تدرأ عنك ما فيها». وذكره علي بن عبد العزيز أيضاً.

٧٤٤ ــ وذكر البزار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: قلت لأبي ذرٍ: يا عماه أوصني، فقال: سألتني عما سألت رسول الله ﷺ فقال: «إن صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين، وإن صليت أربعاً كتبت من العابدين، وإن صليت ستاً لم يلحقك ذنبٌ، وإن صليت ثمانياً كتبت من القانتين، وإن صليت ثنتي عشرة ركعة بنى الله لك بيتاً في الجنة، وما من يومٍ، وليلةٍ، ولا ساعةٍ إلا ولله فيها صدقة يمن بها على من يشاء من عباده، وما مَنَّ على عبدٍ بمثل أن يلهمه ذكره»[٢].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٢٨٩)، وأحمد (٥/ ٢٨٦، ٢٧٨)، واسمه الشائع بين كتب التراجم: نعيم بن همار، والله أعلم.

(٢) حسن: أخرجه البزار برقم (٦٩٤) كشف الأستار، وفي سنده حسين بن عطاء، ضعيف الحديث، وفي =

من قال أن النبـي ﷺ لم يواظب على صلاة الضحى :

٧٤٥ ــ الترمذي عن عطية العوفي، عن أبـي سعيد الخدري، قال: «كان النبـي ﷺ يصلي الضحى حتى نقول لا يَدعُ، ويَدَعُ حتى نقول لا يصلي»[1].

٧٤٦ ــ مسلم عن عبد الله بن شقيق، قال: قلت لعائشة: هل كان رسول الله ﷺ يُصلي الضحى؟ قالت: لا إلا أن يجيء من مُغَيبه».

وقوله الأول أنه عليه السلام كان يصلي الضحى أربع ركعاتٍ ويزيد ما شاء يحمل على أنه يصليها إذا جاء من مغيبه.

٧٤٧ ــ وذكر مسلم أيضاً عن عائشة، قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ يُصلي سبحة الضحى قط وإني لأسبحها، وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم».

٧٤٨ ــ وقد روي من حديث علي بن أبـي طالب رضي الله عنه: «أن النبـي ﷺ كان يصلي الضحى». وإنما تحدث كل أحدٍ بما رأى وعلم.

٧٤٩ ــ النسائي عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبـي طالبٍ، قال: «كان النبـي ﷺ إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صَلاة العصر من مغربها صلى ركعتين، ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعاتٍ، ثم أمهل حتى إذا زالت الشمس صلى أربع ركعاتٍ قبل الظهر حين تزول الشمس، فإذا صلى الظهر صلى بعدها ركعتين وقبل العصر أربع ركعات وذلك ست عشرة ركعة».

٧٥٠ ــ مسلم عن القاسم بن عوف، أن زيد بن أرقم رأى قوماً يصلون الضحى، فقال: لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، قال رسول الله ﷺ: «صلاة الأوابين إذا مضت الفصال» يريد عليه السلام إذا اشتد الحر.

وقد رويت عن النبـي ﷺ صلاةٌ في كل يوم من أيام الجمعة، وفي كل ليلة من لياليها، ولم أجدها صحيحةً ولا مسندةً في شيء من كتب الحديث المعروفة، ولا وجدت لها فيها أصلاً ضعيفاً ولا غير ضعيفٍ، إنما وقعت في كتب الرقائق غير مسندة فيما أعلم، والصلاة كلها فعل خيرٍ إذا كانت على سنةٍ.

= الباب عن أبـي الدرداء، عند الطبراني في «الكبير» كما في «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٣٦). وبه يُحسن هذا الحديث، والله أعلم.

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي برقم (٤٧٧)، وفيه عطية العوفي، ضعيف، ومدلس.

الصلاة قبل غروب الشمس وقبل صلاة المغرب

٧٥١ ـ ذكر مسلم عن المختار بن فُلْفُل، عن أنس بن مالك، قال: كنا نصلي على عهد رسول الله ﷺ ركعتين بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب. قلت: أكان رسول الله ﷺ صلاّهما؟ قال: كان يرانا نصليهما فلم يأمرنا ولم ينهنا.

٧٥٢ ـ وعن أنس ـــ أيضاً ـــ قال: كنا بالمدينة، فإذا أذن المؤذن ابتدروا السواري فركعوا ركعتين، حتى أن الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلاة قد صليت من كثرة من يُصليها.

الصلاة بين العشائين

٧٥٣ ـ ذكر النسائي عن حذيفة بن اليمان، قال: أتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب فصلى إلى العشاء.

٧٥٤ ـ ويروى عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود ـــ صاحب النبي ﷺ ـــ أنه قال في الصلاة بين العشاءين: «هي صلاة الغفلة، يغفل الناس عنها وعن فضلها، ويشتغلون بعشائهم فلا يصلونها» وكان عبد الله بن مسعود يصلي في ذلك الوقت[(١)].

٧٥٥ ـ وعن محمد بن المنكدر ـــ وكان من فضلاء التابعين ـــ أن النبي ﷺ قال: «من صلى ما بين العشائين، فإنها صلاة الأوابين»[(٢)].

٧٥٦ ـ ويروى عن عبد الله بن عمر، قال: «من صلاة الأوابين الخلوة بين المغرب والعشاء حتى يثوب الناس إلى العتمة».

٧٥٧ ـ وعن عبد الله بن عمر؛ أنه كان يقول: «من داوم على أربع ركعاتٍ بعد المغرب كان كالمعقب غزوة بعد غزوة».

٧٥٨ ـ ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى عشر ركعاتٍ بعد المغرب بني له قصراً في الجنة» فقال عمر بن الخطاب: إذاً تكثر قصورنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثر، وأعظم، وأفضل» أو قال: «الله أكثر وأطيب»[(٣)].

٧٥٩ ـ وقال أبو عبد الرحمن الحبلي: «صل ما بين المغرب والعشاء، فإن رزقت صلاة من جوف الليل كان خيراً رزقته وإلا كنت قد قمت من أول الليل».

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» برقم (٩٤٥٠)، وفيه جابر الجعفي، ضعيف الحديث.

(٢) ضعيف: وذلك لأنه مرسل؛ والمرسل من أقسام الضعيف.

(٣) علامات الوضع ظاهرة عليه لمن له أدنى مسكة من العلم.

٧٦٠ ــ وكان أنس بن مالك يُحْيي أول الليل ويقول: «هو ناشئة الليل». ومثل هذا القول يروى عن علي بن الحسين، وابن الزبير: ناشئة الليل إذا نشأت أوله وآخره ناشئةٌ.

٧٦١ ــ وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ناشئة الليل ساعاته ناشئة بعد ناشئةٍ[١]. وقيل: كل شيء أحياه المصلي من الليل فهو ناشئةٌ.

٧٦٢ ــ وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: «يا معشر العرب صلوا ما بين صلاتي العشاء فإنه يخفف عن أحدكم من جُزُؤه، ويذهب عنه ملغاة الليل، فإن ملغاة الليل أول الليل مهدنة يوم الآخرة». وقوله ملغاة: من اللغو وكثرة الحديث. والمهدنة: من الهدنة وهي السكون. يقول: إذا سهر أول الليل، وإذا قام آخره، فإن صلى ما بين العشائين ونام آخره كان قد نقص من جزئه الذي كان يصلي من آخر الليل.

٧٦٣ ــ ويروى عن يغنم بن سالم بن قنبر، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «صلاة ما بين الظهر إلى العصر، وما بين المغرب إلى العشاء تعدل عند الله قيام ليلة»[٢].

٧٦٤ ــ وقال سعيد بن جبير: «كانوا يستحبون أن يصلوا أربع ركعاتٍ بعد المغرب».

وقد روي في هذا الباب غير هذا، وفيما ذكرت هٰهنا كفاية والحمد لله.

صلاة التسبيح

٧٦٥ ــ أبو داود عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: «ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك، ألا أفعل لك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله ذنبك أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلانيته؛ عشر خصالٍ: أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول كل ركعة وأنت قائم فقل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع وتقولها وأنت راكع عشر مراتٍ، ثم ترفع رأسك من الركوع وتقولها عشراً، ثم تهوي ساجداً فتقولها وأنت ساجد عشراً، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً، ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك فتقولها عشراً، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعاتٍ، إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنةٍ مرةً، فإن لم تفعل

---

(١) انظر قوله في «مجاز القرآن» له (٢/ ٢٧٣).

(٢) موضوع: آفته يغنم بن سالم هذا، كا يضع الحديث على أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر: «لسان الميزان» لابن حجر (٦/ ٣٨٥).

ففي عمرك مرة»(١).

٧٦٦ ــ وقال من حديث عبد الله بن عمرو، قال النبي ﷺ: «ائتني غداً أحبوك، وأثيبك، وأعطيك» حتى ظننت أنه يعطيني عطية. قال: «إذا زال النهار فقم فصل أربع ركعاتٍ» فذكر نحوه، قال: «ثم ترفع رأسك ــ يعني من السجدة الثانية ــ فاستوِ جالساً فلا تقم حتى تسبح عشراً، وتحمد عشراً، وتكبر عشراً، وتهلل عشراً، ثم تصنع ذلك في الأربع ركعاتٍ، فإنك لو كنت أعظم أهل الأرض ذنباً غفر لك بتلك»(٢).

صلاة الحاجة، وصلاة الاستخارة وتصلى بالليل والنهار

٧٦٧ ــ الترمذي عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له إلى الله تعالى حاجة فليتوضأ فليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين، ثم ليثن على الله عزّ وجلّ، ثم ليصل على النبي ﷺ، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل برٍ، والسلامة من كل إثمٍ، اللهم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين»(٣).

٧٦٨ ــ ومن مسند أبي بكر بن أبي شيبة، عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، قال: «إذا هم أحدكم بأمرٍ فليصل ركعتين من غير الفريضة ويسمي الأمر، ويقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كان شراً لي في ديني وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير كله حيث كان، ثم رضني به» وقد أخرجه البخاري أيضاً. وهو أصح من حديث التسبيح، وصلاة الحاجة.

باب الوتر

٧٦٩ ــ أبو داود عن أبي المنذر بن المعلى، عن بريدة، عن أبيه، قال: سمعت

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود برقم (١٢٩٧)، وابن ماجه (١٣٨٧)، وقد خرجته وسقت شواهده كلها في تحقيقي لكتاب ابن طولون المسمى: «**الترشيح لصلاة التسبيح**» وهو قيد الطبع، والحمد لله مسعد السعدني.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود برقم (١٢٩٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٥٢)، وغيرهما.

(٣) **ضعيف جداً**: وفي سنده فائد بن عبد الرحمٰن، متروك الحديث. وانظر: «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٤٣).

رسول الله ﷺ يقول: «الوتر حقٌّ فمن لم يوتر فليس منا، الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا، الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا»[١].

٧٧٠ ــ وعن عبد الله بن أبي مرة الرقي، عن خارجة بن حذافة، عن النبي ﷺ قال: «إن الله عزّ وجلّ قد أمركم بصلاةٍ وهي خيرٌ لكم من حُمر النعم، وهي الوتر، فجعلها فيما بين صلاة العشاء وطلوع الفجر»[٢].

ليس في هذين الحديثين ما يقضي بأن الوتر فرضٌ، ولا واجبٌ، إنما هو سُنةٌ مؤكدة، فعله رسول الله ﷺ وأمر به، ورد عنه ذلك من غير طريقٍ وصح واشتهر وفعله المسلمون.

٧٧١ ــ ذكر الترمذي عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب، قال: «الوتر ليس بختمٍ لصلاة المكتوبة، ولكن سن رسول الله ﷺ وقال: إن الله تعالى وترٌ يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن»[٣].

٧٧٢ ــ مسلم عن عبد الله بن عمر، أن رجُلاً سأل رسول الله ﷺ وأنا بينه وبين السائل، فقال: يا رسول الله، كيف صلاة الليل؟ قال: «مثنى مثنى، فإذا خشيت الصبح فصل ركعةً، واجعل آخر صلاتك وتراً». ثم سأله رجل على رأس الحول وأنا بذلك المكان من رسول الله ﷺ فلا أدري أهو ذلك الرجل أو رجل آخر، فقال له مثل ذلك.

٧٧٣ ــ وعن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يصلي من الليل ركعة وهي معترضة بين يديه، فإذا بقي الوتر أيقظها فأوترت».

٧٧٤ ــ وعن عائشة ـــ أيضاً ـــ قالت: «من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل، وأوسطه، وآخره، فانتهى وتره إلى السحر».

٧٧٥ ــ وعن أبي الدرداء، قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاثٍ لا أدعهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر».

٧٧٦ ــ وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أو! . ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن آخر الليل مشهودٌ» وذلك أفضل[٤].

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود برقم (١٤١٩)، وفيه عبد الله بن عبد الله العتكي، المروزي، ضعيف الحديث.

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (١٤١٨)، والترمذي (٢/ ٣١٥)، وفيه عبد الله بن راشد، مجهول، وهو صحيح دون قوله: «وهي خير.... النعم»، وانظر: «إرواء الغليل» برقم (٤٢٣).

(٣) ضعيف: وعلته: أبو إسحاق السبيعي، اختلط بأخرة. وانظر: «مشكاة المصابيح» برقم (١٢٦٧).

(٤) صحيح: الحديث أخرجه مسلم، وغيره، انظر «الترغيب» (١/ ٢٠٦).

٧٧٧ ـ أبو داود عن عبد الله بن رباح، عن أبـي قتادة، أن النبـي ﷺ قال لأبـي بكرٍ: «متى توتر؟ قال: أوتر من أول الليل. وقال لعمر: «متى توتر؟» قال: أوتر آخر الليل. فقال لأبـي بكرٍ: «أخذ هذا بالحزم»، وقال لعمر: «أخذ هذا بالقوة»[١].

فيمن ترك الوتر عامداً، أو فيمن نام عنه، أو نسيه وفيمن أوتر أول الليل هل يوتر آخره

٧٧٨ ـ الترمذي عن سلمان بن موسى، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبـي ﷺ قال: «إذا طلع الفجر فقد ذهب كل صلاة الليل والوتر، فأوتروا قبل طلوع الفجر»[٢].

٧٧٩ ـ وذكر أبو بكر البزار في مسنده من حديث الأغر المزني، أن رسول الله ﷺ قال: «من أذن له الصبح ولم يوتر فلا وتر له»[٣].

٧٨٠ ـ أبو داود عن عطاء بن يسار، عن أبـي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن وتره أو نسيه فليصله إذا ذكره»[٤].

٧٨١ ـ وعن قيس بن طلق، قال: زارنا طلق بن علي في يوم من رمضان وأمسى عندنا، فأفطر ثم بنا تلك الليلة وأوتر بنا، ثم انحدر إلى مسجده فصلى بأصحابه حتى إذا بقي الوتر قدم رجلاً، فقال: أوتر بأصحابك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا وتران في ليلةٍ»[٥].

٧٨٢ ـ النسائي عن أبـي أيوب الأنصاري، أن رسول الله ﷺ قال: «الوتر حقٌّ، فمن شاء أوتر بسبعٍ، ومن شاء أوتر بخمسٍ، ومن شاء أوتر بثلاث، ومن شاء أوتر بواحدةٍ»[٦].

٧٨٣ ـ مسلم عن عائشة ــ زوج النبـي ﷺ ــ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي فيما أن يفرغ من صلاة العشاء ــ وهي التي يدعو الناس العتمة ــ إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة، فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود برقم (١٤٣٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو عوانة (٢/ ٣١٠)، والحاكم (١/ ٣٠٢)، والبيهقي (٢/ ٤٧٨) بسندٍ صحيح.

(٣) أخرجه البزار برقم (٧٤٤ ـ كشف)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤٦): «رواه البزار عن صالح بن معاذ البغدادي شيخه ولم أعرفه» اهـ.

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢/ ٣٣٠)، وأحمد (٣/ ٤٤). وانظر: «إرواء الغليل» (٢/ ١٥٣).

(٥) **حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٣)، وأبو داود (١٤٣٩)، والترمذي (٤٦٨)، والنسائي (٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠)، وابن حبان برقم (٦٧١ ـ موارد)، والطيالسي (٥٦١)، والبيهقي (٣/ ٣٦)، وغيرهم.

(٦) **صحيح**: وانظر: «المشكاة» برقم (١٢٦٥).

الفجر، وجاء المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة».

٧٨٤ ــ النسائي عن أُبـي بن كعب، قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر بـــ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وفي الركعة الثانية بـــ ﴿قل يأيها الكافرون﴾، وفي الثالثة بـــ ﴿قل هو الله أحد﴾، ولا يسلم إلا في آخرهن، ويقول بعد التسليم: «سبحان الملك القدوس» ثلاثاً. زاد في روايةٍ: «ويطيل في آخرهن» يعني في آخر الثلاث من قوله «سبحان الملك القدوس». وفي هذه الرواية أيضاً: «ويقنت قبل الركوع» يعني في الوتر.

٧٨٥ ــ وقد روي عنه عليه السلام، أنه قال: «لا توتروا بثلاثٍ أوتروا بخمسٍ، أو سبعٍ، ولا تشبهوا بصلاة المغرب، رواه أبو هريرة، ذكره الدارقطني[1]. وفسره بعضهم بأن قال: «لا توتروا بثلاثٍ» أي تسلموا في الثانية. «ولا تشبهوا بصلاة المغرب» يريد أن لا يُسلم بينهما.

٧٨٦ ــ مسلم عن عائشة، قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس لا يجلس في شيء إلا في آخرها».

٧٨٧ ــ وعن زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام، أنه دخل على عائشة رضي الله عنها، قال: فقلت: يا أم المؤمنين انبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ ﴿يأيها المزمل﴾؟ فقلت: بلى. قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبـي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله تعالى خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله عزّ وجلّ في هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضةٍ. قال: فقلت: يا أم المؤمنين، انبئيني عن وتر رسول الله ﷺ، قالت: كنا نعد له سواكه وطهوره، فيبعثه الله متى شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعاتٍ لا يجلس فيها إلا في الثامنة، فيذكر الله ويحمده ويدعو، ثم ينهض ولا يُسلم، ثم يقوم فيصلي التاسعة، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعو، ثم يسلم تسليماً يُسمعنا، ثم يصلي ركعتين بعدما يُسلم وهو قاعدٌ، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني، فلما أسن رسول الله ﷺ وأخذه اللحم أوتر بسبعٍ، وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول، فتلك تسع يا بني. وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاةً أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نومٌ أو وجعٌ عن قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة. ولا أعلم نبـي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلةٍ، ولا صلى ليلةً إلى الصباح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان». وذكر مسلم هذا الحديث بأطول من هذا واختصرته.

---

(١) صحيح: أخرجه الدارقطني (٢/ ٢٤ ــ ٢٥).

٧٨٨ ـ وذكر الدارقطني عن أنس بن مالك، أن النبـي ﷺ كان يصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس، يقرأ في الركعة الأولى بأم القرآن و ﴿إذا زلزلت﴾ والآخرة بأم القرآن و﴿قل يٰأيها الكافرون﴾.

باب من طَوّلَ في الوتر، والقنوت فيه

٧٨٩ ـ النسائي عن أبـي مجلزٍ، عن أبـي موسى الأشعري، أنه كان بين مكة والمدينة، فصلى العشاء ركعتين، ثم قام فصلى ركعتين أوتر بها فقرأ بها بمائة آية من النساء، ثـم قـال: مـا آلـوت أن أضـع قـدمي حيـث وضـع رسـول الله ﷺ، وأن أقرأ بمـا قـرأ بـه رسول الله ﷺ.

وقد تقدم أن النبـي ﷺ أوتر بثلاثٍ، قرأ في الأولى بـــ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، وفي الثانية: ﴿قل يٰأيها الكافرون﴾ وفي الثالثة: ﴿قل هو الله أحد﴾. وقال الترمذي من حديث عائشة: وفي الثالثة بـــ ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين.

٧٩٠ ـ وذكر أبو داود، عن الحسن بن علي بن أبـي طالب رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلماتٍ في قنوت الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت». وفي رواية من الزيادة: «وصلى الله على النبـي»[1].

٧٩١ ـ وذكر النسائي عن علي بن أبـي طالب رضي الله عنه أن النبـي ﷺ كان يقول في آخر وتره: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

باب صلاة الليل

وكانت فريضةً ثم خفضها الله عزّ وجلّ قال قتادة: لما أنزلت: ﴿قم الليل إلاّ قليلاً﴾ [المزمل: ٢] قاموا حولاً أو حولين حتى انتفخت أسوقتهم وأقدامهم، فأنزل الله تعالى تخفيفها في آخر السورة: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى فاقرأوا ما تيسر منه﴾ [المزمل: ٢٠] فنسخت هذه الآية ما قبلها. واعلم رحمك الله أن الصلاة نورٌ وضياءٌ، ودواءٌ وشفاءٌ، وخيرٌ موضوعٌ.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٢٥ ـ ١٤٢٦)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي (٣/٢٤٩)، وابن ماجه (١١٧٨)، وأحمد (١/١٩٩).

٧٩٢ ــ كما ورد في الخبر: «فليستقل العبد من ذلك أو ليستكثر» رواه أبو داود رحمه الله.

٧٩٣ ــ وقال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعملوا وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» ذكره مالك في الموطأ[(١)].

وليس يلي الصلاة المكتوبة في الفضيلة إلا الصلاة في جوف الليل.

٧٩٤ ــ كما ورد في الخبر: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم». ذكره مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

وقت صلاة النبي ﷺ في الليل، والوقت المستحب في ذلك

٧٩٥ ــ مسلم عن عائشة، قالت: «ما ألفى رسول الله ﷺ السحر الأعلى في بيتي أو عندي إلا قائماً».

٧٩٦ ــ وقد ذكر أبو داود عنها أنها قالت: «إن كان رسول الله ﷺ ليوقظه الله تعالى بالليل فما يجيء السحر حتى يفرغ من جزئه».

٧٩٧ ــ مسلم عن مسروق بن الأجدع، سألت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت: «كان يحب الدائم» قلت: أي حينٍ كان يُصلي؟ قالت: «إذا سمع الصارخ[(٢)] قام فصلى».

٧٩٨ ــ وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام أخي داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً».

٧٩٩ ــ النسائي عن أبي مُسلم، قال: قلت لأبي ذرٍ: أي صلاة الليل أفضل؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: «نصف الليل وقليل فاعله»[(٣)].

٨٠٠ ــ ويروى عن كعب بن عجرة، قال: سئل النبي ﷺ أي الليل أسمع؟ قال:

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٧٧)، والدارمي (٦٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٧٦ ــ ٢٧٧)، وغيرهم كثير، وهو مخرج في كتاب «الطهور» لأبي عبيد القاسم بن سلام برقم (٢١ ــ تحقيق مسعد السعدني) بإسهاب.

(٢) الصَّارخ: أي: إذا سمع صوت الديك، والحديث متفق عليه. وانظر: «مشكاة المصابيح» برقم (١٢٠٧).

(٣) إسناده جيد: وأخرجه أحمد كما في «الفتح الرباني» (٤/ ٢٣٥).

«نصف الليل الآخر، وصلاته مقبولةٌ».

٨٠١ ــ وروي عن أبـي أمامة الباهلي، قال: قلت: يا رسول الله، هل من ساعةٍ أقرب من الأخرى؟ قال: «نعم، إن أقرب ما يكون العبد من الرب جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فإن الصلاة مشهودة محضورة إلى طلوع الشمس»[١].

٨٠٢ ــ ويروى عن حماد بن سلمة، عن الجريري، أن داود سأل جبريل عليه السلام أي ساعة في الليل أسمع؟ قال: لا أدري، إلا أن العرش يهتز عند السحر. قال: فذكرت ذلك لسعيد بن أبـي الحسن، فقال: أما ترى أن الرياحين تفوح عند السحر.

وقيل في تفسير قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿سوف أستغفر لكم ربـي﴾ [يوسف: ٩٨]: أنه إنما أراد أن يكون استغفاره في السحر لأنه مظان سكون العقول، ووقت الإجابة.

٨٠٣ ــ وسئل الحسن بن أبـي الحسن البصري رحمه الله، أي قيام الليل أفضل؟ فقال: «جوف الليل الأوسط، عند ذلك يكون نزول الرحمة وحلول المغفرة».

باب ما يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل

٨٠٤ ــ مسلم عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان يقول: إذا قام إلى الصلاة من جوف، قال: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وأخرت، وأسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت».

٨٠٥ ــ وعن أبـي سلمة بن عبد الرحمن، قال: سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبـي الله ﷺ يفتتح الصلاة إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما أختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

٨٠٦ ــ النسائي عن عاصم بن حميد، قال: سألت عائشة بما كان يستفتح رسول الله ﷺ قيام الليل؟ قالت: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، كان

---

(١) صحيح: وانظر: «مشكاة المصابيح» (١٢٣١)، و«صحيح الجامع الصغير» برقم (١١٨٤).

رسول الله ﷺ يكبر عشراً، ويحمد عشراً، ويسبح عشراً، ويهلل عشراً، ويستغفر عشراً، ويقول: «اللهم اغفر لي، واهدني وارزقني وعافني، أعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة»[1].

٨٠٧ ـ مسلم عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدني لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله بيديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك» وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعصبي» وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد» وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين» ثم يكون من آخر ما يقول من التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت».

٨٠٨ ـ ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا قام من الليل يقول: «اللهم قد ترى مقامي، وتعلم حاجتي فارجعني الليلة من عندك مقامي مفلحاً، منجماً، مستجاباً لي، قد رحمتني وغفرت لي» فإذا قضى صلاته، قال: «اللهم إني لا أرى شيئاً من أمر الدنيا يدوم، ولا أرى فيها حالاً يستقيم، فاجعلني أنطق فيها بحكمٍ، وأصمت فيها بحملٍ، اللهم لا تكثر لي من الدنيا فأطغى، ولا تقلل لي منها فأنسى، فإنَّ ما قل وكفى خيرٌ مما كثر وألهى».

٨٠٩ ـ وكان يزيد الرقاشي إذا قام لصلاة الليل، يقول: «اللهم إن فراري من النار إلى رحمتك بطيءٌ فقرب رحمتك مني يا أرحم الراحمين، وطلبي لجنتك ضعيفٌ فقو ضعفي في طاعتك يا أكرم المسؤولين».

٨١٠ ـ وكان خليفة العبدي من العابدين، وكان إذا قام من الليل يقول: «قام البطالون

(١) صحيح: وأخرجه أيضاً أبو داود برقم (٧٦٦).

وقمت معهم متعرضين لجودك، فكم من ذي جرمٍ عظيم قد صفحت عنه من جرمه، وكم من ذي كربٍ عظيمٍ كشفت له عن كربه، وكم من ضُرٍ كبيرٍ فرّجت له عن ضره، فوعزتك ما دعانا إلى مسألتك مع ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرفناه من كرمك وجودك، فأنت المؤمل لكل خير، والمرجو عند كل نائبةٍ».

باب صلاة النبي ﷺ ودعائه، وأحاديث من هذا الباب

٨١١ ــ مسلم عن ابن عباس، قال: بتُّ عند خالتي ميمونة، فقام النبي ﷺ من الليل، فأتى حاجته ثم غسل وجهه ويديه ثم نام، ثم قام فأتى القربة فأطلق شناقها، ثم توضأ وضوءاً بين الوضوءين ولم يكثر وقد أبلغ، ثم قام فصلى، ثم قمت فتمطيت كراهية أن يرى أني كنت أنتبه له، فتوضأت فقمت عن يساره، فأخذ بيدي فأدارني عن يمينه، فتامت صلاة رسول الله ﷺ من الليل ثلاث عشرة ركعة، ثم اضطجع فنام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، فأتاه بلال فآذنه بالصلاة، فقام فصلى ولم يتوضأ، وكان يقول في دعائه: «اللهم اجعل لي في قلبـي نوراً، وفي بصري نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واعظم لي نوراً».

٨١٢ ــ وقال النسائي في هذا الحديث عن ابن عباس: «حزرت قدر قيامه في كل ركعة بـــ ﴿يأيها المزمل﴾» هذا أكثر ما يروى في صلاة رسول الله ﷺ ثلاث عشرة ركعة.

٨١٣ ــ وذكر الترمذي عن ابن عباس، قال: سمعت نبـي الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبـي، وتجمع بها شملي، وتلم بها شعثي، وتصلح بها غائبـي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وترد بها أُلفتي، وتعصمني بها من كل سوءٍ، اللهم أعطني إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء، اللهم أنزل بك حاجتي، وإن قصر رأيـي، وضعف عملي افتقرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور، ويا شافي الصدور، كما تجير من النحور أن تجيرني من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور، اللهم ما قصر عنه رأيـي ولم تبلغه نيتي ولم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحداً من خلقك، أو خيرٍ أنت معطيه أحداً من خلقك، فإني راغبٌ إليك فيه، وأسلكه برحمتك يا رب العالمين، اللهم ذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود، الركع السجود، الموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد. اللهم اجعلنا هادين مهديين، غير ضالين ولا مُضلين، سلماً لأوليائك حرباً لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من عاداك. اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، وهذا الجهد

وعليك التكلان، اللهم اجعل لي نوراً في قلبـي، ونوراً في قبري، ونوراً بين يدي، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظمي. اللهم اعظم لي نوراً، واعطني نوراً، واجعل لي نوراً، سبحان الذي تعطف بالعز وقال به، سبحان الذي لبس المجد وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا لـه، سبحـان ذي الفضـل والنعـم، سبحـان ذي المجـد والكـرم، سبحـان ذي الجـلال والإكرام»[1].

٨١٤ ــ وذكر ابن أبـي الدنيا من حديث محمد بن خالد الضبـي، عن أنس بن مالكٍ، قال: كان رسول الله ﷺ يقول في جوف الليل: «نامت العيون وغارت النجوم وأنت الحي القيوم، لا يوارى منك ليل داجٍ، ولا سماء ذات أبراجٍ، ولا أرض ذات مهادٍ، ولا بحر لجيٌّ، ولا ظلمات بعضها فوق بعضٍ، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. اللهم إني أشهد لك بما شهدت به لنفسك، وشهدت بذلك ملائكتك وأنبياؤك، وأولوا العلم ومن لم يشهد بما شهدت به، فاكتب شهادتي مكان شهادته، أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام. اللهم إني أسألك فكاك رقبتي من النار».

ويروى في هذا الحديث من الزيادة: «تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل، كما أولجت النهار في الليل وأولجت الليل في النهار أولج عليَّ وعلى أهل بيتي الرحمة، لا تقطعها عني ولا عنهم أبداً»[2].

٨١٥ ــ مسلم عن أبـي هريرة، عن النبـي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم من الليل فليستفتح صلاته بركعتين خفيفتين».

٨١٦ ــ أبو داود عن ابن عباس، عن النبـي ﷺ أنه قام ــ يعني من الليل ــ فصلى ركعتين خفيفتين، قلت: قرأ فيهما بأم القرآن في كل ركعة، ثم صلى إحدى عشرة ركعة بالوتر. وذكر الحديث.

٨١٧ ــ مسلم عن أبـي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ قال:

---

(١) ضعيف جدّاً: أخرجه الترمذي برقم (٣٤١٩)، وفيه ابن أبـي ليلى، ضعيف الحديث جدّاً.

(٢) لم أجد هذا الحديث في نسختي من «التهجد» لابن أبـي الدنيا، والله أعلم مسعد.

«يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبـي».

٨١٨ ـ وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال: لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ، فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم أوتر وذلك ثلاث عشرة ركعة.

٨١٩ ـ النسائي عن حذيفة بن اليمان، قال: صليت مع النبـي ﷺ ليلة، فافتتح البقرة فقرأ، فقلت: يركع عند المائة فمضى، فقلت: يركع عند المائتين فمضى، فقلت: يصلي بها في ركعةٍ فمضى فافتتح سورة النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذٍ تعوذ، ثم ركع فقال: «سبحان ربـي العظيم»، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم رفع رأسه فقال: «سمع الله لمن حمده» فكان قيامه قريباً من ركوعه، ثم سجد فجعل يقول: «سبحان ربـي الأعلى» فكان سجوده قريباً من ركوعه[1].

٨٢٠ ـ وعن عبد الله بن خباب بن الأرت، عن أبيه، أنه راقب رسول الله ﷺ في ليلةٍ صلاها رسول الله ﷺ حتى كان مع الفجر، فلما سَلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خبابٌ فقال: يا رسول الله، بأبـي أنت وأمي، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها، فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إنها صلاة رغبةٍ ورهبةٍ، سألت ربـي فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدةً، سألت ربـي أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها، وسألت ربـي أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربـي أن لا يُلبسنَا شيعاً فمنعنيها» أراد عليه السلام أن لا تستأصل أمته بهلاكٍ ولا بعدوٍ.

٨٢١ ـ النسائي ـ أيضاً ـ عن حميد بن عبد الرحمن بن عوفٍ، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: قلت وأنا في سفرٍ مع رسول الله ﷺ: والله لأرقبن رسول الله ﷺ لصلاته، فلما صلى صلاة العشاء وهي العتمة اضطجع رسول الله ﷺ من الليل ثم استيقظ، فنظر في الأفق فقال: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾ حتى بلغ: ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ثم أهوى رسول الله ﷺ بيده إلى فراشه فاستهل منه سواكاً، ثم أفرغ في قدح من إداوة عنده ماءً فاستن، ثم قام يصلي حتى قلت قد صلى قدر ما نام، ثم اضطجع حتى قلت قد نام قدر ما صلى، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرةٍ، وقال مثلما قال، ففعل رسول الله ﷺ ثلاث مراتٍ قبل الفجر يعني ذلك[2].

---

(١) صحيح: وانظر: «مشكاة المصابيح» برقم (١٢٠٠).

(٢) صحيح: وانظر: «المشكاة» برقم (١٢٠٩).

٨٢٢ ــ وعن يعلى بن مالكٍ أنه سأل أم سلمة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت: كان يصلي العتمة ثم يسبح، ثم يصلي بعدها ما شاء الله من الليل، ثم ينصرف فيرقد مثلما صلى، ثم يستيقظ من نومته تلك فيصلي مثلما نام وصلاته تلك الأخرى تكون إلى الصبح.

٨٢٣ ــ وعن عبد الله بن أبي قيس، قال: سألت عائشة: كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل أيجهر أم يُسر؟ قال: كل ذلك كان يفعل، ربما جهر وربما أسر[١].

٨٢٤ ــ وعن كريبٍ مولى ابن عباس قال: سألت ابن عباس: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ بالليل؟ قال: كان يقرأ في بعض حجره فيسمع قراءته من خلفه.

٨٢٥ ــ أبو داود عن عكرمة عن ابن عباس، قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ على قدر من يسمعه من في الحجرة وهو في البيت[٢].

٨٢٦ ــ وعن أبي هريرة، قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل يرفع طوراً ويخفض طوراً[٣].

٨٢٧ ــ الترمذي عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة الأنصاري، أن النبي ﷺ قال لأبي بكرٍ: «مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك» فقال: إني سمعت من ناجيت. فقال: «ارفع قليلاً»[٤].

٨٢٨ ــ وقال لعمر: «مررت بك وأنت ترفع من صوتك» فقال: إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان. قال: «اخفض قليلاً»[٥].

٨٢٩ ــ وذكر أبو داود هذه القصة من حديث أبي هريرة ولم يذكر ما قال لأبي بكرٍ وعمر، وزاد في الحديث: «وقد سمعتك يا بلال تقرأ في هذه السورة أو من هذه السورة، قال: كلام طيب يجمع الله بعضه إلى بعض. قال: فقال النبي ﷺ: «كلكم قد أصاب».

ومما يستدل به على جواز رفع الصوت في صلاة الليل ما ذكره:

٨٣٠ ــ مسلم بن الحجاج عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ من

---

(١) حسن: وانظر: «شرح السنة» للبغوي (٤/ ٢٩).
(٢) حسن: وانظر: «المشكاة» (١٢٠٣).
(٣) إسناده ضعيف، ومعناه صحيح: أخرجه أبو داود برقم (١٣٢٨).
(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٢/ ٣١٠)، وغيره.
(٥) صحيح: وانظر: «المشكاة» برقم (١٢٠٥)، والحديث عن أبي ذر رضي الله عنه.

الليل، فقال: «يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا».

٨٣١ ــ وعنها قالت: كان النبي ﷺ يسمع قراءة رجلٍ في المسجد، فقال: «رحمه الله لقد أذكرني آية كنت أنسيتها».

٨٣٢ ــ وذكر عنها البخاري قالت: تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عَبَّادٍ يصلي في المسجد، فقال: «يا عائشة، أصوت عَبَّادٍ هذا؟» قلت: نعم. قال: «اللهم ارحم عباد» عباد هذا هو عباد بن بشرٍ الأنصاري رضي الله عنه.

٨٣٣ ــ وذكر مسلم من حديث أسيد بن حضير، أنه كان يقرأ ليلةً في مربده، فذكر الحديث، قال: فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فغدوت على رسول الله ﷺ، يعني فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تسمع لك، ولو قرأت لأصبحت تراها الناس ما تستر منهم». وقوله: «لو قرأت» يعني لو دمت على قراءتك وكان قطعها بسبب تلك الظُلةِ.

٨٣٤ ــ وروى ابن القاسم عن مالكٍ أنه قال: يستحب للذي يصلي في منزله أن يرفع صوته بالقرآن.

وقد كان الناس إذا أرادوا سفراً اعتدوا لقيام القراءة، وكانت بيوتهم شتَّى، فكانت أصواتهم تسمع بالقرآن، فأنّى استحب ذلك، وهذا راجعٌ إلى الإنسان، وهو مخير فيما شاء منه، وبحسب ما تحضره النية، وتطيب له القراءة ما لم يشغل مُصَلياً أو يؤذي نائماً في وقتٍ قد أبيح له فيه النوم.

أما منعه من إشغال المصلي فلما ذكره:

٨٣٥ ــ مالك في الموطأ عن ورقة بن عمرو البياضي، أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: «إن المصلي يناجي ربه، فلينظر ما يناجيه به، ولا يجهر بعضكم على بعضٍ بالقرآن».

وأما منعه من إيذائه النائم فلأن النائم إذا نام في وقتٍ أبيح له فيه النوم لم يحل لأحدٍ أن يوقظه إلا بأمرٍ يوجب ذلك، وإنما يحمل حديث عمر: «أوقظ الوسنان» على من أراد ذلك، ومن كان له اختيار فيه، وكذلك هو في الترتيل والمد، فإذا لم يخل بالحروف وإخراجها مخارجها، ووفُاها مقاديرها، كان الحدر والمد والإسراع، وأما إذا أخل بالحروف ولم يعطها حقها ولا وفاها قسطها فلا يجوز له المد، ولا يجوز له الإسراع، وقد قال رجل لعبد الله بن مسعود: قرأت البارحة المفصل كله، فقال له: هذّاً كهذِّ الشعر، إن أقواماً يقرأون القرآن لا

يجوز تراقيهم. ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع. ويروى هذاً كهذ الشعر، ونثراً كنثر الدقل.

٨٣٦ ــ ويروى أن عائشة رضي الله عنها سمعت رجلاً يقرأ القرآن يهذه هذاً فقالت: «ما قرأ هذا ولا سكت».

وإنما يحمل هذا على الذي يخل بالحروف كما تقدم. وأما إذا لم يخل فقد أباح عليه السلام القيام بالقرآن في ثلاث ليالٍ، ولا يقوم أحدٌ بالقرآن في ثلاث ليالٍ في الوقت المستحب للقيام من نصف الليل أو نحوه إلا ويهذه أو يهذ في كثير منه..

٨٣٧ ــ وقال سفيان الثوري: «لا بأس أن يقرأ في ليلة إذا أقام حروفه».

٨٣٨ ــ وروى ابن القاسم وابن وهب عن مالك، أنه قال في المد في القراءة: «من الناس من إذا هذ كان أخف عليه، وإذا رتل أخطأ، ومن الناس من لا يحسن يهذُ، والناس في هذا على قدر حالاتهم، وما يخفف عليهم وكلٌ واسعٌ» ذكره ابن مغيث في التهجد.

٨٣٩ ــ وذكر عن زياد بن عبد الرحمن، قال: قال لنا مالك رحمه الله: الترسل من غير سرفٍ أحب إلينا من الهذ، وخير الأمور أوساطها، فلا أرى أن يترسل جداً، ولا أرى أن يهذ هذاً، لكن وسطاً من القراءة.

أما الترتيل: فهو المحفوظ عن رسول الله ﷺ.

٨٤٠ ــ «كان عليه السلام يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها» ذكره مسلم من حديث حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها. وكان عليه السلام يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فيمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم.

وأما القراءة بالألحان والتطريب: فليس بمعروفٍ من قراءة السلف.

٨٤١ ــ قال بشر بن عمر: سمعت مالكاً يكره الألحان والتطريب في القراءة، ويقول: إنه لأمر عظيم أن يجعل كتاب الله تعالى أن يتغنى به، والله تعالى يقول: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل: ٤].

وكانت قراءة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدى بهم مرسلة من محاريبهم، وفي أورادهم وفي تعليمهم.

وأما ترديد الآية:

٨٤٢ ــ فقد ورد عنه عليه السلام أنه قام ليلة بآية يرددها، وهي: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحيكم﴾ [المائدة: ١١٨]. ذكره النسائي، وذكره

الترمذي أيضاً.

٨٤٣ ــ وروي عن مسروقٍ أنه قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلةٍ حتى أصبح أو كقريب أن يصبح يقرأ في آية يركع فيها ويسجد ويبكي: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ [الجاثية: ٢١].

٨٤٤ ــ وعن صفوان بن سليمان، قال: قال تميم الداري في المسجد بعدما صلى العشاء الآخرة فمر بهذه الآية: ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ [المؤمنون: ١٠٤]. فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح.

٨٤٥ ــ وكان هارون بن رئابٍ الأسدي يقوم من الليل إذا تهجد، فربما ردد هذه الآية حتى أصبح ﴿قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ [الأنعام: ٢٧]. ويبكي فهو كذلك حتى يصبح، أو قال: يذهب ليلاً طويلاً. وكان إذا قام إلى التهجد قام مسروراً.

٨٤٦ ــ وردد سعيد بن جبير هذه الآية حتى أصبح: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ [يس: ٥٩].

٨٤٧ ــ وكان رجل من الصالحين يصلي من الليل، فمر بهذه الآية: ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣]. فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح، فلما أصبح قيل: لقد أبكتك آية ما مثلها يُبكي إنها جنة عريضة أي واسعة؟ قال: يا ابن أخي وما ينفعني عرضها إذا لم يكن لي فيها موضع قدمٍ.

٨٤٨ ــ وقال أشهب بن عبد العزيز: خرجت ليلةً بعدما رقد الناس فمررت بمنزل مالك ابن أنس، فإذا هو قائم يصلي، فلما فرغ من قوله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ابتدأ ﴿ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر﴾ حتى بلغ: ﴿لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ [سورة التكاثر]. فبكى بكاءً طويلاً، ثم جعل يرددها ويبكي، وشغلني ما أسمع من كثرة بكائه عن التوجه إلى حاجتي التي خرجت إليها، ولم أزل قائماً وهو يرددها ويبكي حتى طلع الفجر، فلما تبين له الفجر ركع، فانصرفت إلى منزلي فتوضأت ثم أتيت المسجد فإذا به في مجلسه والناس حوله، فلما أصبح نظرت إلى وجهه وقد علاه نورٌ. فذكرت الحديث من كثرة صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

٨٤٩ ــ وقال خلف بن حوشب: قام سليمان التيمي فصلى، فقرأ سورة المُلك، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا﴾ [الملك: ٢٧] فجعل يرددها،

فلم يزل يرددها حتى أصبح.

٨٥٠ ــ وقال سعيد بن عبيدٍ: كان سعيد بن جبير يؤم قومه، فسمعته ليلةً في تراويح شهر رمضان يردد قوله تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ [غافر: ٧١ ــ ٧٢]. فجعل ينشج بنشيجٍ يقطع أكباد سامعيه حتى سقط مغشياً عليه.

٨٥١ ــ ويروى أن عمر بن الخطاب كان يمر بالآية في ورده فيعاد منها كما يعاد المريض.

٨٥٢ ــ وقام الحسن البصري ليلة يصلي، فردد هذه الآية حتى أسحر: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤]. فلما أصبح قيل له: يا أبا سعيدٍ لم تكن تجاوز هذه الآية سائر الليلة، قال: إن فيها لمعتبراً، ما ترفع طرفاً ولا ترده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلم من نعم الله أكثر.

٨٥٣ ــ وقام الحسن بن حيى ليلةً بـ﴿عم يتساءلون﴾ يردد آية فيها، ثم غشي عليه، ثم عاد فعاد إليها فغشي عليه، فلم يختمها حتى طلع الفجر.

٨٥٤ ــ وقال محمد بن كعب الفرضي: لأن أقرأ في ليلة إذا زلزلت، وبالقارعة أرددها وأتفكر فيها حتى أصبح ولا أزيد عليهما أحب إليَّ من أن أهُذَ القرآن هَذاً.

٨٥٥ ــ وقال ابن عباسٍ: «ركعتان مقتصدتان في تفكرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ والقلب لاهٍ غافل».

٨٥٦ ــ وكان إبراهيم الخواص من العابدين المجتهدين، يروى عنه أنه قال: دعتني نفسي إلى أن أختم القرآن على قدمي بتفهم وتدبرٍ، فبقيت أقرأ ثلاث سنين ولم أتم سورة البقرة، فتورمت قدماي حتى كان يخرج منها الماء الأصفر وصارت مثل البطيخة إذا جعل عليها الأصبع غاص فيها.

ما جاء في طول القيام في الصلاة

٨٥٧ ــ أبو داود عن عبد الله بن حبشي الخثعمي، أن رسول الله ﷺ سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «طول القيام»[1].

٨٥٨ ــ وفي لفظ آخر: أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت». والقنوت هنا هو القيام.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٣٢٥)، وغيره بسندٍ صحيحٍ على شرط مسلم.

٨٥٩ ــ ويروى في خبر مرسل عن النبي ﷺ: «من أطال القيام في الصلاة خفف الله عنه القيام يوم القيامة»[1].

٨٦٠ ــ ويروى عن المسيح عليه السلام أنه قال: «طول القيام ــ يعني في الصلاة ــ أمانٌ على الصراط، وطول السجود أمانٌ من عذاب القبر».

وفي بعض الآثار: طول القيام في الصلاة يهون سكرات الموت.

باب الرفق في العمل مخافة الملل والانقطاع، أو تضييع ما عليه من الحقوق

٨٦١ ــ مسلم عن عائشة، قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة فقال: «من هذه؟» فقلت: امرأةٌ لا تنام تصلي، فقال: «عليكم من الأعمال ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه».

٨٦٢ ــ وفي لفظٍ آخر: هذه الحولاء بنت تويتٍ زعموا أنها لا تنام بالليل، فقال رسول الله ﷺ: «لا تنام الليل، خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا».

وقوله عليه السلام: «لا تنام الليل» أعاد عليها اللفظ إنما قال منكراً عليها غير مجوزٍ لها لما يخافه عليها من الملل والسآمة، أو لتعطيل حق، أو لما رآه عليه السلام.

٨٦٣ ــ وقد ذكر مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: بلغ النبي ﷺ أني أصوم أسردُ، وأصلي الليل، فإما أرسل وإما لقيته، قال: «ألم أُخبر أنك تصوم ولا تفطر، وتصلي الليل فلا تفعل، فإن لعينك حظاً، ولنفسك حظاً، ولأهلك حظاً، فصم وأفطر، وصلِ ونم» وذكر الحديث.

٨٦٤ ــ وفي لفظٍ آخر: «إنك إذا فعلت ذلك هجمت عيناك، ونهمت نفسك، لعينك حقٌّ، ولنفسك حقٌّ، ولأهلك حقٌّ».

٨٦٥ ــ وذكر أبو داود عن عائشة، أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون فجاءه، فقال: «يا عثمان أرغِبتَ عن سنتي؟» قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سُنتك أطلب. قال: «فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق يا عثمان فإن لأهلك عليك حقًّا، وإن لضيفك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، فصم وأفطر، وصل ونم»[2].

---

(١) ضعيف: وعلته الإرسال.

(٢) إسناده ضعيف: فيه ابن إسحاق مدلس، وقد عنعنه. والحديث في «سنن أبي داود» برقم (١٣٦٩).

٨٦٦ ــ وذكر البخاري عن أبـي جحيفة، قال: آخى النبـي ﷺ بين سلمان وبين أبـي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلةً فقال لها: «ما شأنك؟» قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كُل فإني صائمٌ. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نَمْ، ثم ذهب يقوم، فقال: نَمْ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه، فأتى النبـي ﷺ فذكر له ذلك، فقال النبـي ﷺ: «صدق سلمان».

٨٦٧ ــ وذكر البخاري أيضاً عن أنس، قال: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبـي ﷺ يسألون عن عبادة النبـي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبـي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

٨٦٨ ــ وعن أبي هريرة، عن النبـي ﷺ قال: «إن الدين يسيرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُلجة».

٨٦٩ ــ وللبخاري عن أبـي هريرة ــ أيضاً ــ قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحداً منكم عمله» قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدُلجة، فالقصد القصد تبلغوا».

٨٧٠ ــ وروى محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر، عن عائشة، عن النبـي ﷺ أنه قال: «إن هذا الدين متينٌ، فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عباد الله، فإن المنبت لم يقطع سفراً، ولم يبق ظهراً»[1].

٨٧١ ــ مسلم عن أنس بن مالك، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: «ما هذا؟» قالوا: لزينب تصلي فإذا كسلت أو فترت امتسكت به، فقال:

---

(١) إسناده ضعيف، والحديث حسن في الشواهد: أخرجه البزار برقم (٧٤)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٢٩)، والحاكم في «علوم الحديث» (ص٩٥ ــ ٩٦) من حديث جابر، وقال الحاكم: «وهذا روي عن ابن المنكدر مرسلاً، ورواه عبيد الله بن عمرو عن محمد بن سوقة عن ابن المنكدر عن عائشة، وابن المنكدر لم يسمع من عائشة» اهـ.

قلت: وله شاهد من حديث أنس عند أحمد (٣/ ١٩٨ ــ ١٩٩).

«حُلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد».

٨٧٢ ــ مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع».

٨٧٣ ــ مسلم عن أنس بن مالك، قال: دخل رسول الله ﷺ وحبل ممدودٌ. وذكر الحديث.

٨٧٤ ــ وعن عائشة، أن النبي ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعسٌ لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه» وقد تقدم هذا الحديث في الوضوء.

٨٧٥ ــ وقد ذكر أبو بكر البزار من حديث محمد بن أبي ليلى، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لَيَضْحك إلى رَجُلٍ نَامَ وَهُوَ سَاجِدٌ»[1].

هذا والله أعلم إنما يكون إذا هجم عليه النوم من غير مدافعةٍ تخالف هذا الحديث الأول، أو يكون ممن لم يبلغه الحديث الأول، على أن ذلك أصح إسناداً من هذا.

صلاة الليل في السفر

٨٧٦ ــ وذكر ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فقال: «إن هذا السفر جهدٌ وثقل، فإذا أوتر أحدكم فليركع ركعتين خفيفتين، فإن استيقظ وإلا كانتا له». ذكره أبو الحسن الدارقطني في كتاب السنن[2].

٨٧٧ ــ وذكر النسائي عن أبي ذرٍ، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله تعالى وثلاثة يبغضهم، أما الذي يحبهم الله عزّ وجلّ فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابةٍ بينهم وبينه فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقومٌ ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به نزلوا فوضعوا رؤوسهم فقام رجلٌ يتملقني ويتلو آياتي، ورجلٌ كان في سريه فلقوا العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له. والثلاثة الذين يبغضهم الله تعالى: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظَلُومُ»[3].

---

(١) إسناده ضعيف جداً: فيه محمد بن أبي ليلى، ضعيف الحديث لسوء حفظه الشديد، وعطية ضعيف ومدلس.

(٢) صحيح: أخرجه الدارقطني (٢/ ٣٦)، وقد أخرجه الستة.

(٣) ضعيف: وانظر: «مشكاة المصابيح» (١٩٢٢).

من فاته حزبه من الليل

قد تقدم قول عائشة رضي الله عنها أن النبـي ﷺ كان إذا غلبه نومٌ أو وجعٌ عن قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة.

٨٧٨ ــ وذكر مسلم عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه، أو عن شيءٍ منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».

٨٧٩ ــ النسائي عن أبـي الدرداء يبلغ به النبـي ﷺ قال: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كان له ما نوى، وكان نومه عليه من ربه صدقة من يومه»(١). وذكره عن عائشة أيضاً.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ [الإنسان: ٩]. أي يخلف هذا هذا، ويخلف هذا هذا.

وقوله تعالى: ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أي يذكر نعمة ربه عليه، فمن فاته عمل بالليل عمله بالنهار، ومن فاته عمل بالنهار عمله بالليل.

٨٨٠ ــ وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون النقصان من العمل، ويستحبون الزيادة فيه وإلا فشيء ديمةٌ. يقول لا زيادة ولا نقصان.

قال: وكانوا إذا فاتهم شيء من الليل قضوه بالنهار.

٨٨١ ــ وذكر البخاري عن أبـي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل مقيماً صحيحاً».

فيمن ترك قيام الليل بعدما كان يقومه

٨٨٢ ــ مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلانٍ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل».

واعلم أنه لا ينبغي أن تترك قيام الليل لنوع آخر من الخير إلا أن يكون العمل الذي تتركه له واجباً عليك، وفرضاً في حقك تطالب به إن لم تفعل، وتؤخذ به إن ضيعته، أو لعمل فيه نصٌّ جليٌّ فإنه أفضل من قيام الليل.

٨٨٣ ــ يروى عن أبـي الحسن ممشاذٍ الدينوري، قال: اجتمعت مع جماعة مع شيخ

(١) ضعيف: أخرجه النسائي (٣/ ٢٥٨)، وفيه حبيب بن أبـي ثابت مدلس وقد عنعنه، وقد خالفه سفيان الثوري، فرواه موقوفاً. أخرجه النسائي (٣/ ٢٥٨).

مريدٍ من الصوفية، فاشتغلت أنا بخدمة ذلك الشيخ، وتركت صلاتي من جوف الليل، فلما أصبحنا جئت إلى يحيى بن الجلاء، فبكر بي يحيى وبالجماعة إلى الشيخ في بعض الضياع نتبرك به وما كنت أدخل على شيخ إلا وأنا خالٍ من حالي ومالي لأنظر بركات الشيخ ــ يريد بركات ما يجري الله تعالى على خاطره وسره ــ فلما دخلنا عليه وسلمنا قال الشيخ: «يا ممشاد ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك، وذكر من لا يغفل عن ذكرك، فنوديت في سري أن هذا تأديبٌ لي على ترك صلاتي البارحة، فلم أعد إلى مثل ذلك. فمن ادعى محبة الله يكون أسيراً في قيود السهر والفكر، قتيلاً بسيوف الذل والغبر».

النهي أن يخص يوم الجمعة بقيامٍ من بين الليالي

٨٨٤ ــ مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيامٍ من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيامٍ من بين الأيام إلا أن يكون في صومٍ يصومه أحدكم».

قيـام رمضـان

٨٨٥ ــ مالك عن ابن شهابٍ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر بعزيمةٍ، فيقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» قال ابن شهابٍ: فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر بن الخطاب.

٨٨٦ ــ وعن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ذات ليلةٍ، فصلى بصلاته ناسٌ، ثم صلى القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا إني خشيت أن يفرض عليكم» وذلك في رمضان.

٨٨٧ ــ وعن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاعٌ متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: والله إني لأراني لو جمعت هؤلاء على قارىء واحدٍ لكان أمثل، فجمعهم على أُبي بن كعبٍ، قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ــ يعني آخر الليل ــ وكان الناس يقومون أوله.

٨٨٨ ــ وعن السائب بن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب أُبي بن كعبٍ وتميماً

الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعةً، وكان القارىء يقرأ بالمسن حتى كنا نقيمه على العصا من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع طلوع الفجر.

٨٨٩ ــ وعن يزيد بن رومان، قال: كانوا يقومون في زمن عمر بن الخطاب في رمضان بثلاثةٍ وعشرين ركعةٍ.

٨٩٠ ــ وقال أشهب بن عبد العزيز عن مالكٍ: الذي آخذ به لنفسي في قيام رمضان هو الذي جمع به عمر بن الخطاب الناس إحدى عشرة ركعة وهي صلاة رسول الله ﷺ ولا أدري من أحدث هذا الركوع الكثير، ذكره ابن مغيث.

٨٩١ ــ وقال ابن القاسم: كره مالك رحمه الله تعالى أن ينقص الناس من عدد الركوع الذي جرى به العمل في مسجد رسول الله ﷺ وهي تسع وثلاثون ركعة بالوتر، والوتر ثلاثٌ، واختار هو لنفسه إحدى عشرة ركعة.

٨٩٢ ــ ويروى أن الناس اشتد عليهم طول القيام فشكوا ذلك إلى عمر بن الخطاب، فأمر القارئين أن يُخففا من طول القيام ويزيدا في عدد الركوع، فكانا يقومان بثلاثٍ وعشرين ركعة، ثم شكوا فنقصوا من طول القيام وزيدوا في الركوع حتى أتموا ستاً وثلاثين، والوتر بثلاثٍ، فاستقر الأمر على هذا.

٨٩٣ ــ وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يؤم الناس في رمضان يعني في القيام. واختار أحمد بن حنبل الصلاة مع الناس في قيام رمضان لقول النبي ﷺ: «إذا قام الرجل مع الإمام حتى يصلي كتب له بقية ليلته». وكذلك الليث بن سعدٍ، ويحيى بن سعيدٍ، وأبو البختري، وزاذان.

٨٩٤ ــ قال أبو داود سليمان بن الأشعث: كان أحمد بن حنبل يقوم مع الناس في رمضان، ويوتر معهم.

وكان غيرهم من العلماء يصلي مع الناس القيام. وكان ابن هرمز يصلي في بيته، ويصلي بأهله. وكذلك ربيعة وغيره من علماء المدينة يختارون الصلاة في البيت. وكذلك مجاهد، وابن القاسم، ويروى هذا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أنه اختار للرجل أن يصلي في بيته إذا كان يحفظ، وهو أحب لمالكٍ أن يصلي في بيته، قال: لا أشك أن الصلاة في البيت أفضل. ويروى عنه أيضاً: أفضله أكثره في البيت أو في المساجد.

٨٩٥ ــ وقال رجل للحسن البصري: أصلي قيام رمضان في البيت أو في المسجد؟ فقال له الحسن: «الموضع الذي ترى فيه عينيك أدمع، وقلبك أرق وأخشع فالزمه».

قيام ليلة القدر وفضلها

٨٩٦ ــ ذكر مسلم من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

٨٩٧ ــ وذكر النسائي من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم شهر رمضان شهر مباركٌ، فرض الله عليكم فيه صيامه، وتفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب جهنم، وتُغل فيه مردة الشياطين لله تعالى، فيه ليلة خيرٌ من ألف شهرٍ من حُرِمَ خيرها فقد حُرم»[(١)].

٨٩٨ ــ مسلم عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر ــ يعني ليلة القدر ــ فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي».

٨٩٩ ــ وعنه قال: رأى رجل أن ليلة القدر ليلة سبعٍ وعشرين، فقال النبي ﷺ: «أرى رؤياكم في العشر الأواخر، فاطلبوها في الوتر منها».

٩٠٠ ــ وعن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه خرج على الناس فقال: «يٰأيها الناس، إنه كانت بُيِّنَتْ لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يختصمان معهما الشيطان فنسيتها، فالتمسوها في التاسعة، والسابعة، والخامسة» قال: قلت: يا أبا سعيد، إنكم أعلم بالعدد، قال: أجل نحن أعلم بذلك منكم، قلت: ما التاسعة، والسابعة، والخامسة، قال: إذا مضت واحدةٌ وعشرون فالتي تليها اثنتان وعشرون فهي التاسعة، فإذا مضت ثلاثٌ وعشرون فالتي تليها السابعة، فإذا مضت خمسٌ وعشرون فالتي تليها الخامسة».

٩٠١ ــ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العَشْرُ أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر».

٩٠٢ ــ الترمذي عن أبي ذرٍ، قال: صُمنا مع رسول الله ﷺ فلم يصل بنا حتى بقي سبعٌ من الشهر، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، ثم لم يقم بنا في السادسة وقام بنا في الخامسة حتى ذهب شطر الليل، فقلنا له: يا رسول الله، لو نفلتنا بقية ليلتنا، فقال: «إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة» ثم لم يقم بنا حتى بقي ثلاثٌ من الشهر وصلى بنا في الثالثة ودعا أهله ونساءه، فقام بنا حتى تخوفنا الفلاح. قيل: وما الفلاح. قال: السحور[(٢)].

---

(١) حسن بشواهده: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٥)، والنسائي (٤/ ١٢٩).

(٢) صحيح: أخرجه أيضاً النسائي، وانظر: «مشكاة المصابيح» (١٢٩٨)، وكذا أخرجه أبو داود.

فيمن لا يقوم الليل

٩٠٣ ـ النسائي عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: ذُكر عند رسول الله ﷺ رجلٌ نام حتى أصبح، فقال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه». وقد ذكره مسلم والبخاري عن عبد الله أيضاً.

قال أبو سليمان الخطابي في تفسير هذا الحديث: هذا مثلٌ ضربه عليه السلام له حين غفل عن الصلاة بوقوع البول المفسد الضار في أذنيه. كقول الراجز.

بَال سُهَيل في الفَضِيْح فَفَسَدَ[1]

وليس لسهيل بول، إنما هو نجم يطلع فيفسد الفضيح بعده، وإن أراد عليه السلام عين البول فلا ينكر إن كانت له هذه الصفة.

٩٠٤ ـ ويروى في هذا الخبر من الزيادة: «إذا نام العبد ولم يُصل أيقظته الملائكة ثلاث مراتٍ، فإن لم يقم بال الشيطان في أذنه». رواه أبو هانيء بن المتوكل، عن أزهر بن سعيدٍ مرسلاً، عن النبي ﷺ[2].

٩٠٥ ـ مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة، فقال: «ألا تصلون؟» فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، ثم سمعته وهو مدبرٌ يضرب فخذه ويقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

٩٠٦ ـ وذكر مالك في الموطأ عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام عقد ثلاث عُقَدٍ يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

٩٠٧ ـ وذكره أبو بكر بن أبي شيبة في المسند، وقال فيه: «فيصبح نشيطاً طيب النفس قد أصاب خيراً، وإن لم يفعل أصبح كَسِلاً خبيث النفس لم يصب خيراً».

٩٠٨ ـ وذكره أبو بشر الدولابي في مسند حديث شعبة، وقال بعد قوله انحلت عقدة: «فحلوا عقد الشيطان عليكم».

٩٠٩ ـ وذكر مسلم من حديث سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن أبيه

---

(١) البيت في «لسان العرب» لابن منظور مادة [فضخ] بلا نسبة.

(٢) ضعيف: وعلته الإرسال.

عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ وكنت غلاماً شاباً عزباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطيء البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناسٌ من قريش قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك فقال لي: لم تُرع، فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل». قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينساه من الليل إلا قليلاً.

٩١٠ ــ وقال البخاري في هذا الحديث: «وجهنم مطوية كطيء البئر لها قرنان كقرون البئر بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وأرى فيها رجالاً معلقين بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالاً من قريش».

تحريض أحد الزوجين صاحبه على قيام الليل

٩١١ ــ النسائي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجُلاً قام من الليل فصلى، ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء. ورحم الله امرأةً قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبَى نضحت في وجهه الماء»[1].

٩١٢ ــ وكان النبي ﷺ يوقظ عائشة على صغرها إذ ذاك توتر من آخر الليل، وكانت توتر بركعاتٍ.

فَضْلُ صلاة الليل

٩١٣ ــ وقال عليه السلام: «الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل» ثم قرأ: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ: ﴿يعملون﴾ [السجدة: ١٦ ــ ١٧]. ذكره الترمذي، وقد تقدم.

٩١٤ ــ مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له».

٩١٥ ــ وعنه عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي

(١) حسن: وانظر: «مشكاة المصابيح» برقم (١٢٣٠).

يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر، ويروى حتى يطلع الفجر وينصرف القارىء من صلاة الصبح». ذكره أبو بكر بن أبـي شيبة في مسنده على ما ذكره ابن مغيث في كتاب التهجد.

٩١٦ ــ ولمسلم في هذا الحديث عن أبـي هريرة، ــ أيضاً ــ عن النبـي ﷺ: «فيقول هل من سائل يُعطى، هل من داعٍ يُستَجاب له، هل من مستغفر يُغفر له».

٩١٧ ــ وفي أخرى: «ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول: من يقرض غير عليمٍ ولا ظلومٍ».

٩١٨ ــ وذكره أبو بكر البزار في مسنده عن أبـي الدرداء، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى ينزل في ثلاث ساعات يبقين من الليل، فيفتتح الذكر للساعة الأولى الذي لم يره أحدٌ غيره، فيمحو الله تعالى ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم ينزل الساعة الثانية إلى جنة عدنٍ وهي التي لم يرها أحدٌ ولم تخطر على قلب بشرٍ لا يسكنها معه غير ثلاثةٍ: النبيين، والصديقين، والشهداء، ثم يقول: طوبـى لمن دخلك. وينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفرٍ فيستغفرني فأغفر له، ألا من سائل يسألني فأعطيه، ألا من داعٍ يدعوني فأجيبه، حتى تكون صلاة الفجر، وكذلك يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ [الإسراء: ٧٨] تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار»[١].

٩١٩ ــ ومن مراسيل أبـي داود عن عبيد بن السباق، أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا عزّ وجلّ من آخر الليل فينادي منادٍ في السماء العليا: ألا نزل الخلاق العليم فيسجد أهل السماء، وينادي منادٍ منهم بذلك فلا يمر بأهل سماءٍ إلا وهم سجودٌ»[٢].

ما ورد في هذه الأحاديث عن النزول، ليس بنزول حركةٍ ولا بانتقالٍ، فإن هذه صفات الأجسام، وقد قام الدليل الواضح، والبرهان اللائح على أن الله عزّ وجلّ قد تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وهذه المسألة قد بينها العلماء رضي الله عنهم في كتبهم وأوضحوها وجلوها لمن أراد شرحها، والحمد لله رب العالمين.

٩٢٠ ــ ذكر مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبـي ﷺ يقول: «إن في الليل ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلةٍ».

---

(١) إسناده ضعيف جدّاً: وأخرجه أيضاً الدارقطني في «كتاب النزول» برقم (٧٣)، وفيه زياد بن محمد شيخٌ لليث بن سعد، قال فيه النسائي: «منكر الحديث» انظر «لسان الميزان» (٢/ ٦١٢).

(٢) ضعيف: وعلته الإرسال.

٩٢١ ــ ومن حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

٩٢٢ ــ وقال البخاري: «رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلانٌ فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل».

٩٢٣ ــ أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»(١).

٩٢٤ ــ وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، وتكفير للسيئات، ومنهاة عن الإثم»(٢). وفي رواية: «مطردةٌ للداء عن الجسد»(٣).

٩٢٥ ــ ويروى أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة: «يا أبا هريرة، أتريد أن تكون رحمة الله عليك حياً وميتاً، ومقبوراً ومبعوثاً، قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك. يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك تكون في نورٌ في بيتك في السماء كنور الكوكب عند أهل الدنيا».

٩٢٦ ــ وعن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس إليه وقيل قدم رسول الله ﷺ، فجئت أنظر في الناس، فلما تبينت وجه رسول الله ﷺ عرفت أنه ليس وجه كذابٍ، فكان أول شيء سمعته أن قال: «أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام». وقد ذكره الترمذي أيضاً(٤).

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود برقم (١٣٩٨).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥٣) معلقاً، وقد وصله الحاكم (١/ ٣٠٨)، وابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (١ ــ بتحقيق مسعد)، وحسنه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٣٢١).

(٣) هذه الزيادة لا تصح، فقد رواها البيهقي في «السنن» (٢/ ٥٠٢) من حديث بلال، وفي سنده: يزيد بن ربيعة الدمشقي، متروك. وعنه أبو عبد الله خالد بن أبي خالد، لم أجد من ترجمه. وقد خالفه محمد القرشي، فقد ذكر اسم يزيد هذا فقال: ربيعة بن يزيد، وكذلك قال عبد الله بن صالح في إسناده إلى أبي أمامة. وابن صالح فيه بعض الضعف. أمّا محمد القرشي، فهو محمد بن سعيد الشامي، المصلوب، كذاب، وكان يضع الحديث.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٥، ٣٢٥١)، والدارمي (١٤٦٠، ٢٦٣٢)، =

٩٢٧ ـ ومثله ما روى أبو هريرة، قال: قلت: يا رسول الله، إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، فأنبئني بشيء إذا فعلته دخلت الجنة، قال: «أطعم الطعام، وأفش السلام، وصل بالليل والناس نيامٌ تدخل الجنة بسلامٍ»(١).

٩٢٨ ـ النسائي عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، قالا: قال رسول الله ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»(٢).

٩٢٩ ـ وروى ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل». ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد»(٣).

٩٣٠ ـ وذكر فيه عن السري بن محمد، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذرٍ: «يا أبا ذر لو أردت سفراً لأعددت له عُدةً، فكيف سفر يوم القيامة؟ ألا أنبئك يا أبا ذرٍ بما ينفعك ذلك اليوم؟» قال: بلى بأبي وأمي أنت. قال: «صم يوماً شديداً حره ليوم النشور، وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وحج حجة لعظائم الأمور، وتصدق بصدقة على مسكين، أو كلمة حقٍ تقولها، أو كلمة سوءٍ تسكت عنها»(٤).

٩٣١ ـ وذكر أبو بكرٍ في مسنده من حديث خالد بن معدان عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى منكم بالليل فليجهر بالقراءة، فإن الملائكة تصلي بصلاته وتستمع القرآن، وأن مؤمني الجن الذين يكونون في الهواء وجيرانه معه في مسكنه يصلون

= وأحمد (٥/ ٤٥١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٢١٥) وغيرهم.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥)، والحاكم (٤/ ١٢٩)، وسنده صحيح كما قالا الحاكم والذهبي.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (١٣٠٩) بسندٍ صحيح.

(٣) موضوع: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (ج١٢ برقم ١٢٦٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٢٤٤٧)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٩٤)، والسهمي في «تاريخ جُرْجَان» (ص٢٢٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٢٤، ٨/ ٨٠) من طريق سعد بن سعيد الجرجاني، عن نهشل أبي عبد الله عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً به. وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٦١): «فيه سعد بن سعيد الجرجاني، وهو ضعيف» اهـ.

قلنا: وهذا منه تقصير في حق الحكم على السند، فالسند فيه ثلاث علل:

١ ـ سعد الجرجاني لا يصح حديثه.

٢ ـ نهشل متروك الحديث، بل كذبه إسحاق بن راهويه.

٣ ـ الانقطاع بين الضحاك، وابن عباس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (٦)، والسري هذا لم نجد له ذكراً، والله أعلم.

بصلاته ويستمعون لقراءته، وأنه ليطرد بجهر قراءته عن داره وعن الدور التي حوله فساق الجن ومردة الشياطين، وأن البيت الذي يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نورٍ يقتدون بها أهل السماء كما يقتدون بالكوكب الدري في لجج البحر وفي الأرض القفر» وذكر بقية الحديث[1].

٩٣٢ ــ وعن شهر بن حوشب، قال: «إذا قام العبد من الليل تبش له الأرض، واستنار له موضع مصلاه، وفرح به عمار داره من مسلمي الجن واستمعوا لقراءته وأمنوا على دعائه، فإذا انقضت عليه ليلته أوصت الليل المستأنفة فقالت: كوني عليه خفيفة نبهيه لساعته وارحمي طول سهره إذا نام البطالون. قال: ثم تولي عنه ليلته وتقول له عند فراقه: استودَعْتُكَ للذي استعملك في طاعته وجعلني لك في القيامة شهيداً. قال: ويقول له النهار في آخره مثل ذلك»[2].

٩٣٣ ــ وذكر ابن أبـي الدنيا عن أبـي عمران التمار، قال: «غدوت يوماً إلى مسجد الحسن البصري رضي الله عنه فإذا باب المسجد مغلقٌ، وإذا الحسن جالس يدعو، وإذا جماعةٌ في المسجد وجماعة يؤمنون على دعائه، فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه ثم قام وأذن وفتح باب المسجد، فدخلت فلم أر في المسجد أحداً، فلما أصبح وتفرق الناس من عنده قلت: يا أبا سعيد، إني والله رأيت عجباً، قال: وما رأيت؟ فأخبرته بالذي رأيت وسمعت، فقال: أولئك جنٌ من نصيبين يحبون يشهدون معي ختم القرآن كل ليلة جمعة ثم ينصرفون». الذين استمعوا القرآن من النبـي عليه السلام ليلة الجن كانوا من نصيبين أيضاً.

٩٣٤ ــ وكان بصقلية من أيام كانت للمسلمين رجل من العابدين، وكان يصلي من الليل يرفع صوته بالقرآن، فأصابه ضربٌ من الاستسقاء فانقطع عن صلاة الليل، فلما كان ذات ليلة سمع صوت رجل يسلم عليه فرد عليه السلام، وقال له: من أنت؟ قال: أنا من الجن المؤمنين ممن يصلي بصلاتك فقدت صوتك هذه الليالي فاستوحشت من ذلك، وساءني ما نزل بك، فإذا كان يوم الجمعة الآتي ستجد في طاقٍ لك حشيشةً أجعلها لك هنالك، فإذا وجدتها فاشربها فإنك ستبرأ بإذن الله تعالى، فلما كان يوم الجمعة نظر في المكان فلم يجد شيئاً، فقال: هذا هاتفٌ كذابٌ. فلما كان في داخل الجمعة جاءه فسلم عليه

---

(١) ضعيف: أخرجه البزار برقم (٧١٢ ــ كشف الأستار)، وسنده ضعيف، لأن فيه انقطاع بين خالد بن معدان، ومعاذ بن جبل، فخالد لم يسمع من ابن جبل. وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٥٣): «وفيه من لم أجد من ترجمه» اهـ.

(٢) أخرجه ابن أبـي الدنيا في «التهجد» برقم (١٥ ــ بتحقيق مسعد السعدني).

وقال: أنا الذي وعدتك بالحشيشة ولعلك تظن أني أخلفت وعدك قاصداً لذلك، ما كنت لأفعل ولكن هذه الحشيشة في بلاد الهند فمشيت إليها لأطلبها فوقعت في قومٍ من الجن المؤمنين يقاتِلون عدوهم من الجن الكافرين، فلزمني الحضور معهم فأقمت فيهم وقاتلت بقتالهم حتى حكم الله بيننا وبين عدونا فهزمناهم ومنحنا الله ظهورهم، ثم مشيت في طلب الحشيشة وهاهي قد أتيتك بها قد وضعتها في طاق بيتك، قال: فوجدها الرجل في الموضع الذي ذكره فشربها فبرأ. ذكر هذه الحكاية السميطاري رحمه الله تعالى.

٩٣٥ ــ وذكر ابن أبي الدنيا ــ أيضاً ــ عن مرة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية»[١].

٩٣٦ ــ وعن يعلى، عن عطاءٍ، عن عمته سلمة، قالت: قال لي عمرو بن العاص: «يا سَّلمة، ركعةٌ بالليل عشرين بالنهار»[٢].

٩٣٧ ــ وعن المبارك بن فضالة، قال: «قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد، ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تبارك وتعالى من الأعمال؟ قال: ما أعلم شيئاً يتقرب به المتقربون إلى الله عزّ وجلّ أفضل من قيام العبد من جوف الليل»[٣].

٩٣٨ ــ وعن الحسن ــ أيضاً ــ قال: «ما نعمل عملاً أشد من مكابدة هذا الليل، ونفقة هذا المال»[٤].

٩٣٩ ــ وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «شرف الموحدين قيامهم بالليل، وعزهم الاستغناء عما في أيدي الناس»[٥].

٩٤٠ ــ وقال يزيد الرقاشي: «قيام الليل نور المؤمنين يوم القيامة يسعى من بين يديهم ومن خلفهم، وصيام العبد يبعده من حر السعير»[٦].

٩٤١ ــ وقال عطاء الخراساني: «كان يقال: قيام الليل محياةٌ للبدن، ونور في القلب، وضياء في البصر، وقوة في الجوارح، وأن الرجل إذا قام يتهجد أصبح فرحاً يجد

---

(١) صحيح: أخرجه عبد الرزاق برقم (٤٧٣٥)، وابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (٩)، والطبراني في «الكبير» برقم (٨٩٩٨ ــ ٨٩٩٩).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (١٠).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (١٢).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في السابق برقم (١٣).

(٥) السابق برقم (١٦).

(٦) السابق برقم (١٨).

لذلك فرحاً في قلبه، وإذا غلبته عيناه ونام عن حزبه أصبح حزيناً منكسر القلب كأنه قد فقد شيئاً، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً»[1].

٩٤٢ ــ وقال طلحة بن مصرفٍ: «بلغني أن العبد إذا قام للتهجد من الليل ناداه ملكاه: طوبى لك سلكت منهاج العابدين قبلك»[2].

٩٤٣ ــ ويروى عن محمد بن المنكدر، قال: قالت أم سليمان بن داود لسليمان بن داود عليهما السلام: «يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة» ذكره العقيلي.

٩٤٤ ــ وقد روي عن يوسف بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن جده، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ.

٩٤٥ ــ وعن وهب بن منبه، قال: «قيام الليل يشرف به الوضيع، ويعز به الذليل، وصيام النهار يقطع عن صاحبه الشهوات، وليس للمؤمن من راحة دون دخول الجنة»[3].

٩٤٦ ــ وقال يزيد الرقاشي: «بطول التهجد تقر عيون العابدين، وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء الله عزّ وجلّ»[4].

٩٤٧ ــ ويروى عن عبد الله بن سليمان العسقلاني ــ وكان رجلاً صادقاً صالحاً ــ قال: حدثنا رجل من العابدين قدم علينا مرابطاً بعسقلان، قال: قمت ذات ليلة للتهجد على بعض السطوح فإذا أنا بهاتفٍ يهتف من البحر: إليكم معشر العابدين أبناء السالفين، قبلكم قسمت العبادة ثلاثة أجزاء: فأولها قيام الليل، وثانيها: صيام النهار، وثالثها: الدعاء والتسبيح. هذا خبر القيامة فخذوا منه بالحظ الأوفر، قال: فسقطت والله على وجهي مما داخلني من ذلك.

٩٤٨ ــ وقال وهب بن منبه: «ثلاث من روح الدنيا: لقاء الإخوان، وإفطار الصائم، والتهجد من آخر الليل»[5].

٩٤٩ ــ أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثنا سويد بن سعيد، ثنا علي بن مسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال

---

(١) السابق برقم (١٧).

(٢) السابق برقم (١٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (٢٤).

(٤) انظر السابق برقم (٢٥).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (٣٣)، وفي «كتاب الإخوان» برقم (٩٣).

رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نادى منادٍ أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليلٌ، ثم يحاسب سائر الناس»[1].

باب في الاجتهاد والمجتهدين

اعلم رحمك الله أنه لما كانت الدنيا دار اكتساب للآخرة، وسوق متجرٍ لها واستعداد للمسير إليها والقدوم عليها، وكانت التجارات مختلفة، والبضائع متباينة، والأرباح متفاوتة، والمغبون فيها هو المغبون الذي لا يقول سأربح غداً، ولا يهتدي من أمره رشداً، ولا يتجر لسلعة أبداً، وكانت صلاة الليل من أنفقها سوقاً وأكثر بضائعها حقوقاً، وجب على العاقل المنتفع بعقله أن ينظر لنفسه، ويأخذ منها لحظه، فيفرح بهذا الليل إذا أقبل وطال، ويحزن إذا انقلص وزال، وهو موطن تنتعش فيه الأرواح، وتبتهج وترتاح، وتتقلب بين مسراتٍ وأفراحٍ، وتكثر من المساءلة والإلحاح، وتمتاز من خير ربها وتمتاح، وتستمنح من سماح من بيده السماح، ومن يُغذى على فضله ويراح، فهي قائمة بين يدي خالقها عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وما يرد عليها بتلك المقامات، فتارةً تذكر مماتها وسالف زلاتها وأيام بطالتها، فتجد وتجتهد، وتعد وتستعد، وترغب وتسأل، وتتضرع وتتوسل، وتحار وتبتهل، وعسى ولعل، وما ذلك على الله بعزيزٍ، وإنه عليه ليسيرٌ وهو على كل شيء قديرٌ. وأنشد بعضهم:

بهذا الليل فلتفرح فإنه ... لما ترجوه من خيرٍ مَظِنَّةٌ
وفي جلبابه أن تدرعه ... لكل مخافة درعٌ وجنَّةٌ
فخذه مرسلاً فيه جفوناً ... كأن دموعها سُحبٌ مزنةٌ
وقم فيه ولو تحت المواضي ... وقف فيه ولو فوق الأسنة
وأنت بقلب محزونٍ أثارت ... به الأحزان ناراً مستكنة
فبات لها بجنبيه شعاعٌ ... يريك سناه من خلف الأكنة
ونادِ مهيمنا جعلت إليه ... عرى الآمال من أنس وجنة
عسى ولعل والرغبى إليه ... وفيه ما تريد وما تمنه
ينيلك توبة منه نصوحاً ... تنيلك فيه نفساً مطمئنة
وتجلو عنك ظلماء المعاصي ... جلاء الصبح ظلماء الدجنة
فبين يديك لو تدري أموراً ... تحار لها العقول المرجحنة

---

(١) حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (٢٠٣)، وإسناده حسن للكلام الذي في «شهر بن حوشب».

وإلا عطفــــة منـــــه لكـــــربٍ   تشيــب لــذكــره ســود الأجنــة
فخفـــه إنـــه أهـــلٌ لــــذاكـــم   ورجّـــه إنـــه المـــرجـــو إنـــه

٩٥٠ ــ قال يحيى بن معاذٍ الرازي: «الدنيا حانوت المؤمن، والليل والنهار رؤوس أموالهم، وصالح الأعمال بضائعهم، وجنة الخلد أرباحهم، ونار الأبد حسراتهم».

٩٥١ ــ وقال عبد الله بن عمر لرجلٍ: «اغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً».

٩٥٢ ــ وخرج يوسف بن أسباط يوماً إلى المسجد وهو مريضٌ يتوكأ على عبد الله ابن خبيق، فقال: «يا معشر الشباب، بادروا الصحة قبل المرض، فما من شيء أتمناه على الله إلا أن أتم ركوعي وسجودي، وقد حيل بيني وبين ذلك ما أقدر على ذلك».

٩٥٣ ــ وقال بعضهم: «خذ العمر في أوله، واعمل منه في أفضله، وآت من اجتهادك بأتمه وأكمله، واسع سعي من يخاف أن ينقطع عن المنزل ويحبس عنه فلا يصل قبل أن ينعل جلدك، ويفتر جسدك، ويكبو زندك، فيحبسك الكبر، ويغيرك الهَرَم، وتندم وأنى ينفعك الندم، ومن سعى في الشباب وجد ذلك السعي في الكبر أمامه، وكان إلى كل نجاةٍ إمامه».

٩٥٤ ــ يروى عن بعض صالحي الشبان قال: رأيتُ في النوم شيخاً يسعى بين يدي وأنا أسعى خلفه، فكنت لا ألحقه، فجعلت أتعجب فالتفت إليَّ، وقال: إني كنت أسعى في الشباب ـــ يريد كنت سريع المبادرة إلى العمل في أيام الشباب.

٩٥٥ ــ وقال موسى بن علي، مشينا يوماً مع الجُنيد، رحمه الله فلما بلغنا مسجد الشونيزيه التفت إليَّ ووقف، ثم قال: «يا معشر الشباب خذوا قبل أن تعجزوا، واجتهدوا قبل أن تطلبوا أثراً بعد عينٍ، فإني تذكرت مجاهدات كانت لي في هذا المسجد تقبح اليوم في عيني ما أنا فيه من البطالة».

قال موسى: وكان حين قال هذه المقالة أكثر اجتهاداً من جماعة شبان في أنواع المجاهدات.

وقد ذكر الله عزّ وجلّ المجتهدين في كتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٧].

٩٥٦ ــ يروى عن الحسن، أنه قال: «كابدوا الليل ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم اجلسوا في الدعاء والاستكانة والاستغفار».

وقال تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ [الفرقان: ٦٤] وقال عزّ وجلّ:

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ [السجدة: ١٦] أي تنبو عن الفُرش فلا تستقر عليها ولا تثبت فيها لخوف الوعيد ورجاء الموعود. ثم قال سبحانه ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧]، أخبر عزّ وجلّ أنه يؤتيهم قرة أعينهم وغاية أملهم بما تحملوه من سهرهم، وما تركوه من لذيذ نومهم.

وقال عزّ وجلّ: ﴿أم هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ [الزمر: ٩]. المعنى: هل يستوي من هذه صفته مع من نام ليلهُ وضيع نفسه غير عالم بوعد ربه ولا بوعيده.

٩٥٧ ــ وصلى النبي ﷺ حتى تفطرت قدماه أي تشققت فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[1].

ولعل قائلاً يقول هذا على طريق المبالغة والتأكيد وليس على طريق الحقيقة، فيقال له: بل هو على الحقيقة، وعلى ظاهره حتى يأتي ما يُمنع به وما ينقصه، وإن قال لم يكن النبي ﷺ يصلي الليل كله حتى يصيبه هذا، قيل له: نعم لكن كان ﷺ يصلي منه كثيراً. قال الله عزّ وجلّ: ﴿يأيها المزمل قم الليل إلاّ قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل: ١ ــ ٤]. فهذا وقته الذي كان يقوم فيه ﷺ، وكان يصلي إلى السحر، وإلى قرب الفجر، وكان عليه السلام يطول ويخفف، وقد تقدمت صفة صلاته بالليل ﷺ. وحتى لو كان على طريق المبالغة لكان الاجتهاد فيه موجوداً، والحمل فيه على اليقين حاصلاً لأن هذا هو الذي يعطيه لفظ المبالغة، والحديث أنه ﷺ صلى حتى تفطرت قدماه هو حديثٌ مشهورٌ صحيحٌ ذكره مسلم[2]، والبخاري، والترمذي، وغيرهم. والذين رووه: عائشة وأبو هريرة، والمغيرة بن شعبة، وأنس.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١١٣٠، ٤٨٣٦، ٦٤٧١)، ومسلم (٢٨١٩)، والترمذي (٤١٠)، والنسائي (٣/ ٢١٩)، وابن ماجه (١٤١٩)، وأحمد (٤/ ٢٥١، ٢٥٥)، وغيرهم.

(٢) من يقرأ هذا الكتاب يعلم أن المؤلف رحمه الله يقدم صحيح الإمام مسلم على صحيح الإمام البخاري، فكما ترى في جملته هذه، يقول: «ذكره مسلم، والبخاري. . . .»، ولعل قائلاً يقول: ولم يفعل ذلك؟ مع أن البخاري شيخ مسلم، وصحيحه أشهر من صحيح مسلم؟ نقول: أن أهل المغرب قد قدموا صحيح مسلم على صحيح البخاري، وذلك لأنهم قالوا: أن مسلماً فاق البخاري في حسن الصناعة. وانظر: «مقدمة الفتح» (ص١٢)، و«مقدمة شرح مسلم» (١/ ١١)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ١٢٧)، وغير ذلك.

والناس في هذا مختلفون، فمنهم من يؤلمه القليل من القيام ويظهز على قدميه. ومنهم من لا يؤلمه إلا الكثير وقد يؤلمه ولا يظهر في قدميه. فمن قام حتى آلمه القيام فقد جد واجتهد، وسواء طالت مدة القيام أو قصرت، فإن طالت المدة فهو المرغوب، وقد سئل عليه السلام أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القيام» ذكره أبو داود وغيره[1]، ولم يجيء ما يعارض هذا إلا قول ابن مسعودٍ: «أفضل الصلاة الركوع والسجود» ولا معارضة في هذا ولا حجة فيه لمن احتج له لأن الحجة إنما هي في كلام النبـي ﷺ.

وقد دعا الله عزّ وجلّ عباده للمسابقة إليه وحضهم على المنافسة فيما عنده، قال تعالى: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم﴾ [الواقعة: ١٠] وقال عزّ وجلّ: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون﴾ [المطففين: ٢٦].

٩٥٨ ــ وفي خبر عن النبـي ﷺ: «إن أهل البيت ليتنافسون في الخير فيدخلون الجنة حتى ما يفقدون خادمهم، وإن أهل البيت ليتنافسون في الشر فيدخلون النار حتى ما يفقدون خادمهم»[2].

٩٥٩ ــ ولما مات بكر بن عبد الله المزني وكان مُجاب الدعوة ازدحم الناس على جنازته وتنافسوا في حملها فقال لهم الحسن البصري وكان حاضراً، في مثل عمله فتنافسوا.

واعلم أن المنافسة تكون في جميع أعمال الخير، والصلاة من أفضل الأعمال وهي مضمار المسابقة، وميدان المنافسة، وكل ما كان العمل أكره على النفس وعليها أثقل كان في الميزان أثقل، وعند الله تبارك وتعالى أحظى وأجزل وأرفع وأكمل.

٩٦٠ ــ كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى: «أما بعد فإنه من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فاقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا عصيت فامسك».

واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفس عليه، وقد اعترض بعض العلماء بظاهر قول رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم بلفظ آخر:

٩٦١ ــ «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٣٢٥)، من حديث عبد الله بن حبشي الخثعمي.

(٢) لم نقف عليه.

٩٦٢ ــ وبقوله عليه السلام: «أكلفوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا»(١).

٩٦٣ ــ وبالحديث الآخر: «ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر أو كسل فليقعد»(٢). ولم يرد عليه السلام ألا تعمل حتى تنشط نفسك للعمل، وحتى تقبل عليه، وتبادر عليه، فإن النفس كسلانةٌ ثقيلةٌ عن فعل الخير، بطيئة النهوض إلى أعمال البر، فلو لم تُصل مثلاً حتى تدعوك نفسك للصلاة وحتى تنشط إليها وتخفف عليها لما صلت إلا قليلاً، وربما لم يصل معها أبداً ولا قامت لك عن فراشها ولا تركت راحتها، ولا لذيذ نومها، وإنما أمر عليه السلام بالرفق وحذراً من الإفراط في التعب الذي يقطع صاحبه ويقعده.

وفي قوله عليه السلام: «أكلفوا من العمل ما تطيقون» ما يدل على الاجتهاد ويبيح أخذ النفس بما تكره منه، فإن الإنسان قد يكره الضرب من العمل، ويكسل عنه، فإذا كلفه لطاقةٍ وقام به وتحمل المشقة فيه مع كراهيته له وكسله عنه فلا بد من الحمل على النفس وأخذها بالجهد والكد وتخويفها بأن تسبق إلى الله عزّ وجلّ وتحذيرها من أن يستأثر دونها بما عند الله، وأن يوصل العمل بالعمل، والاجتهاد بالاجتهاد، حتى يوصل إلى الحد الذي حذر منه رسول الله ﷺ وهو الذي يخاف منه الانقطاع والانبتات. وفي الخبر: «الخير عادة والشر لجاجة»(٣).

٩٦٤ ــ وقال أبو الدرداء لرجلٍ يقال له صبيح: «يا صبيح تعود العبادة، فإن لها عادة، وإنه ليس على الأرض أثقل عليها من كافرٍ».

وأما قوله عليه السلام: «ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر أو كسل فليقعد» أراد والله أعلم ما دمت على نشاطٍ، فإذا خالطك الكسل أن تترك الصلاة، وإنما أراد عليه السلام الذي لا يقدر مع صاحبه على شيء إلا بعد جهد جهيد، وحمل على النفس شديد، حتى لو قيل مثلاً صل وخذ كذا وكذا الثواب حاضرٍ يعرض عليه ويُرغب فيه لم يقدر، فهذا هو الكسل الذي يُنهى صاحبه عن العمل معه مخافة الانقطاع وترك العمل هذا أو نحوه والله أعلم.

---

(١) صحيح: وهو متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، انظر: «مشكاة المصابيح» برقم (١٢٤٣).

(٢) صحيح: وهو أيضاً متفق عليه من حديث أنس، انظر: «مشكاة المصابيح» برقم (١٢٤٤).

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجه (٢٢١)، وابن حبان برقم (٨٢)، موارد، والطبراني في «الكبير» (ج١٩ برقم ٩٠٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢)، وفي «تاريخ أصبهان» (١/ ٣٤٥)، وابن أبي عاصم في «الأمثال» (١٠٠)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٠)، والقضاعي برقم (٢٢) في «مسند الشهاب»، وغيرهم من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

والدليل على هذا القول تكلفه عليه السلام حتى تشققت قدماه، وهذا إنما هو في النافلة، وأما الفريضة: فيصلي على كل حالٍ في الصحة والمرض، يصليها قائماً، وقاعداً، أو نائماً، أو مضطجعاً، أو مكتوفاً، أو كيف كان أو كيفما أمكن، وأما الذي يخاف رحمك الله على من يقوم نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليلٍ فيقطع كيفية ليله في قيامٍ وركوعٍ، وسجودٍ وجلوسٍ، لتشهد أو لذكرٍ. وأما الذي يتوقع منه إذا استعان على ذلك بنومه من النهار.

٩٦٥ ــ كما ذكر أبو بكر البزار في مسنده من حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على قيام الليل بقيلولة النهار، وعلى صيام النهار بأكلة السحور»[١].

فقد حضك عليه السلام على ما يعينك وينشطك ويقويك، ويديم عملك، فإن في الاشتغال في النهار عن نوم القايلة إضعاف للبدن، وزيادة في نوم الليل.

٩٦٦ ــ وكان الحسن البصري إذا دخل السوق فيسمع لغطهم ولغوهم، قال: «ما أظن ليل هؤلاء إلا ليل سوءٍ أما يقيلون».

٩٦٧ ــ وكان بعض السلف يقول: كيف ينجو التاجر من سوء الحساب وهو ينام بالليل، ويلهو بالنهار.

وقد ينشط كثير من الناس إلى كثير مما وصفت لك، وإلى أكثر منه ولا يجدون له مشقة ولا عظيم كلفةٍ، وقد كان بشرٌ من الصالحين على هذا وعلى أكثر من هذا ممن كان يصلي الليل كله ممن سيأتي ذكر بعضهم إن شاء الله.

وإن كنت ممن لا يتمكن لك نوم بالنهار لكد في المعيشة أو لغير ذلك من أشغال الدنيا ومحنها، وما ابتلي الإنسان به منها، فاجتهد أن تصلي ولو ركعتين خفيفتين قبل الفجر فإن فيها بركة، والقليل من صلاة الليل كثيرٌ، واصبر على ذلك وداوم عليه، فإنما هو الصبر، والمداومة، والتضرع، والسؤال، والرغبة، والابتهال إلى الله تعالى في التثبت والمعونة، ورفع التعب والمؤنة.

وقال بعض العلماء وذكر حديث: «أكلفوا من العمل ما تطيقون» بين الصبر والانقطاع مرادٌ واسعٌ، ومسرحٌ رحبٌ، وميدانٌ عريضٌ، والذي يلتذ بالعمل إنما هو عاجل ثوابه ناله لقربه من ربه ولأنه قد أدرك الفضلية ودخل في حرمة الولاية فأخذه روحها وهب عليه

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (١٦٩٣)، والحاكم (١/ ٤٢٥)، والطبراني في «الكبير» برقم (١١٦٢٥)، وفيه زمعة بن صالح، ضعيف الحديث.

نسيمها، قال تبارك وتعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧]. قال بعض المفسرين: الحياة الطيبة هي ما يفتح عليه من لذة العبادة، وطيب المناجاة، وبرد الرضا بقضاء الله تبارك وتعالى إلى غير ذلك مما أراده عزّ وجلّ وهو أعلم بما أراد، وذلك ثواب عجله له، وفضل خصه به، وقلما يكون هذا إلا بعد مشقة، في العبادة، وحمل النفس على ما تكرهه منها.

٩٦٨ ــ كما يروى عن عتبة الغلام، قال: «كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة».

وهذا بابٌ من فتح له فيه بشيءٍ يجب عليه أن يلزمه أن يتعلق بالأسباب المثبتة له، ويستعين بالله عزّ وجلّ، ويسأله البأس فيه، ويصبر ويصابر فعسى ولعل، وما ذلك على الله بعزيزٍ، وإنه عليه ليسير.

٩٦٩ ــ قال أبو محمد الحريري: قصدت الجنيد رحمه الله تعالى فوجدته يصلي فأطال جداً، فلما فرغت قلت له: قد كبرت، ووهن عظمك، ورق جلدك، وضعفت قوتك، فلو اقتصرت على بعض صلاتك، فقال: اسكت، طريقٌ عرفنا به ربنا، إلا ينبغي لنا أن نقتصر منه على بعضه، والنفس ما حملتها تتحمل، والصلاة صلة، والسجود قربة، ولهذا قال تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩]، ومن ترك طريق القرب يوشك أن يسلك به طريق البعد. ثم أنشد:

صبرت عن اللذات حتى تولت ... وألزمت نفسي هجرها فاستمرت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن توقت تاقت وإلا تسلت

قال بعض العلماء: سميت الصلاة صلاة لأنها صلة بين الله وعبده، ومواصلة من الله لعبده، ولا تكون المواصلة والمثال إلا لمتقي.

واعلم أن الناس في هذا مختلفون، فمنهم من يفتح له في وجوده اللذة في الصلاة ووجود التنعم بها بعد اجتهادٍ قليلٍ في زمنٍ قصيرٍ. ومنهم من يفتح له وجود اللذة في صلاته بعد اجتهادٍ كثيرٍ في زمنٍ طويلٍ، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء، أعني في التعجيل. وأما وجود الفتح فلا بد منه للمجتهد إن شاء الله تعالى إذا استعان بالله وصبر وصابر فإنه لا ينال فضيلة عظمى في الدنيا والأخرى إلا بالصبر والمداومة عليه، وكل ما كان من هذا من كثيرٍ أو قليلٍ، قريبٍ أو بعيدٍ فهو فضل الله ورحمته، ولطفه ومنه.

ومما يحض على الاجتهاد ويصحح قول من رآه وذهب إليه:

٩٧٠ ــ حديث مسلم بن الحجاج عن ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فآتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»، فقلت: أسأل مرافقتك في الجنة. فقال: «أو غير ذلك» فقلت: هو ذاك. فقال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»(١).

فها هو عليه السلام قد أمر بكثرة السجود، ولم يحد له حداً، ولا ذكر له فيه عِدَّةً، إنما أمره بالتكثير منه والازدياد، ورغبه في الجد فيه والاجتهاد.

٩٧١ ــ وكذلك حديث البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ عن الله تبارك وتعالى قال: «ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فوعزتي لئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره إساءته»(٢) في غير كتاب البخاري: «لا بد له منه».

ألا ترى قوله تعالى: «لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل» يقال: ما زال فلان يفعل كذا إذا كان يفعل ذلك مرة بعد مرة، ويواظب عليه، ويكثر منه، وهذا يدل ــ أيضاً ــ على أن المجتهد تهب عليه نفحات الرحمة، وتتغشاه أنوار القربة قال تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧]، يجوز أن تكون هذه الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

٩٧٢ ــ ومما يذكر أنه جاء في التوبة: «يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصلياً باكياً، فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري»(٣).

٩٧٣ ــ قال أبو طالب: «كانوا يرون أن تلك الرقة والبكاء، وتلك الفتوحات التي يجدها المصلي إنما هي من دنو الرب تبارك وتعالى من قلب العبد». ويشهد لهذا ــ أيضاً ــ التجربة، وأقوال الصالحين.

٩٧٤ ــ قال أبو سليمان الداراني: «لو لم يبك الغافل في عمره إلا على ما فاته من لذة الطاعة فيما مضى من عمره لكان ينبغي أن يبكي على ذلك حتى يخرج من الدنيا».

٩٧٥ ــ ويروى أن عبد الله بن مسروق القيرواني وكان أحد الفقهاء زار أبا جعفر

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٩)، وأبو داود (١٣٠٦)، والترمذي (٣٤٧٦)، والنسائي (٢/٢٠٩)، وأحمد (٤/٥٩)، والبيهقي (٢/٤٨٦)، والبغوي في «شرح السنة» برقم (٦٥٥، ٩١١)، وغيرهم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

(٣) لم نقف عليه، وعلامات الوضع عليه واضحة لكل ذي عينين، ويبدو أنه من وضع الصوفية، والله أعلم.

القمودي وكان أحد العابدين فوجده يصلي، فأطال أبو جعفر الصلاة وأطال الرجل القعود، فلما فرغ قال له: يا أبا جعفر بأقل من هذا التعب وهذا التكلف تصل المقصود وتدرك المطلوب إن شاء الله، فقال: يا مسكين لو عرفت الله أكثر، ثم عاد إلى صلاته يقول: لو ذقت لذتها لما قلت في التعب في الاستكثار منها، وقال: يعظهم: ربما استفزني الطرف في الصلاة [. . . . . . .][1] ضحكاً ولأهل الليل بليلهم ألذ من أهل اللهو بلهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، ولو لم يعط الله تعالى أهل الليل في ثواب صلاتهم إلا ما يجدون من اللذة فيها لكان الذي أعطاهم أفضل من صلاتهم.

٩٧٦ ــ وقال بعضهم: لذة المناجاة ليست من نعيم الدنيا إنما هي من نعيم الجنة عجلها الله لأوليائه وأظهرها لهم فلا يجدها سواهم.

٩٧٧ ــ وقال بعض العلماء: ليس في الدنيا نعيمٌ يشبه نعيم الجنة إلا ما يجده أهل الليل من طيب الصلاة ولذة المناجاة.

وأنشد بعضهم:

في ظلمة الليل للعباد أنوار ... منها شموس ومنها فيه أقمار
تسرى قلوبهم في ضوئهن إلى ... ذاك المقام ومولاهم لهم جار
يرقون في درجاتٍ كلها قدسٌ ... طوراً وطوراً وذاك القدس أطوار
فينزلون رياضاً جمة أُنفاً ... فيها من العلم أشجارٌ وأنهار
فيأكلون ويشربون صادحة ... عليهم بضروب اللحن أطيار
يا طيب مأكلهم وطيب مشربهم ... وطيب ما نزلوا وطيب ما ساروا
هذا اللذاذ وإن عزت مطالبه ... وهي الأماني وإن شطت بها الدار
فازوا بها ورجال الله فائزة ... وفي العناية تخصيصٌ وإيثار
أكرم بهم من رجالٍ لو رأيتهم ... وللظلام على الأجفان أستار
رأيت أشباح قومٍ ملئت عجباً ... ماءً يفيض وفي ينبوعه نار
خمص البطون من الدنيا كأنهم ... خيلُ الرهان وهذي الدار مضمار
تخالهم ويك موتى لا حراك لهم ... وهم مع الله إقبال وإدبار
إن ينطقوا فتلاواتٌ وأذكار ... أو يسكتوا فَعَباراتٌ وأفكار
وربما بُهت الأقوام من عجبٍ ... وفي القلوب أعاجيب وأخبار
مستيقظين لذي الذكرى فكلهم ... لدى التذكر أسماعٌ وأبصار

(١) بياض بالمخطوط.

حـــدث حـــديثهـــم لله درهـــم ففـي حـديثهـم شـربٌ وإسكـار
مـروا إلـى الله منشـوراً لـواءهـم تحـت العجـاج وجنـد الله أنصـار
مستعصمين بمـولاهـم فلـو قـذفـوا في جاحـم النـار لـم تقربهـم النار

٩٧٨ ــ ومما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «يا داود بـي فافرح، وبذكري فتنعم، فما تنعم المتنعمون بمثل ذكري. يا داود، بالنهار أطالبك بقرضي، وبالليل أطالبك بحق حبـي. يا داود لو لـم تكن لي نارٌ تخشى، ولا جنة ترجى أما كنت أستحق أن أُعبد حتى أُرى».

وقيل: السرور بالله هو السرور، والسرور بغير الله هو الغرور.

وفي الحكمة: «يا عبادي الصالحون الصديقون تنعموا بعبادتي فإنها لكم في الدنيا نعيمٌ وفي الآخرة جزاءٌ».

٩٧٩ ــ ويروى أن ثوبان العابد وعد أخاً له في الله أن يفطر عنده فلم يفعل، فلقيه أخوه فقال: وعدتني أن تفطر عندي فلم تفعل وأخلفتني، فقال له: لولا ميعادك الذي وعدتك ما أخبرتك بالذي منعني عن الوفاء، لما صليت العتمة أردت المسير إليك فقلت: أوتر فإني لا آمن الموت أن يطرقني فإن جاءني وجدني قد أوترت، فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضةٌ خضراء فيها أنواع الزهر، فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت فأنساني ذلك وعدك الذي وعدتك.

٩٨٠ ــ وقال مسلم بن يسار: «ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة لمناجاة الله».

٩٨١ ــ وقال حذيفة المرعشي: «إذا صدق الرجل في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله».

وقد كان طوائف من الصالحين يستقبلون الليل فيهولهم طوله فيذهب عنهم وما قضوا منه وطراً، ولا نالوا فيه إرباً، وهل كان هذا إلا لما يجدون من نفحات الرحمة، ويتنسمون من نسيم القربة، فلا يتشبهن عليك رحمك الله فتقعد أنت بطالاً بالنهار، جيفة ملقاة بالليل، تقول: لا أصلي حتى أنشط للصلاة، ولا أعمل حتى ألتذ بالعمل، نزاعاً منك إلى أولئك المجتهدين، وانتظاراً منك لنيل منزلتهم، والارتقاء إلى درجتهم بالتمني والرجاء الذي هو الغرور، فإن أولئك لم يصلوا تلك الدرجة إلا بعد قطع قلوبهم، ونهك نفسوهم، وتركهم ما يحبون، وبتحملهم ما يكرهون وما يبغضون، وقد تغلب على الإنسان حالةٌ من رغبةٍ أو رهبةٍ فتمنعه النوم وتمنعه عن الصلاة، وقد يعيا فيعلل نفسه ويمنيها ويعدها ويرجيها.

٩٨٢ ــ كان بعض الصالحين يأتي فراشه فيضع يده عليه فيقول: والله إنك للينٌ وإنك

لوثيرٌ، وأن الرقاد عليك لشهيٌ، وفراش في الجنة ألين منك وأشهى، ثم يدعه ويقوم إلى صلاته، فإذا أعيا فعل مثل ذلك أيضاً ثم عاد إلى صلاته، فلا يزال كذلك حتى يصبح، كان يعلل بها نفسه إذا كسلت أو فترت.

٩٨٣ ــ وكان بعض الصالحين يصلي من الليل، فإذا أعيي استلقى وأنشد:

ما كان إلا أن وصل ... طاف به ثم انحول
كأنَّ بؤسي لم تكن ... قط ونعمي لم تزل

ثم يقوم إلى الصلاة.

وقد قيل: بطول السرى يقصر الطويل ويقرب البعيد، ومن سرى ليلة أحمد رأيه، وانتظر نيله.

وأنشد بعضهم:

شمر للأمر الذي شمرا ... وجد إذ أبصر ما أبصرا
وود لو يدري زمان الصبى ... هذا الذي من بعده قد درا
وبات عن طعم الكرى صائما ... وماله اليوم وطعم الكرا
وظل في محرابه مجريا ... دمعته حزناً على ما جرا
منقطع الأكبادِ مستحسراً ... حسرته في نفسه لا ترا
منذ غروب الشمس حتى إذا ... لاح له فجر الدجى مسفرا
حط عن الأعضاء ثقل السرى ... وامتد ممتدحاً ليل القذا
ومن سرا ليلته كلها أحمد ... عند الصبح ذاك السرا

وإذا قوي الباعث وكثرت الرغبة وعظمت الرهبة نشطت النفس وخف الجسد، وذل الصعب وهانت المؤنة.

٩٨٤ ــ يروى عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: «إني لأستقبل الليل فيهولني طوله فأفتتح القرآن فيفرغ وما قضيت نهمتي».

٩٨٥ ــ وقال أبو حازم: «ما مرت بي ليلة إلا وأنا لم أقض نهمتي».

٩٨٦ ــ ولما نزل الموت بأبي الشعثاء بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لم أشتف من قيام الليل.

٩٨٧ ــ وقيل لبعض الصالحين من أهل الليل: كيف أنت والليل؟ فقال: ما راعيته قط

يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته يقول: ما اشتفيت منه قط فكأنه ساعة لما أقبل. ولا مثله ما قال آخر وقد قيل له كيف الليل عليك؟ فقال: ما أدري ما أنا فيه إلا أني بين نظرةٍ ووقفةٍ فيقبل بظلامه فأتدرعه، ثم يسفر قبل أن أتلبسه. ثم أنشد:

لــم استتــم عنــاقــه لقــدومــه حتــى بــدا تسليمــه لــوداعــي

٩٨٨ ــ وقال آخر: «أما أنا فإنما يزورني الليل قائماً ثم ينصرف قبل أن يجلس».

٩٨٩ ــ وقال رجل لجنيدٍ العابد: يا جنيد، ما أفضل عملك؟ قال: «ما أتتني صلاةٌ قط إلا وأنا مستعد لها ومشتاق لها، وما انصرفت من صلاةٍ قط إلا كنت إذا انصرفت منها أشوق إليها مني حيث كنت فيها، ولولا أن الفرائض تقطع لأحببت أن أكون ليلي ونهاري قائماً راكعاً ساجداً».

٩٩٠ ــ وكان عمر بن المنكدر كثير الصلاة والبكاء،فقالت له أمه: يا بني إني لأشتهي أن أراك نائماً، فقال لها: إني لأستقبل الليل فيهولني فيدركني الصبح وما قضيت حاجتي. فاستعانت عليه بأبـي حازمٍ ورجلٍ آخر، فدخلا عليه فقالا له: إن قيامك بالليل يشق على أمك، فإن رأيت أن تخفف، فقال لهما: يا هذان، إن الليل إذا دخل عليَّ هالني فأفتتح القرآن فينقضي الليل وما انقضت نهمتي. قالا له: فبكاؤك، قال: أبكتني آية من كتاب الله تعالى. قالا: أي آيةٍ؟ قال: قوله تعالى: ﴿فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر: ٤٧]، فتركوه وانصرفوا عنه[١].

٩٩١ ــ وقال علي بن بكار: «منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء إلا طلوع الفجر». وقد قيل: حرارة الخوف تذيب برودة النوم.

٩٩٢ ــ وقال رجل لعامر بن عبد قيس وكان من العابدين، ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ فقال: «إن ذكر جهنم لا يدعني أن أنام».

٩٩٣ ــ وكان طاوس اليماني يفرش فراشه فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى، ثم يثور عنه ويقوم إلى الصلاة فيصلي إلى الصبح، ثم يقول: «إن ذكر جهنم طير نوم العابدين».

٩٩٤ ــ وكان بالبصرة غلامٌ اسمه صهيب، وكان يصلي الليل كله، فقالت له سيدته: يا صهيب، إن صلاتك بالليل قد آذتني في شغلك بالنهار، فقال: يا سيدتي إن صهيباً إذا ذكر جهنم لا يأتيه النوم.

٩٩٥ ــ وكان عامر بن عبد قيس، يقول: «ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٤١٩ ــ ط. دار الصفا).

الجنة نام طالبها». كلام عامر هذا رواه الترمذي من حديث أبـي هريرة عن النبـي ﷺ[1].

٩٩٦ ــ وكان عامر هذا إذا جاء الليل، قال: أذهب حر الليل النوم فما ينام، فإذا جاء النهار قال: أذهب حر النهار النوم فما ينام أيضاً. قال: من خاف أدلج بعد الصباح يحمد القوم السرى، وربما أتت عليه الليالي المتوالية ولا ينام فيها، فإذا قام نام بالنهار، وقيل له: كيف صبرك على سهر الليالي وظلماء الهواجر؟ فقال: ما هو إلا أني صرفت نوم الليل إلى النهار، وصرفت طعام النهار إلى الليل، وما في ذلك خطير أمرٍ ولا كثير مشقة.

٩٩٧ ــ وشكى بعض المريدين لأستاذه سهر الليالي وأن طوله قد أضر به، وأنه لا يقدر أن ينام وسأله في شيء يستجلب به النوم، فقال له أستاذه: إن الله نفحات بالليل والنهار تصيب القلوب المستيقظة، وتخطىء القلوب النائمة، فتعرض يا بني لتلك النفحات. فقال له: يا أستاذ، تركتني حياتي لا أنام بالليل والنهار ما استطعت.

٩٩٨ ــ وذكر ابن أبـي الدنيا في كتاب التهجد بإسناده إلى عطاء بن السائب، قال: قال عبدة الثقفي: لله عليَّ أن لا يشهد عليَّ ليل بنوم، ولا نهار بأكل، فأقسم عليه عمر بن الخطاب أن يفطر أيام العيد[2]، وكانوا يجتنبون الأشياء المذمومة من الفرش والطعام وغير ذلك.

٩٩٩ ــ يروى أن بعض الصالحين قدم من سفرٍ فوطىء له فراشٌ فوجده وثيراً ليناً، فنام عليه حتى أصبح، وكان له حزبٌ من الليل ففاته، فقال: لا جرم لا أنام على فراشٍ بعد هذا أبداً.

---

(١) حسن: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٧)، والترمذي (٢٧٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٧٨/٨)، وفي «صفة الجنة» برقم (٢٥)، والقضاعي في «مسنده الشهاب» برقم (٧٩١ ــ ٧٩٢)، من طريق يحيى بن عبيد الله المدني، عن أبيه، عن أبـي هريرة مرفوعاً به. وقال الترمذي عقبه: «هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله، ويحيى بن عبيد الله ضعيف عند أهل الحديث، تكلم فيه شعبة».

قلنا: يحيى هذا متروك الحديث، وأبوه مقبول عند المتابعة، وإلاّ فهو ضعيف، ولم نجد له من تابعه.

وللحديث شاهدان: الأول: عن أنس، أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤١٢/١٠): «وفيه محمد بن مصعب القرقساني، وهو ضعيف بغير كذب». قلنا: قال فيه ابن حجر في «التقريب»: «صدوق، كثير الغلط».

الثاني: أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (ص٣٠٢، ٣٣٥ ــ ٣٣٦)، من حديث عمر بن الخطاب، مرفوعاً به. وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم (٩٥٣) بمجموع الطريقين.

(٢) أخرجه ابن أبـي الدنيا في «التهجد» برقم (٥٢).

وأنشد بعضهم:

ألا فانزل عن الفرش الوثيرة ... وإن بانت تجردها منيرة
ووطء من تراب الأرض فرشاً ... لوجهك والدجى مرخ ستوره
وارسل دمع محزونٍ مصابٍ ... أخي حرق مصيبته كبيرة
تغلغل في الذنوب وفي الخطايا ... وأقدم في العيان وفي السريرة
فبات بقلبه منها اضطراب ... وبين شؤونه عين غزيرة
وإن يطفىء سعير في فؤادي ... فذاكره مؤججة سعيرة
ومن تحلل بوادي الذنب أنّى ... يبيت له بها عين قريرة

١٠٠٠ ــ ونام تميم الداري ليلةً عن حزبه فلم يقم، فقام سنة لم ينم فيها كفارةً لما صنع.

١٠٠١ ــ وقال بعضهم: ما رأيت كالليل إن اضطربت تحته غلبك، وإن ثبت له لم يقف لك. يقول: إن تجلدت على سهره مضى عنك وقد نلت منه ما أردت، وإن جزعت لطوله ضرب بك وأنامك.

١٠٠٢ ــ وكان عطاء السلمي يقوم في ليالي البرد على سطح بيته حتى يجد ألم البرد لئلا يغلبه النوم، ويدخل البيت في أيام الصيف ليجد الحر حتى لا يغلبه النوم.

١٠٠٣ ــ وكذلك كان يفعل صفوان بن سليم، وكان قد تعقدت ساقاه من طول القيام، وكان قد بلغ من الاجتهاد ما لو قيل له إن القيامة تقوم غداً ما وجد مزيداً، وكان يقول: «اللهم إني أحب لقائك فأحب لقائي». ومات حين مات رحمه الله وهو ساجدٌ رحمه الله تعالى.

وأما امتناعهم من الشبع وتوقيهم كثرة الأكل فمعروف قديماً وحديثاً:

١٠٠٤ ــ قال يزيد بن الأسود: «والله لا أشبعت نفسي من طعامٍ ولا منامٍ حتى ألقى الله عزّ وجلّ».

١٠٠٥ ــ ويروى أن إبليس تبدا ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق، فقال له يحيى: ما هذه المعاليق؟ فقال: هذه الشهوات التي أتصيد بها بني آدم. فقال له: هل وجدت لي فيها شيئاً؟ قال: نعم، شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة بالليل. فقال يحيى: ولا جرم لا أشبع بعدها أبداً، فقال إبليس: لا جرم ولا نصحت أحداً بعدها أبداً.

١٠٠٦ ــ وكان أحد عُباد بني إسرائيل يقوم على المتعبدين منهم ببيت المقدس، فينادي يا معشر العُباد لا تأكلوا كثيراً، فتشربوا كثيراً، فتناموا كثيراً، فتخسروا كثيراً.

١٠٠٧ ــ وجاء رجل إلى محمد بن سيرين رحمه الله تعالى فقال: علمني العبادة، فقال له ابن سيرين: أخبرني عن نفسك كيف تأكل؟ فقال: آكل حتى أشبع. قال: ذاك أكل البهائم، قال: فكيف تشرب الماء؟ قال: أشرب حتى أروى. قال: ذاك شرب الأنعام، اذهب فتعلم الأكل والشرب، ثم جيء أعلمك العبادة. يريد أن يتعلم تقليل الأكل والشرب لأن العبادة لا تصح إلا بتقليلهما.

١٠٠٨ ــ ويروى أن يحيى بن زكريا عليهما السلام شبع ليلةً من خبز الشعير، فنام عن صلاته حتى أصبح، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا يحيى، أوجدت داراً خيراً لك من داري، أم وجدت لك جواراً خيراً لك من جواري، فوعزتي لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقاً يعني إليها ولو اطلعت إلى النار اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحد بعد المسوح.

١٠٠٩ ــ وقال ابن جهضم في كتابه: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المسوري، سمعت أبا الحسن بيان بن محمد يقول: كنت بمكة مجاوراً وكان بها إبراهيم الخواص ولم يكن بيني وبينه مجالسةٌ، ولا أنسٌ، ولا محادثةٌ، كنت أهابه فأتى عليَّ بها أيامٌ لم يفتح عليَّ منها بشيء ولا أكلت فيها شيئاً، وكان بمكة رجلٌ مُزين يحب الفقراء والمستورين، وربما كنت أقصده فيأخذ من شعري، وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير ليحتجم عنده اشترى له لحماً وطبخه وأصلحه وأطعمه، فقصدته يوماً فقلت له: أريد أن أحتجم، فقال: اجلس، فجعل من يشتري لحماً وأمر بإصلاحه وطبخه، ثم أخذ يشتغل بـي، فجعلت أقول في نفسي وهو يحجمني: ترى يفرغ طبخ القدر عند فراغه من الحجامة، فاستيقظت من غفلتي وقلت: يا نفس إنما جئت لتحتجمي ما جئت لتطعمي، عاهدت الله أن لا أذوق من طعامه شيئاً، فلما فرغت من الحجامة قمت لأنصرف، فقال لي: سبحان الله وأنت تعرف الرسم والعادة، فقلت: ثم عَقدٌ مع الله تعالى، فسكت فانصرفت فجئت إلى المسجد فلم يقدر لي بشيء آكله، فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار فلم يتفق لي شيء آكله، فلما قمت إلى صلاة العصر سقطت وغشي عليَّ، واجتمع الناس حولي وحسبوا أني مجنونٌ، فجاء إبراهيم الخواص وفرق الناس عني وجلس عندي يؤانسني ويحدثني، ثم قال: تأكل شيئاً؟ قلت: قد قرب الليل. فقال: أحسنتم معشر المبتدئين اثبتوا على هذا تفلحوا وتنجحوا ثم مضى إبراهيم، فلما صلينا العشاء الآخرة فإذا هو قد جاءني ومعه قصعةٌ فيها عدس ورغيفان، وزورق فيه ماء فوضعه بين يديَّ وقال لي: كل بسم الله، فأكلت الرغيفين والعدس، فقال: فيك فضلٌ تأكل شيئاً؟ قلت: نعم. فمضى وجاءني بقصعة عدس ورغيفين آخرين فأكلتهما، ثم قال لي: فيك فضلٌ تأكل شيئاً؟ قلت: نعم. فمضى وجاءني بقصعة عدس ورغيفين آخرين فأكلتهما، ثم

قال: فيك فضلٌ؟ قلت: نعم. فمضى وجاءني بقصعة عدس ورغيفين فأكلتهما وقلت: قد اكتفيت، ثم اضطجعت ونمت ليلي إلى الصباح فما صليت ولا طفت، قال: فرأيت بعد ذلك رسول الله ﷺ فقال: «بيان» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «من أكل بشرهٍ أعمى الله قلبه، وحرمه المناجاة والتملق»[1] فانتبهت فزعاً مرعوباً، وعاهدت الله لا أشبع بعدها أبداً.

واعلم أن ثقل الذنوب تمنع النفس أن تنشط للخير، والجسد أن يخفف للطاعة.

١٠١٠ ــ كما قال الحسن: «إن العبد ليذنب الذنب فيمنع به قيام الليل».

١٠١١ ــ وقال سفيان الثوري: «لقد حُرمت صيام خمسة أشهر وقيامها بذنبٍ أحدثته» قيل له: وما هو؟ قال: «رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي هو مرائي».

١٠١٢ ــ وقال بعض الصالحين: «كم من أكلة منعت قيام ليلةٍ، وكم من نظرةٍ حرمت قراءة سورة، إن العبد ليأكل الأكلة أو ليفعل الفعل فيحرم بها قيام سنةٍ».

١٠١٣ ــ قال بعض الصالحين: «إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل فاعلم أنك مكبولاً قد كبلتك خطيئتك».

١٠١٤ ــ قال بعضهم: دخلت على كرز بن وبرة فوجدته يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ أتاك موت أحد من أهلك؟ قال: أشد من ذلك. قلت: وجع يؤلمك؟ قال: أشد من ذلك. قلت: فما هو؟ قال: بابي مغلقٌ، وستري مسبل، ولم أقرأ حزبي البارحة، ما ذاك إلا لذنبٍ أذنبته.

١٠١٥ ــ وقال أبو جعفر القفال وكان رجُلاً صالحاً دخلت على أحمد بن يحيى وكان لي صديقاً، فرأيته يبكي بكاءً كثيراً ما يكاد يتمالك، فقلت: أخبرني ما حالك؟ فأراد أن يكتمني فلم أدعه، فقال لي: فاتني حزبي البارحة ولا أحسب ذلك إلا لأمرٍ أحدثته فعوقبت بمنع حزبي، وثم أخذ يبكي فأشفقت عليه وأحببت أن أسهل عليه، فقلت: ما أعجب أمرك لم ترض عن الله في نومةٍ نَومَكَ إياها حتى قعدت تبكي بين يديه، فقال لي: دع عنك هذا يا أبا جعفر، فما أحسب ذلك إلا من أمرٍ أحدثته، ثم غلب عليه البكاء، فلما رأيته لا يرجع إلى قولي انصرفت عنه وتركته.

هذا وأمثاله صفة الصالحين رضوان الله عليهم كانوا لشدة خوفهم يتهمون أنفسهم ويرون أن كل نقصانٍ يكون في طاعتهم أو كسل في جَدهِم إنما هو عقابٌ يعاقبون به، وطرد ينطردون به عن باب الله عزّ وجلّ بسببه.

(١) هذا الحديث لم نقف عليه، والله أعلم.

واعلم أنهم كانوا يقلون من الذنوب أو يكثرون من العمل، ويحقرون أنفسهم:

١٠١٦ ـ كان صلة بين أشيم يصلي الليل كله، فإذا أصبح، قال: «اللهم إن مثلي لا يسألك الجنة، اللهم أجرني من النار».

وقد روي صلاة الليل كله عن جماعة كثيرة:

١٠١٧ ـ قال أبو طالب المكي: حكى ذلك لنا على سبيل الاشتهار عن أربعين من التابعين، وكان فيهم من واظب على ذلك أربعين سنة، منهم سعيد بن المسيب، وصفوان بن سليم المدنيان، وفضيل بن عياض، ووهيب بن الورد المكيان، وطاوس بن كيسان، ووهب بن منبه اليمانيان، والربيع بن خثيم والحكم بن عتيبة الكوفيان وأبو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان، وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العبادانيان، وحبيب بن محمد، وأبو جابر السلماني الفارسيان، ومالك بن دينار، وسليمان التيمي، ويزيد الرقاشي، وحبيب بن أبي ثابت، ويحيى البكاء البصريون، وكهمس بن المنهال وكان يختم القرآن في الشهر سبعين ختمة وما لم يفهم رجع وقرأه مرة أخرى. وأيضاً، من أهل المدينة أبو حازم، ومحمد بن المنكدر في جماعة.

وأما من صلى نصف الليل فلا يحصى عددهم، وقد قيل: من كثر خوفه قل نومه واشتد عزمه.

١٠١٨ ـ وقال مالك بن دينار: قالت ابنة الربيع بن خثيم لأبيها الربيع: ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام فقال لها: «يا بنية، إن أباك يخاف البيات» يعني الموت. وكان الربيع هذا من القائمين بالليل.

١٠١٩ ـ ومشى يوماً مع ابن مسعود في الحدادين، فلما نظر إلى الأكيار تنفخ، وإلى النيران تلفح صعق وسقط مغشياً عليه، فقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة، فلما لم يفق حمله على ظهره إلى منزله، فلم يزل مغشياً عليه إلى مثل الساعة التي غشي عليه فيها، ففاته خمس صلواتٍ وابن مسعود عند رأسه يقول: «والله هذا هو الخوف».

١٠٢٠ ـ ويروى أنه حفر في بيته بئر، فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه، وكان يُمثل نفسه أنه قد مات وندم وسأل الرجعة فيقول: ﴿رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ [المؤمنون: ٩٩]، ثم يجيب نفسه فيقول: قد رجعت يا ربيع، قد رجعت يا ربيع، فيرى فيه ذلك أياماً أي يرى فيه العبادة والاجتهاد والكآبة والحزن.

١٠٢١ ـ وقال الضحاك: «أدركت أقواماً يستحيون من الله من طول الضجعة في سواد الليل».

١٠٢٢ ــ وكان الحسن بن صالح البصري يقول: «إني لأستحي من الله أن أنام تكلفاً حتى يكون النوم هو الذي يصرعني». وكان يقال له: حية الوادي يعني لتيقظه وذكائه.

١٠٢٣ ــ قال عبد الله بن أبي كريب: «ما توسد أبي فراشاً منذ أربعين سنة، إنما كان ينام قاعداً يهجع هجعة خفيفة قبل الفجر».

١٠٢٤ ــ وقال ثابت البناني: «إذا استيقظت من الليل ثم رجعت إلى النوم فلا نامت عيني».

١٠٢٥ ــ وكان عبد الله بن مسعود صاحب النبي ﷺ إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح.

١٠٢٦ ــ وقال سفيان بن عيينة: كانوا يقولون في ذلك الزمان أطول أهل الكوفة تهجداً طلحة بن مصرف، وزبيد اليماني، وعبد الجبار بن وائل، فقلت لسفيان: فمنصور؟ قال: نعم، إنما كان الليل عنده مطية من المطايا فمتى شئت وجدته قد ارتحله يعني إذا شئت وجدته يصلي.

١٠٢٧ ــ ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لمعاوية بن أبي سفيان: «لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف لي بالنوم والنوم غالب هذين». يريد رضي الله عنه أنه كان لا ينام إلا قليلاً ولا ينام حتى يغلبه النوم.

١٠٢٨ ــ كما يروى عن فزارة الشامي وقيل له: صف لنا الأبدال وكانوا يظهرون فقال: «أكلهم فاقةٌ، ونومهم غلبةٌ، وكلامهم ضرورةٌ، وصمتهم حكمةٌ، وعلمهم قدوة».

١٠٢٩ ــ وكان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج إلى القبور، فيقول: «يا أهل القبور قد طويت الصحف، يا أهل القبور قد رفعت الأعمال» ثم يبكي ويصف قدميه فيصلي حتى يصبح، ثم يرجع قبل الصبح في الجماعة.

١٠٣٠ ــ وكان الحسن بن حيي وأخوه علي بن حيي وأمهما يقومون بالقرآن كل ليلةٍ، فماتت أمهما فكان الحسن وعلي يقومان به، ثم مات عليٌ فكان الحسن يقوم به، ورث عنهما ما كان لهما من الصلاة كما يرث الإنسان مال أبيه أو أخيه.

١٠٣١ ــ وباع الحسن هذا جارية من قومٍ، فلما كان من جوف الليل قامت فقالت: يا أهل الدار، الصلاة الصلاة، فقالوا لها: أصبحنا؟ أطلع الفجر؟ فقالت: أوما تصلون إلا الصلاة المكتوبة، ثم مرت إلى سيدها فقالت له: سيدي بعتني من قومٍ لا يصلون بالليل، ردني فردها.

١٠٣٢ ــ واشترى أبو عبد الله الساجي جارية سوداء لخدمته، فقال: قد اشتريتك فضحكت فحسبها مجنونة، فقال لها: أنت مجنونة؟ فقالت: سبحان الله من يعلم خفيات القلوب، ما أنا بمجنونة. ثم قالت له: هل تقرأ شيئاً من القرآن؟ فقال: نعم. فقالت: اقرأ عليَّ، فقرأ عليها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فشهقت وقالت: يا مولاي هذه لذة الخبر فكيف لذة النظر، فلما جن الليل وطء فراشاً للنوم فقالت له: أما تستحي من مولاك إنه لا ينام وأنت تنام، ثم أنشدت:

عجبــاً للمحــب كيــف ينــام	جــوف ليــلٍ بقلبــه المستهــام
إن قلبــي وقلــب مــن كــان قبلــي	طــائــرات إلــى مليــك الأنــام
فــارض مــولاك إن أردت نجــاة	وتجــافــى عــن اتبــاع الحــرام

قال الساجي: ثم قامت ليلها تصلي، فلما كانت في آخر سجدةٍ سمعها تقول فيها: يا رب بحبك إياي لا تعذبني. فقلت لها: غلطت قولي بحبي إياك لا تعذبني، فلما فرغت قالت لي: يا مولاي ما غلطت بل أصبت، لولا سابق محبته لي لم أحبه ولم توجد محبتي له.

وقولها له: «أما تستحي من مولاك أنه لا ينام وأنت تنام مختاراً للنوم، وإنما ينبغي لك أن تكون في عبادةٍ وفي عمل يقربك منه حتى يغلبك النوم، فإذا غلبك النوم نمت، وقد يحذف من الكلام ما يفهم ويعلم ويستغنى عن ذكره، وقد علم أنه لا بد للإنسان من النوم فاستغنى عن ذكره ههنا. ومثل هذه الحكاية في الكلام بآخر ما:

١٠٣٣ ــ روي عن السري رحمه الله تعالى: قال دخلت سوق النخاسين فرأيت جارية ينادى عليها بالبراءة من العيوب فوقف الناس عنها، فشريتها بعشرة دنانير، فلما انصرفت إلى المنزل عرضت لها الطعام فقالت: والله يا مولاي ما رأيت أحداً في دارنا آكلاً نهاراً قط. قال: في خير، وتركتها فلما كان من العشاء أتيتها بطعام فأكلت منه قليلاً ثم قالت: يا مولاي بقيت لك خدمة؟ قلت: لا. قالت: فدعني لخدمة مولاي الأكبر، قلت: أي وكرامة. فانصرفت إلى بيت تصلي فيه وصليت أنا العشاء الآخرة ورقدت، فلما مضى من الليل الثلث ضربت الباب عليَّ فقلت لها: ما تريدين؟ قالت: يا مولاي ما لك خظ من الليل، قلت: لا فمضت، فلما كان النصف منه ضربت عليَّ الباب وقالت: يا مولاي قام المتهجدون وردهم قلت: يا جارية أنا بالليل خشبةٌ وبالنهار حلبةٌ. قالت: يا ويلاه ومضت، فلما بقي من الليل الثلث الآخر ضربت عليَّ الباب ضرباً عنيفاً وقالت: أما دعاك الاشتياق إلى مناجاة الخلاق، قم خذ لنفسك مكاناً فقد سبقك الخُدام، فهاج مني كلامها خاطراً وأسبغت الوضوء وركعت ركعاتٍ، ثم تجسست إليها فوجدتها ساجدةٌ وهي تقول: يا مولاي بحبك لي ألا غفرت لي،

فقلت لها: يا جارية من أين علمت أنه يحبك؟ فقالت: يا مولاي لولا محبته لي ما أقامك وأقامني، فقلت لها: اذهبي فأنت حرةٌ لوجه الله، فدعت ثم خرجت وهي تقول: هذا العتق الأصغر بقي العتق الأكبر.

١٠٣٤ ــ وقال عبد الرحمن بن يزيد: «كان عطاء الخراساني يُحيي الليل، فإذا مضى منه ثلثه أو أكثر نادى: يا عبد الرحمن بن يزيد، يا فلان يا فلان قوموا فتوضؤوا وصلوا فإن صلاة آخر هذا الليل أهون من شرب الصديد ولبس مقطعات الحديد، الوجاء الوجاء، النجاء النجاء» زاد غيره في هذا: «فإذا قال هذا سمعت من هٰهنا متوضئاً، ومن هٰهنا مصلياً، ومن هٰهنا باكياً».

١٠٣٥ ــ وكان عثمان بن حبيب يقوم من السحر، فيقول: «الرحيل الرحيل، سبقتم إلى الماء، سبقتم إلى الظل، من سبق إلى الماء يظمأ، ومن سبق إلى الظل يضحى. قال: فسمعت القراءة من هٰهنا، والتسبيح من هٰهنا، والبكاء من هٰهنا».

يقول: من سبق إلى الماء يجده قد شربه من سبق إليه فيبقى هو عطشان، ومن يسبق إلى الظل يجده قد جلس إليه من سبق إليه فيقعد هو في الشمس.

١٠٣٦ ــ وكان بالقيروان رجل يمشي ويذكر الناس عامة الليل، ويقول فيما يقول: «الرحيل الرحيل» فيبقى على ذلك زماناً، ففقد صوته ابن الأغلب فسأل عنه، فقيل له: قد مات. فأنشد ابن الأغلب:

مَا زَالَ يلهَجُ بالرحيلِ وَذِكرِه ... حَتَى أَنَاخَ بِبَابِهِ الجَمالُ
فَأصَابَه ذَا هُبَةٍ مُستَيْقِظاً ... متَشمِلٌ لم تُلهِهِ الآمالُ

واعلم أن الأعمال بالنيات فمن فتح له بابٌ من الخير فليسلكه كان ذلك الباب ما كان صلاةً أو قراءةً، أو ذكراً، أو دعاءً، أو تذكر غفلةٍ، أو إيقاظ نائمٍ، فيؤجر بالنية والقصد، وبأن يقتدى به ويعمل بمثل عمله، وقد يقصد هذا العبد وقد لا يقصده، ويقصد منفعة نفسه بالعمل فيقتدي به فيؤجر من غير قصد الأجر، وحديث النبي ﷺ: «من سن سنة حسنة»[1] صحيحٌ، والأخبار في هذا الباب كثيرةٌ.

١٠٣٧ ــ يروى عن بعض الصالحين أنه عرج بروحه في النوم فعرض عليه عمله، قال: فلم أر ذنباً استغفرت منه إلا غفر، ولم أر ذنباً لم أستغفر منه إلا وجدته كما كان، ورأيت في عملي حبة رمان التقطتها فأكلتها فكتبت لي حسنةً، وقمت ليلةً أصلي فرفعت

---

(١) صحيح: قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٠١٧)، والنسائي، والترمذي (٢٦٧٥)، وابن ماجه (٢٠٣)، وأحمد (٤/٣٥٧).

صوتي بالقرآن فسمع بـي جاري فقام فصلى فكتبت لي حسنة.

١٠٣٨ ــ وقال أبو الجويرة: صحبت أبا حنيفة الفقيه رضي الله عنه ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه فيها بليل.

١٠٣٩ ــ وقال بعض الصالحين: إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها فإنه لو كان أوان نفاقها لم يوصل منها إلى قليلٍ ولا إلى كثيرٍ، وإن نفاقها يكون في الآخرة وإذا كانت الآخرة لم يوصل منها إلى شيء لأن الآخرة ليست دار عمل هيهات هيهات ذهبت دار العمل وبقيت دار الجزاء، ذهبت دار الغفاء وبقيت دار البقاء.

١٠٤٠ ــ ويروى أن أبا حنيفة كان ينام من الليل ويصلي منه، فمر بقومٍ فقالوا: هذا هذا أبو حنيفة الذي يصلي الليل كله، فقال: أراني أوصف بما لا أعمل، فكان بعد ذلك يُصلي الليل كله.

١٠٤١ ــ وكان موسى الطبراني يقوم الليل كله، فإذا كان السحر ينادي، حتى متى أصف الطريق للمريدين، وأنا في حارة المتحيرين، عمل العاملون، قضى الصالحون، فاز المتقون، ثم بكى وشهق.

١٠٤٢ ــ وقال ذو النون المصري رحمه الله: كنت مرابطاً بالإسكندرية مع جماعةٍ من إخواني، وكان فينا فتى لا ينام في أعلى الحرس، فإذا أجنه الليل أشرف علينا ثم نادى:

ألا فتـى يقبـل مـن نـاصـح ... يخبـره بـالحـق إذ ينصـح

بـأن جنـات العلـى زينـت ... لمـن يهجـران الكـرى يسمـح

لكـل عبـد قـام فـي ليلـه ... عـن بـاب ذي الأفضـال لا يبـرح

ثم ينصرف إلى محرابه، فإذا انتصف الليل أشرف علينا ثانيةً ثم نادى:

قـد أدبـر الليـل وطـاب الكـرى ... وقـام مـن يبغـي الـرضـا والغنـا

وبـات للمتعب راحـاته واستعـذب ... الخـدمـة لمـا اجتنـا

تشكـو إليـه نفسـه أنهـا ... أمـارة بـالسـوء تبغـي الـرضـا

ثم ينصرف إلى محرابه حتى إذا انفجر عمود الصبح أشرف، ثم نادى:

ليهنكـم يـا إخـوانـي كلكـم ... فقـد مضـى الليـل وقـد راحـا

لا ضيـع الله لكـم سعيكـم ... وزادكـم بـراً وإصـلاحـا

قـومـوا إلـى فـرضكـم واعجلـوا ... هـذا عمـود الصبـح قـد لاحـا

٤٣ ــ قال محمد بن السماك: كان لي جارٌ بالكوفة يصوم النهار ويقوم الليل، فإذا

جن الليل يبكي ويقول:

لمـا رأيـت الليـل أقبـل خـاشعـاً ... بـادرت نحـو مـؤانسـي وحبيبـي

أبكــي فتقلقنــي إليــه صبـابتــي ... فـأبيـت مسـروراً بقـرب مجيبـي

فإذا كان آخر الليل جعل يبكي ويقول:

قد بت في الليل إذ لاحت معالمه ... مـا كـان آنسنـي فيـه بمـولاي

ضمنت في القلب حباً قد كلفت ... بـه والله يعلـم مكنـون أحشـاي

وكان له أبٌ شيخٌ فيسألني أن أكلمه ليرفق بنفسه، فبعثت إليه يوماً وأنا في جماعةٍ من أصحابي، فلما جاء نظرت إليه فإذا هو كالشيء البالي لو هبت عليه الريح لرمت به من شدة الضعف، فسلم وجلس فقلت له: يا حبيبي إن الله عزّ وجلّ افترض عليك طاعة أبيك كما افترض عليك طاعته، ونهاك عن معصية أبيك كما نهاك عن معصيته، فتأذن لنا أن ننصحك في شيء، فقال لي: يا عم لعلك تريد أن تأمرني بالتقصير في العمل وترك المبادرة إلى الله عزّ وجلّ، قلت: لا، ولكن بدون هذا يدرك المطلوب. فقال: هيهات يا عم، إني بايعت على هذا الشأن فتية من الحي بايعتهم وعاهدتهم على السباق إلى الله سبحانه، فجدوا واجتهدوا، ودعوا فأجابوا رحمة الله عليهم، ولم يبق من القوم غيري، وإن عملي ليعرض في كل يوم مرتين، فما يقول الله عزّ وجلّ، أو ماذا يقولون إذا رأوا فيه خللاً أو تقصيراً، ثم قال: يا عم إني بايعت على هذا الشأن فئة جعلوا الليل لهم مطيا قطعوا به عرض المفاوز، وتسنموا به ذرى الصُم الشواهق، فإذا انصرف القوم وقد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وتقلصت أعضاؤهم بطول التعب، خمص البطون من السرى، لا يقرهم القرار بل أجابوا لما دعاهم الملك الجبار. قال محمد ابن السماك: فتركنا والله حرةٍ ومضى، فما كان إلا قليلاً حتى قيل لي: لقد لحق بالله عزّ وجلّ.

١٠٤٤ ــ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «علامة الصالحين صفرة الألوان من السهر، وعمش العيون من البكاء، وذبول الشفاه من الصيام، عليهم غبرة الخاشعين».

١٠٤٥ ــ وقال أبو سليمان الداراني: أهل الليل على ثلاث طبقاتٍ: فمنهم من إذا قرأ فتفكر بكى، ومنهم من إذا قرأ فتفكر لم يبك لكنه صَاحَ، ومنهم من إذا قرأ لم يبك ولم يصح ولكنه بهت. فقال له رجل: يا أبا سليمان من أي شيء بكاء هذا؟ ومن أي شيء صاح هذا؟ ومن أي شيء بهت هذا؟ قال: ما أقوى على التفسير. قال أبو سليمان: وهذه الطبقة أرفعها، وهي التي إذا تفكر بهت فلم يبك ولم يصح.

وأنشدوا:

عرج على الدار لا شطت بك الدار ... بحيث خيم رهبانٌ وأحبارُ
فانزل بها فلأمرٍ ما دعيت لها ... وشق سمعك أعذار وأعذارُ
وانظر هنالك أقواماً كأنهم ... خيل الرهان جرى بهن مضمارُ
شدوا الحريم وارخوا بي أعنتهم ... وساعدتهم على المطلوب أقدارُ
قاموا ونمت وأرزاق الورى قسمٌ ... وفي المقادير إيراد وإصدارُ
كم خائفٍ منهم يفدى مخافته ... فما يبيت على أمرٍ له جارُ
حيران قد مزج التذكار عبرته ... فظل منها على خديه آثارُ
وصارخٍ تملأ الآذان صرخته ... هيهات لا أهل تحمي ولا دارُ
وشاخص العين مبهوت قد ... أخرسه سر ولله في ذا الخلق أسرارُ
لأجل طول المدى والبعد عنهم ... ولا خبت لهم في دارهم نارُ

١٠٤٦ ـ قال الفضيل بن عياضٍ: «بلغني أن الله عزّ وجلّ ينزل كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني، أليس كل محبٍ يحب الخلوة مع حبيبه، فها أنا مطلعٌ على أحبائي إذا هجم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة، وكلموني على الحضور، وغداً أقر أعينهم في جنتي».

١٠٤٧ ـ وذكر أبوالحسن بن جهضم في كتابه بإسنادٍ إلى محمد بن المبارك، قال: بينما أطوف بالكعبة وإذا بأعرابـي بدوي متعلقٍ بأستار الكعبة وقد شخص ببصره نحو السماء وهو يقول: «وعزتك لئن عاقبتني لأخاصمك بمغفرتك، ولئن ناقشتني لأحببنك بعفوك، ولئن حبستني في النار لأحرق أهل النار بحبي لك». قال محمد بن المبارك: فجئت إلى الفضيل بن عياض فقال: يا أبا عبد الرحمن أشيئاً شغلك عني؟ قلت: أجل. قال: أمرٌ قاطع عن الله عزّ وجلّ؟ قال: لا. قال: فما ذاك؟ فأخبرته بخبر الأعرابـي فخر الفضيل مغشياً عليه، فلما أفاق قال: يا أبا عبد الرحمن تعرف ذلك البدوي؟ قلت: لا. قال: إنه من قوم خدموا الرب تبارك وتعالى فتدللوا عليه، يا أبا عبد الرحمن أخبرك بما رأيت في الطواف، قلت: بلى أخبرني يا أبا علي. قال: بينما أنا أطوف بمكة إذ ضرب ضارب بين كتفي وقال: يا فضيل تدري ما يقول الله عزّ وجلّ؟ قلت: وما يقول تبارك وتعالى؟ قال: إنه إذا هدأت العيون، وتطبقت الجفون، وغارت النجوم يطلع جل جلاله فيقول: أليس عبادي يزعمون أنهم يحبوني، هٰأنا مطلعٌ على قلوب أحبائي، إنه من أحبني لم يأخذه طيب الرقاد من أجلي بل أولئك الذين طفيت أبصارهم عن الدنيا فنظروا بأبصار القلوب إلى ما تضمنته حجب الغيوب، ثم التفت فلم أره.

١٠٤٨ ــ وفي بعض المواعظ: يا ابن آدم بقيام الليل يعلو جدك، ويرى زندك، ويثبت مجدك، فإياك أن تهد بالكسل بنيانك، وتسقط بالملل إيوانه، فيخرب منك ما لا يُعمر، وينصدع منك ما لا يجبر، وتخسر من بضائعك أعظم ما تخسر.

وأنشد:

لو يعلم الراقد ما فاته	وأي مجدٍ هد أبياته
لحرم النوم على جفنه	وسر بالخدمة أوقاته
فأرسل الدمعة ممزوجة	على مبيتٍ طال ما باته
ضيع فيه الحظ من ربه	ولا يبالي بالذي فاته
من درجات ثبتت في العلى	يحكم في الفردوس إثباته
ومن يرم تلك المعاني غداً	يطل إليها اليوم أعناته

١٠٤٩ ــ وروي أن الله عزّ وجلّ أوحى إلى داود عليه السلام: «من أحبني تهجد بين يدي إذا نام البطالون، وذكرني في خلواته إذا لهى عن ذكري الغافلون، وشكر نعمتي عليه إذا سها عن شكري الساهون».

١٠٥٠ ــ وفيما يروى أيضاً عن الله عزّ وجلّ: «أي عبدي أنا الله اقتربت لقلبك وبالغيب رأيت نوري».

فما ظنك رحمك الله بعبدٍ أراه الله نوره، وأنار ضميره، وكشف عنه حجبه وستوره، أتقول يخالطه كسل، أو يطوف به ملل، أو يجزع لطارقٍ نزل صغر أو جل، كثر أو قل، كلا ومن أنعم عليه وأحسن إليه ما دام ذلك النور حواليه، ودليل ربه تبارك وتعالى بين يديه.

١٠٥١ ــ كان صلة بن أشيم من العباد المجتهدين، كان من أهل الليل والنهار. قال والد العبدي: كنت في غزوة كابل، وكان في الجيش صلة بن أشيم، فلما أمسيت راقبت أن أبصر ما يوصف عنه من المجاهدة، فلما هدأت العيون خرج عن الجيش، وكان في طرفٍ منه فتبعته، ثم توضأ ثم وقف فصلى، فجاء أسد فربض بين يديه، فصعدت في شجرةٍ خوفاً منه، فلم يزل كذلك يصلي إلى قريبٍ من الصبح والأسد رابضٌ بين يديه، فلما سلم قال للأسد انصرف واطلب الرزق من عند غيرنا فانصرف الأسد، ثم سجد سجدة طويلة حتى خشيت أنه قد مات في سجوده، ثم رفع رأسه وهو يبكي بكاء الثكلى، ويتمايل كالسكران فحمد الله محامد لم أسمع بمثلها، ولا أعلم في القلوب منها، ثم قال: إلٰهي إن طائفة استجاروا بك من نارك فأجرتهم، وطائفة سألوك جنتك فأعطيتهم، وطائفة طلبوك فلم يرضوا بغيرك وقالوا: من طلب المخلوق بقي مع المخلوق، فكن لهم كما أرادوا، ولا تضحني عن شكر محبتك إلا

بمشاهدتك، ولا تختم لي حلاوة عبادتك إلا بمجاورتك، ثم رجع وأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحت وأنا بـي من فترة السهر وكسله ما الله به عليم.

١٠٥٢ ــ وقال بعض العلماء: بلغني أن العبد إذا قام إلى الصلاة من الليل ضحك الرب إليه وقال للملائكة: ما حمل عبدي على أن قام يصلي من بين أهل داره؟ فيقولون: يا ربنا رجيته شيئاً فرجاه، ووقيته شيئاً فخافه. فيقول تعالى: أشهدكم أني قد أعطيته ما رجا، وأمنته مما يخاف.

١٠٥٣ ــ وروي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من بلغه عن الله عزّ وجلّ عمل فيه فضلٌ فعمل فيه ابتغاء ذلك الفضل أعطاه الله ذلك الفضل وإن كان الذي حدث به كاذباً»(١).

وهذا إنما يكون إذا كان العمل له أصلٌ في كتاب الله أو في سنّـة رسوله عليه السَّلام.

١٠٥٤ ــ وقال سعيد بن المسيب: «إن الرجل ليصلي بالليل فيجعل الله في وجهه نوراً يحببه عليه كل مسلم فيراه من لم يره قط فيقول: إني لأحب هذا الرجل».

١٠٥٥ ــ وقال الحسن البصري رحمه الله: «أدركنا أقواماً وصحبنا أقواماً كانوا يفرحون بشيء من الدنيا ولا يأسفون على شيء منها أدبر ولهى، كانت في أعينهم أهون من التراب الذي تطئونه بأقدامكم، إن كان أحدهم ليعيش عمره كله ما يطو له ثوبٌ، ولا أمر أهله بصنعة طعام، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً، أدركتهم عاملين بكتاب الله وسنة نبيه، إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها، وسألوا الله تعالى أن يتقبلها، وإذا عملوا السيئـة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم».

١٠٥٦ ــ وروي أن علي بن أبـي طالب رضي الله عنه صلى الصبح يوماً، فلما سلم انفتل على يمينه وغلبه كآبة، فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده، وقال: «لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ وما رأيت اليوم شيئاً يشبههم، كانوا يصبحون صُفراً شُعثاً غُبراً، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وكَأنَّ القوم غافلون يعني من حوله».

وقد قيل: يا ابن آدم اهجر فراشك فإن الفُرش غداً أمامك. وأنشدوا:

---

(١) موضوع: وانظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (١/٢٥٨)، واللآلىء للسيوطي (١/ ٢١٤)، والمقاصد الحسنة (ص٤٠٥)، وتنزيه الشريعة (٢/ ٢٦٥)، وفيض القدير (٦/ ٩٥)، و«السلسلة الضعيفة» للألباني (١/ ٤٥٣) برقم (٤٥١)، وتمييز الطيب برقم (١٣٤١)، وغيرهم كثير.

اهجر فراشك جوف الليل وارم به	ففـي القبـور إذا وافيتهـا فـرش
مـا شئـت إن شئتهـا فُـرشـا قشـةً	أو روضةً فوقها المسومة الرُقش
هـذا عليـه قـريـر العيـن نـائمهـا	وذا عليـه سخيـن العيـن ينتهـش
شتـان بينهمـا أو بيـن حـالهمـا	هل يستوي الذي في الاحشاء والعطش
فبـادر الصبـح أن تَغشـى طـلائعـه	وتلتقـي الفئتـان الـروم والحبـش
كم فاز دونك باللذات من رجل	وافـى بـه دلـج الأسحـار والعيـش
نـامـوا ونمنـا وكـل فـي تقلبـه	لنفسـه جـاهـداً يسعـى ويجتـوش
زكـوا نفـوسهـم بكـل صـالحـة	وطيبـوهـا فـلا عيـب ولا وقـش
أولئك النـاس إن عـد الكـرام فهـم	وإن نـرد دبـش فيحمـى ذا دبـش

١٠٥٧ ــ كان منصور بن المعتمر من القانتين، وكان يصوم النهار ويقوم الليل، وكانت له جاريةٌ تصعد إلى سطح لها كل ليلةٍ ومعها ابنة لها جارية بكر تصعد عندما ينام الناس، وتنزل في آخر الليل، وكانت الجارية تَرى منصور بن المعتمر قائماً يصلي، فلما فقدته فقالت لأمها: ما فعل الجذع الذي كان قائماً هناك؟ فقالت لها: يا بنية ما كان جذعاً، إنما كان منصور بن المعتمر، كان يُحيي الليل كله بركعةٍ على قدمٍ، وكان يُحيي كل ليلةٍ. فقالت لها: يا أماه بلغت به العبادة والفَرَقُ من النار هذا المبلغ وأنا أتعاهد هذه القائمة منذ كذا وكذا وأنت تقولين هو منصورٌ، فما فعل فما لي لا آراه؟ فقالت لها: مات ودفنوه رحمه الله. قالت لها: يا أماه انطلقي فاشتري لي مُدرعةً من شعرٍ أتعبد فيها لله عزّ وجلّ فوالله لا يجتمع رأسي ورأس رجل أبداً، هذا منصور رجل لم ينم الليل عشرين سنة فَرقاً من النار، اشترى لي فاشترت لها مُدرعة من شعرٍ، وكانت لها أخت فساعدتها على العبادة فتعبدتا عشرين سنة يقومان الليل ويصومان النهار حتى ماتا رحمهما الله تعالى.

١٠٥٨ ــ وكان العلاء بن زيادٍ كثير العبادة والاجتهاد، وكان يصوم حتى يخضر جسده، ويصلي حتى يسقط، فقال له أنس بن مالك والحسن البصري: إن الله عزّ وجلّ لم يأمرك بكل هذا، فقال: إنما أنا عبدٌ مملوك لا أدع شيئاً من العبودية والاستكانة إلا أتيته.

١٠٥٩ ــ وروي أن أبا بكرٍ الشبلي رحمه الله كان يختم القرآن كل يومٍ ختمة، فإذا جن عليه الليل قام على قدميه وختم أخرى فعزلـه أصحابه وقالوا له: إنك تقتلُ نفسك، فقال: يا عذالي أنا أطلب قربها من محبوبها على بساط الأنس والمشاهدة والقدس، وأنتم تطلبون بعدها إلى بساط الغفلة ومحل الوحشة هيهات.

١٠٦٠ ــ وكان أبو مسلم الخولاني كثير العبادة والاجتهاد، فلما كبر وضعف قيل له:

لو قصرت عن بعض ما تصنع، فقال: أليس إذا أرسلتم الخيل في الحلبة يعني في السباق ألستم تقولون ودعوها وارفقوا بها حتى إذا رأيتم الغاية فلا تودعوها ولا ترفقوا بها؟ قالوا: بلى. قال: فإني قد أبصرت الغاية وإن لكل ساعٍ غاية، وغاية كل ساعٍ الموت، مسابقٌ ومسبوقٌ فقد سبقت وأنا على الأثر.

١٠٦١ ــ وكان بعض الصالحين يصلي كل يومٍ وليلةٍ ألف ركعةٍ حتى أُقعد، فكان يصليها جالساً ويبكي ويقول: ذهب نصف عملي. يقول ذلك لقول النبي عليه السلام: «صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم».

وهذا والله أعلم إذا صلى قاعداً من غير ضرورةٍ، لأن التنفل للصحيح من غير عذرٍ جالساً جائزٌ، والذي يرجى لذلك وغيره يكتب له مريضاً ما كان يعمل صحيحاً على ما جاء في الحديث وقد تقدم.

١٠٦٢ ــ وكان كهمس بن الحسن يُصلي كل يومٍ وليلةٍ ألف ركعةٍ، فلما كبر وضعف اقتصر على خمسمائةٍ، وكان يبكي أيضاً ويقول: «ذهبَ نصف عملي».

١٠٦٣ ــ وكان بعض الصالحين يصلي كذلك ألف ركعةٍ، وكان إذا صلى العصر احتبا وقال: «عجبت للخليفة كيف أرادت بك بدلاً منك، عجباً للخليفة كيف استأثرت قلوبها بذكر سواك».

١٠٦٤ ــ وكذلك كان مرة بن شراحبيل، كان يصلي كل يومٍ وليلةٍ ألف ركعةٍ، فلما كبر وتبدن كان يصلي كل يوم أربعمائة ركعةٍ، وكانت ركبتاه مثل ركبتي البعير، كانتا قد اسودتا وغلظتا، وكان له حبل في مسجده، فإذا أعيى استمسك به. وكان مرة هذا قد سجد حتى أكل التراب جبهته، فلما مات رآه رجل من الصالحين في النوم وكان موضع سجوده كهيئة الكوكب الذي يلمع، فقلت: ما هذا الذي بوجهك؟ قال: كسنى موضع السجود بأكل التراب له نوراً. قال: قلت: فما منزلك في الآخرة؟ قال: خير منزلٍ، دارٌ ما ينتقل عنها أهلها ولا يموتون.

١٠٦٥ ــ ويروى أن النبي ﷺ لما أسن اتخذ في مصلاه عموداً يعتمد عليه يعني من طول قيامه في صلاته ومن ضعفه عليه السلام عن القيام. ذكر هذا الحديث أبو داود.

١٠٦٦ ــ وكذلك يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويروى عن عبد الله بن عباس أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعةٍ. رواه الأوزاعي وغيره. يروى أنه كان يصلي بالنهار منها أربعمائة ركعة.

١٠٦٧ ــ وكان عتبة الغلام كثير الاجتهاد، وكان لا يتهنا بطعامٍ ولا شرابٍ، فقالت له

أمه: يا بني لو رفقت بنفسك، قال: الرفق أطلب.

١٠٦٨ ـ ويروى أن مالك بن دينار قال: كان لي ورد أقرأه كل ليلةٍ، فنمت ذات ليلةٍ فإذا أنا في المنام بجارية من أحسن ما يكون من الجواري بيدها رقعة، فقالت لي: أتحسن أن تقرأ؟ قلت: نعم. فدفعت إليَّ الرقعة فإذا فيها مكتوبٌ:

ألهتك اللذائذ والأماني ... عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها ... وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً ... من النوم التهجد بالقرآن

١٠٦٩ ـ ويروى عن الليث رحمه الله قال: كان لي ورد أقومه فانقطعت عنه مدة فنمت ليلة فرأيت جارية كأنها الشمس تتثنى كالقضيب الحايس، فقلت لها: يا جارية لمن أنت؟ فقالت: لمن خطبني من مولاي، وأشارت لقطعة رقٍ معها، فإذا فيها مكتوب هذان البيتان:

قاسم بعينك إلى نسوٍ ... مهورهن العمل الصالح
لا يخطب العذارء في خدرها ... إلا امرء ميزانه راجح

١٠٧٠ ـ وذكر ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثني محمد بن عيسى بن ضرار السعدي، قال: ثنا عبد العزيز بن سليمان العابد وكان يرى الآيات والأعاجيب قال: حدثني مطهر السعدي وكان قد بكى شوقاً إلى الله تعالى لستين عاماً قال: رأيت كأني على شفير نهرٍ يجري بالمسك الأذفر، حافتاه شجر لؤلؤٍ، ونبته من قضبان الذهب، وإذا بجارٍ من بناتٍ يقلن بصوت واحد: سبحان المسبح بكل لسان سبحانه، سبحان الموجود بكل مكانٍ سبحانه، سبحان القائم في كل زمان سبحانه. فقلت: من أنتن؟ فقلن: خلقٌ من خلق الرحمن سبحانه. فقلت ما تصنعن شيئاً؟ فقلن:

ذرانا إله رب محمدٍ لقومٍ ... على الأطراف بالليل قُومُ
يناجون رب العالمين إلههم ... وتسرى هموم القوم والناس نوم

قال: فقلت: بخٍ بخٍ لهؤلاء من هؤلاء لقد أقر الله أعينهم بكن، فقلن: أما تعرفهم؟ فقلت: لا والله ما أعرفهم. قلن: بلى، هؤلاء أصحاب التهجد والقرآن والسهر[1].

١٠٧١ ـ وقال كهمس بن الحسن: «أدنى حالات المؤمن أن يكون نائماً» يريد أن المؤمن إذا كان مستيقظاً إنما يكون في صلاةٍ وذكرٍ، أو في نوعٍ من أنواع الخير، فإذا نام تعطل عن ذلك، والفاجر إذا كان مستيقظاً كان في فجورٍ وشرٍ، فإذا نام كف عن ذلك، وقد

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (١٥٥).

يكون أيضاً نوم المؤمن عمل خيرٍ إذا كان نومه ليستريح وليتجمم، فإذا استيقظ عاد إلى ما كان عليه من الصلاح وأعمال البر لكن تكون حالته نائماً أدنى بالإضافة إلى حاله مستيقظاً.

١٠٧٢ ــ وكان منصور بن عمار يقول: «طوبى لمن أصبحت العبادة حرفته، والعزلة شهوته، والفقراء منيته، والآخرة همته، والموت فكرته، وشغل بالزهد نيته، وبلغ من العيش بلغته، وأمات بالذل عزته، وشكى إلى الله غربته، ورجا بالتوبة رحمته، طوبى لمن كانت هذه الصفة صفته».

١٠٧٣ ــ وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه من العلماء العاملين، وكان كثير البكاء بالليل، ولقد بكى حتى عمشت عيناه وفسدت.

وأنشد بعضهم:

آثار التذكر أحزانه ... فثار وأبدا لنا شأنه
وقام وستر الدجى مسبل ... فأسبل بالدمع أجفانه
وبكى ذنوباً له قد مضت ... فأبكى عِداهُ وخلانه
ومن لم يكن قلبه جمرة ... فهذا لعمرك قد كانه
ومن ذا أحق بها من جهول ... يحقق لِلَّهِ عصيانه
وأخلق في اللهو جثمانه ... كما أخلق الذنب إيمانه
فلولا تفضل من فضله ... عرفناه قِدماً وعرفانه
لحق على وجهه أن يكون ... على الخزي عنوانه

١٠٧٤ ــ وكان ضيغم العابد تعبد قائماً حتى أقعد، ومقعداً حتى استلقى، ومستلقٍ حتى أفحم أي انقطع وكان باعث قلبه أقوى من جسده فحمل جسده من العبادة أكثر مما كان يحتمل ولم يشعر بذلك لقوة الباعث، فأمضى به الأمر إلى ما لم يكن يظن به.

١٠٧٥ ــ وقال أبو حازم: «أدركت رجالاً ما كان يزيد دخول رمضان في اجتهاد أحدهم شيئاً، ولا ينقص خروجه من اجتهاده».

١٠٧٦ ــ وقال غيره: إذا قصر الأمل وكان الموت نصب العين، وكثرت الرغبة وعظمت الرهبة، واجتمعت هذه القرائن مع توفيق الله عزّ وجلّ ذهب الملل وانطرد بمعونته الفتور والكسل، والحول حول الله، وما النصر إلا من عند الله، لا رب غيره ولا معبوداً سواه.

١٠٧٧ ــ قال أبو إسحاق الجيلي: قدمت على عبد الحميد الغضائري فوجدته أكثر

عباد الله عبادة، وأعظمهم مجاهدة، وكان لا يتفرغ من صلاته آناء ليله وآناء نهاره، فانتظرت فراغه وطلبت الكلام معه فلم أقدر على ذلك، ولم أجد إليه سبيلاً، فقلت له: يا هذا إنّا قد فارقنا الآباء والأمهات، وهجرنا الأهل والقرابات، وتركنا الأوطان فارتحلنا إليك، حتى قدمنا عليك فلو تفرغت إلينا ساعة حتى تعلمنا مما علمك الله، وتفيدنا مما أفادك الله، فتفرغ وقال لي: اصابتني دعوة الرجل الصالح سري السقطي رحمه الله تعالى جئته يوماً فوجدته في مناجاته، فضربت بابه، فقال: من هذا؟ فقلت: أنا. فسمعته يقول: اللهم من جاءني يشغلني عنك فأشغله بك عني، فما رجعت من عنده حتى جئت إلى الصلاة والشغل بذكر الله، فما أتفرغ لشيء سواه.

١٠٧٨ ــ وقال بعض الصالحين: أقل فائدة تكون في ذكر كبار الصالحين وأهل الحقائق أن يعرف الإنسان نفسه، ويرى تقصيرها وكسلها وقلة جدها. ويروى هذا الكلام عن أبـي بكرٍ الوراق.

١٠٧٩ ــ قال أبو الأحوص: كان أبو إسحاق السبيعي يقول: يا معشر الشباب جدوا واجتهدوا، وبادروا قوتكم، واغتنموا شيبتكم قبل أن تعجزوا، فإنه قل ما مرت بـي ليلة إلا قرأت فيها ألف آيةٍ. كان رحمه الله يقول لهم ذلك لينشطهم على العمل، ويحركهم إلى الله عزّ وجلّ.

١٠٨٠ ــ وروي عن العلاء بن سالم العبدي، قال: ضعف أبو إسحاق يعني هذا عن القيام إلى الصلاة، فكان لا يقوم حتى يقام، فإذا قاموه واستتم قائماً قرأ ألف آيةٍ وهو قائم، كان معه رحمه الله من لذة الصلاة وطيب المناجاة ما يعينه على القيام مع ضعف جسده وكبر سنه.

١٠٨١ ــ وقال له رجل بعدما حطمه السن: ما بقي فيك اليوم يا أبا إسحاق؟ قال: بقي مني أن أقوم فأقرأ القرآن في ركعةٍ. قال: بقي منك الخير وذهب منك الشر. وإن كان أحدهم لينجلي عنه الليل وهو احرص ما كان عليه وأَهَمَ إليه، وإن كان ليود أنه لا يتم وأن كواكبه لا تغور لما كان يجد فيه من النعيم ويتغشاه فيه من السرور.

وأنشدوا:

ما على الليل لو أقام علينا ... ساعةً محسناً بذاك إلينا
فجلونا به صدى من قلوبٍ ... أكسبتها الذنوب طبعاً وَرَيْنا
ودنونا من ربنا وعلونا ... وسمونا بفضله وارتقينا
فسمعنا عجائباً ورأينا ... وشفينا جراحةً واشتفينا

فاز عبدٌ أقام بالليل سوقاً ... أغفلته التجار عيناً وعينا
قام فيه وستره قد تدلى ... والكرى مالىءٌ فؤاداً وعينا
فطفى في الظلوع ناراً وأجرى ... في الثرى من دموع عينيه عينا
وشكى ما شكى بذلٍ وشجوٍ ... صير الصعب من أمانيه هينا
فتغشاه من سرورٍ وطيبٍ ... ما فنى حقه وأذهب إلينا
وإذا ما الأنام لله قاموا ... بان في جسمه فضائلا بونا

١٠٨٢ ــ وكان همام بن الحارث من القائمين بالليل لا ينام إلا هنيهةً ينامها جالساً إذا غلبه النوم، وكان يقول في سجوده: «اللهم اشفني من النوم باليسير، واجعل سهري في طاعتك».

١٠٨٣ ــ وكان شريح بن هانىء يقول: «ما فقد رجلٌ شيئاً أهون عليه من نعسةٍ تركها». وأنشدوا:

يا راقد الليل على طوله ... كم فيه من أهيم لا يرقد
قد شرد النوم عن أجفانه ... خوف به يوم الفتى يشرد
هيجه من ربه موعدٌ ... منتظرٌ ما مثله موعد
فبات في أضلعه جمرة ... يوقدها من ذكره توقد
ودمعه ينزل ممزوجه ... والدمع قد يمزجه الكمد
يا موقد النار بذات الغضى ... دونك ناراً إن تكن توقد
دونك ناراً في حشا والهٍ ... إن خمدت نارٌ فلا تخمد
وأنت يا غافل في نومةٍ ... ما نامها ذو نهيةٍ أيِّدُ
ويك تيقظ فسهام الردى ... تقصد من نفسك ما تقصد
ولتقطع الليل إذا ما دجا ... تقرأ أو تركع أو تسجد
وإن نفت من جفونه نومةٌ ... فربما فاتك ما تجهد
واصبر مع الله على فقدها ... أهو شيء نومةٌ تفقد

١٠٨٤ ــ وذكر أبو الحسن بن جهضم في كتابه بإسناده إلى أبي بكرٍ العطار، قال: حدثنا أبو القاسم الجنيد بن محمد وقد نزل به الموت، أنا وجماعة من أصحابنا فكان يصلي قاعداً ويثني رجليه عند الركوع والسجود، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقلت عليه حركتهما وكانتا قد تورمتا فمد رجليه فرآه بعض إخوانه ممن حضر ذلك الوقت وهو البسامي، فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ فقال: هذه نِعمٌ الله أكبر يعني ثم عاد إلى صلاته

فلما سلم قال له أبو محمد الجريري: يا أبا القاسم لو اضطجعت، فقال: هذا وقت تؤخر فيه الله أكبر يعني ثم عاد إلى صلاته قال: فلم يزل كذلك حتى خرجت روحه رحمه الله.

١٠٨٥ ــ وعن أبي بكرٍ الجريري قال له: يعني في أثناء تلك الصلاة يا أبا القاسم لو رفقت بنفسك، فقال له: يا أبا محمد حالةٌ بها وصلت إلى الله عزّ وجلّ في بدء أمري لا فارقتها أو ألحق به تعالى.

١٠٨٦ ــ وقال غيره: كان ورد الجنيد كل يوم أربعمائة ركعةٍ، وكان إذ ذاك يخربز في حانوته في السوق، وكان يسبح كل يوم ثلاثين ألف تسبيحة.

١٠٨٧ ــ قال أبو عبد الله البراثي: «بمعرفة الله تعالى هانت على العابدين العبادة، وبالرضا عنه ــ عزّ وجلّ ــ في تدبيره وما قسم من رزقه زهدوا في الدنيا».

١٠٨٨ ــ وكانت حبيبة العدوية من العابدات المجتهدات، وكانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها، وقالت: «إلهي نامت العيون وغلقت الملوك أبوابها، وأرسلت عليها حجابها، وخلا كل حبيبٍ بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك» ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر، قالت: «إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا الفجر قد أسفر، فياليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهنأ، أم رددتها عليَّ فأُعزا، فوعزتك لهذا دأبي، ولو انتهزتني من بابك لما برحت لما وقع في نفسي من كرمك».

١٠٨٩ ــ وكانت عجردة من العابدات، وكانت تُحيي الليل كله، وكانت عمياء فإذا كانت السحر نادت لها بصوتٍ لها محزون: «إليك قطع العابدون دجى الليل يستبقون إلى رحمتك، ويسارعون إلى مغفرتك، فبك أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين، وأن ترفعني لديك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين وأنت أرحم الرحماء، وأكرم الكرماء، وأعظم العظماء» ثم تخر ساجدة. قال: فلا تزال تبكي وتدعو حتى يطلع الفجر.

١٠٩٠ ــ وقال أبو محمد الحريري: «إن لله عزّ وجلّ ريحاً يقال لها الصبحة مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار تحمل الأنين والاستغفار من المذنبين إلى العزيز الجبار».

١٠٩١ ــ وكان أبو فاطمة صاحب النبي عليه السلام قد اسودت جبينه وركبتاه من كثرة السجود، فقيل له في ذلك، فقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «يا أبا فاطمة أكثر من السجود فإنه ليس من عبدٍ مسلمٍ يسجد لله سجدةً إلا رفعه الله درجة»[١].

---

(١) حسن: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» برقم (١٢٩٦). وانظر: «الإصابة» لابن حجر (٤/ ١٥٣ ــ ١٥٤).

١٠٩٢ ــ وقال عدي بن ثابتٍ: «قربان المتقين الصلاة، والصلاة من أفضل الوسائل إلى الله عزّ وجلّ».

١٠٩٣ ــ وقال ثابت البناني: «الصلاة خدمة الله في الأرض، فمن أحب الله استخدمه».

١٠٩٤ ــ وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله، وربما قامه كله في بعض الليالي.

١٠٩٥ ــ وكان عبد الرحمن بن الأسود يصلي كل يومٍ وليلةٍ ستمائة ركعةٍ وكذلك كان يصنع مرة الطيب، ويروى ألف ركعةٍ. ولعل ذلك كان في زمنٍ آخر.

وهذه درجات من الأعمال يفتح الله منها على ما يشاء على يدي من يشاء، فمنهم من يفتح له في الصلاة فيربى فيها على غيره كما روي عن جماعةٍ أنهم كانوا يصلون في اليوم والليلة ألف ركعةٍ وقد تقدم ذكر ناسٍ منهم، ومنهم من يفتح له في الصيام فيصوم السنين المتتابعة، ويواصل الأيام الكثيرة، وكذلك في القراءة والذكر والجهاد والحج والصدقة، والمشي في حوائج المسلمين ومعونتهم، وكشف الكرب عنهم، وجلب المنافع لهم إلى غير ذلك من أفعال الخير وأعمال البر، وهو المسؤول جل جلاله أن يضرب لنا فيها بنصيبٍ صالحٍ، وأن يزين لنا فيها بميزان راجح بكرمه ورحمته.

١٠٩٦ ــ قال أبو سليمان الداراني: «من قام إلى الصلاة فاستفتح القراءة فوجد لها لذة فليقرأ ولا يركع ولا يسجد، وإذا وجد للركوع لذة فليركع ولا يقرأ ولا يسجد، وكذلك إذا وجد للسجود لذة فليسجد ولا يقرأ ولا يركع، الوجه الذي فتح له من العمل يلزمه» قيل له: فالحزب الذي قد جعل على نفسه من القراءة والركوع والسجود يصليه؟ قال: «بالنهار» قال: ثم إذا تركه كيف له بأن يفتح له فيه مرة أخرى، هل رأيت أحداً يطلب شيئاً فإذا وجده تركه ثم يعود يطلبه مرة أخرى.

١٠٩٧ ــ قال غيره: وإذا فتح له أيضاً بالنهار تركه لوقتٍ آخر، فإن تلك اللذة لا تدوم إنما هي تارة وتارة، ساعة وساعة، هي أحوال تكثر عند قومٍ، وتقل عند قومٍ، والله عزّ وجلّ يوجدنا برد ذلك النسيم وطيب ذلك النعيم برحمته.

وقوله: «إذا وجد للقراءة لذة فليقرأ ولا يركع ولا يسجد» إنما يريد أن يطول ما وجد فيه اللذة ويخفف غير ذلك حتى يتم الركعتين على حدودها، وإن كان الذي وجد فيه اللذة مطولاً، وهذا لا يخفى على من عنده أدنى فهمٍ، وإنما ذكرته وشرحته لئلا يشكل على بعض من سمعه من النساء والصبيان والله المستعان.

١٠٩٨ ــ وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يكثر الصلاة بالنهار، فإذا جنه الليل لا يزال قائماً وراكعاً وساجداً حتى يصبح، فقيل له: لو كففت بعض الكف فإن الاقتصاد أمثل، فقال: إني أخاف أن يجوز أصحابي الصراط وأبقى دونهم، والله لو قمت على رجلٍ واحدةٍ حتى ألقى الله عزّ وجلّ ما عدل ذلك نظرة واحدة أطمع فيها من لقاء محمد ﷺ، ثم قال: وما عملي عند عمل العابدين قبلنا. فقيل له: حدثنا رحمك الله، قال: كان أحدثهم يسد عليه باب غارٍ فيعبد الله فيه خمسمائة عام أو أكثر، ثم إذا نزل به الموت يرى أن ذلك كان منه ساعةٍ من نهارٍ.

١٠٩٩ ــ ويروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه لبس الصوف مما يلي جسده وسرد الصوم واتخذ الليل مركوباً. أي كان يصليه كله أو أكثره.

١١٠٠ ــ وذكر ابن أبي الدنيا، قال: حدثني محمد بن الحسين، قال: نا صدقة بن بكر السعدي، نا مرجىٰ بن وادعٍ الرؤاسي، عن المغيرة بن حبيبٍ، قال: قال عبد الله بن غالب الحراني: لما برز إلى العدوّ على ما آسى من الدنيا، فوالله ما فيها لبيبٍ جذلٌ، والله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي وافتراش الجبهة لك يا سيدي والمراوحة بين الأعضاء، والكراديس في ظلم الليالي رجاء ثوابك، وحلول رضوانك، لقد كنت متمنياً لفراق الدنيا وأهلها، ثم كسر جفن سيفه وتقدم وقاتل حتى قُتل. قال: فحمل من المعركة وإن به لرمقاً فمات دون العسكر، فلما دفن أصابوا من قبره رائحة المسك، قال: فرآه بعض إخوانه فيما يرى النائم، فقال له: يا أبا فراسٍ ما صنعت، قال: خير الصنع، قال: إلى ما صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين، وطول التهجد، وظمأ الهواجر. قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ. قال: قلت: أوصني، قال: بكل خيرٍ أوصيك. قلت: أوصني، قال: اكتسب لنفسك خيراً، لا تخرج الأيام عنك عطلاً، وإني رأيت الأبرار نالوا البر بالبر[1].

١١٠١ ــ وقال الأسود بن زيدٍ وعلقمة بن قيس: «التهجد إنما يكون بعد نومةٍ» يقولان: ثم يقوم لصلاة الليل.

١١٠٢ ــ وكان بشر بن سعيدٍ يوقظ أهله ويقول: الصلاة الصلاة. ويقول: إن السفر لا يقطع إلا بدلج الليل، وإن الدنيا سفرٌ ونصبٌ وتعبٌ حتى يمضي العبد إلى رحمة الله تعالى.

وقد قيل: من كثر في سفره رقاده تعذر مراده وطال عن محبوبه بعاده. وأنشد:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» برقم (١٥٠).

كم ذا الرقاد وأهل الجد ما رقدوا ... كأنهم دوننا بالأمر قد قصدوا
قاموا ونمت وجدوا إذا هزلت ... وما عملت من عملٍ ذاك الذي تجد
يا صفقة خسرت وخاب أجرها ... هل فيك ويك لتقض البيع مشتد
ولى الشباب وولى العمر أطيبه ... وغص سلسلة فما الذي ترد
فانبذ بدنياك حيث لا اجتماع به ... إلا الكفاف وفي الكفال معتمد
واهجر مهادك لا تلمم بساحته ... ففي القبور إذا ما حيتها مهد
ما شئت إن شئتها مُهداً ملينة ... من الحرير وإلا جمرة تقد
لله در رجالٍ لم يمل بهم ... لين الفرش ولا الأوانس الخرد
قاموا ونار الأسى في الحرب تتقد ... ودمعة العين في الخدين تطرد
بثوا حديثهم وطول شجوهم ... واستشفعوا بعظيم الفصل إذ قصدوا
تنعموا في الدجى بقرب ربهم ... وفي قبورهم بأطيب ما وجدوا
جازوا عليك وأنت راقد فمضوا ... وخلفوك إلى الودود الذي وردوا
يا راقداً ورجال الله شاهرة ... ما كان أولى بتلك المقلة الرمد

١١٠٣ ــ ومما روي من موعظة النبي ﷺ لأبي كثير: «نبه بالتفكر قلبك، وجاف عن النوم جنبك، واتق الله ربك»[(١)].

١١٠٤ ــ وقال الحسن البصري: «نهارك ضيفك فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك، وكذلك ليلك».

١١٠٥ ــ وقال بعض الحكماء: «إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما».

١١٠٦ ــ وقال عليه السلام: «الشتاء ربيع المؤمن»[(٢)]. ضرب عليه السلام الربيع وخصبه مثلاً لليالي الشتاء وطولها، وما يتمكن للمؤمن فيها من القيام، ويتيسر له من المناجاة ووجود البركات. وهذا الحديث ذكره أبو عيسى الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري.

١١٠٧ ــ وكان أبو هريرة رضي الله عنه لا يخلو بيته من مصل بالليل، كان قد قسم الليل ثلاثة أثلاث: ثلثاً له، وثلثاً لامرأته، وثلثاً لابنته.

١١٠٨ ــ وكان زبيد اليامي قد قسم الليل أثلاثاً عليه وعلى ابنيه، يصلي كل واحدٍ

---

(١) لم نقف على هذا الحديث.

(٢) منكر: أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٥). والبيهقي (٤/ ٢٩٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» برقم (١٤١ ــ ١٤٢) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٥٠١). وقد أورد الذهبي في «الميزان» هذا الحديث في ترجمة دارج أبي السمع وعدّه مناكيره.

منهم ثُلثاً، فإذا صادف ليلة من أحدهما كسلاً قال له: نم يا بني فأنا أصلي عنك نصيبك، فإن صادف من الآخر كسلاً قال له مثل ذلك، فربما كان يصلي في بعض الليالي الليل كله، ثم كان بعد ذلك من أكثر أهل الكوفة صلاةً بالليل.

١١٠٩ ــ وقال سفيان الثوري: «كان سفيان بن فياض يخرج إلينا كأنما خرج من قبر من كثرة صلاته وعبادته».

١١١٠ ــ وكان صفوان بن سليم من العابدين المجتهدين، وكان قد أعطى الله عهداً أن لا يضع جنبه على فراش حتى يلقاه، فعاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه على فراش، فلما مرض قيل له: ألا تضطجع، قال: فما وفيت الله بالعهد إذاً، فاشتد به الأمر فما زال كذلك يُعالج حتى مات رحمة الله عليه.

١١١١ ــ وقال إبراهيم بن محمد بن المنكدر: خرج صفوان مع عمي إلى مكة، فكان يصلي ليلته كلها على المحمل ونحن نسير إلى أن ينعس فيضع خده على يده فينام جالساً، فإذا تفرق الناس مضاجعهم بالضحى قام يصلي، فلا يزال كذلك يصلي إلى نصف النهار، فإذا نعس وضع جبهته في الأرض على متاعه، فلم يزل كذلك ليلاً ونهاراً حتى رجعنا من مكة ما كان ينام إلا جالساً.

١١١٢ ــ وقال أبو عبد الرحمن المعري: لم يكن صفوان بن سليم يتوسد بالليل وساداً، وكان لا يضع جنبه على فراشٍ إنما كان يصلي فإذا غلبته عيناه أحبا قاعداً.

١١١٣ ــ وقال سعيد بن المسيب: ما من ليلةٍ تأتي على الناس إلا نادت: أنا ليلةٌ جديدةٌ لم آت عليكم قط ولا آتي عليكم بعد، فاعملوا فيَّ خيراً فإنكم مسؤولون عما عملتم فيَّ، وإذا جاء النهار نادى كذلك أيضاً، هكذا أبداً لم تزل الدنيا أبداً على ذلك.

١١١٤ ــ وقال الحسن البصري رحمه الله: «لقد وقرتني كلمة سمعتها من الحجاج على أعواد هذا المنبر، سمعته يقول: إن امرءً ذهبت ساعةٌ من عمره في غير ما خلق له لجديرٌ أن يطول عليها حزنه يوم القيامة».

١١١٥ ــ وقال أبو الدرداء: «ما مر يومٌ على رجلٍ مسلمٍ إلا اجتمع هواه وعمله، فإن كان هواه تابعاً لعمله فيومه يوم صالح، وإن كان عمله تابعاً لهواه فيومه يوم سوءٍ».

١١١٦ ــ وكان عامر بن عبد قيسٍ يصلي الصبح في المسجد ثم يقوم إلى ناحيةٍ فيأتيه قومٌ فيقرئهم القرآن حتى إذا طلعت الشمس وكان وقت الصلاة قام فصلى إلى الظهر، فإذا صلى المغرب صلى إلى العشاء، فإذا صلى العشاء انصرف إلى بيته فأخذ أحد رغيفيه فأفطر عليه وشرب الماء، ثم نام نومة خفيفةً ثم قام فصلى إلى السحر، ثم يأخذ رغيفه الآخر

فيتسحر به، ثم يخرج إلى المسجد يصلي إلى الصبح، وكان يقول: إلهي خلقتني ولم تؤامرني، وتمتيني ولا تعلمني وجعلت معي عدواً يجري مني مجرى الدم، وجعلته يراني ولا أراه، ثم قلت لي: استمسك. إلهي كيف استمسك إلا بك إلهي، في الدنيا الهموم والأحزان، وفي الآخرة الحساب والعقاب، فأين الراحة والفرح.

١١١٧ ــ ويروى أنه كان يصلي فيتمثل له الشيطان في صورة حيةٍ فيدخل من تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فلا يمسها ولا يمسكها ولا يقطع صلاته من أجلها، فقيل له: ألا تنحي الحية عنك، فقال: إني لأستحيي من الله أن أخاف سواه. فقيل له: إن الجنة تدرك بدون ذلك، فقال: والله لأجتهدن فإن نجوت فبرحمته، وإن دخلت النار فبعد جهدي، وكان قد سأل الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء وله بخارٌ كأنه إنما كان على النار.

١١١٨ ــ وكان محمد بن بسامٍ من البكائين وأقام نيفاً وأربعين سنة يصلي بالقرآن في كل ليلةٍ، وربما ختمه في الليل والنهار مرتين، وما ترك ذلك قط في سفرٍ ولا حضرٍ، ولا في أرض الروم ولا بطريق مكة، وكان إذا استثقل في النوم أتاه آتٍ فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمك الله، الصلاة خيرٌ من النوم، وربما أحسَّ بأصبعه بعضٍ.

١١١٩ ــ وكان مسروق بن الأجدع قد انتفخت ساقاه من طول القيام في الصلاة، ولقد حج فما نام إلا ساجداً، وقال: «ما أحزن على شيء من الدنيا يفوتني إلا السجود» ولما نزل به الموت جزع فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لي لا أجزع، وإنما هي ساعةٌ واحدةٌ ولا أدري أين يُسلك بـي.

١١٢٠ ــ وكان أبو الدرداء صاحب النبـي عليه السلام يقول: «لولا ثلاثٌ ما أحببت البقاء في الدنيا: الظمأ في الهواجر، والسجود في جوف الليل، ومجالسة أقوامٍ يتنقون أطايب الكلام كما يتنقون أطايب التمر».

١١٢١ ــ وقال الأوزاعي: «من أطال القيام بالليل هون عليه موقفه يوم القيامة» وما أحسب الأوزاعي أخذ هذه الآية: ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا﴾ [الإنسان: ٢٦ ـ ٢٧].

١٢٢ ــ وقال أبو الأحوص: «إن كان الرجل ليطرق القسطاط فيسمع له دوياً كدوي النحل، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون».

١١٢٣ ــ وكان أويس القرني رحمه الله يقوم ليلةً حتى يصبح ويقول: بلغني أن لله

عباداً قياماً أبداً، ثم يركع له أخرى حتى يصبح ثم يقول: بلغني أن لله عباداً ركوعاً أبداً، ثم يسجد ثالثة حتى يصبح ثم يقول: بلغني أن لله عباداً سجوداً أبداً. يريد أنه كان يقوم ليله في الركعة الأولى فإذا أحس بالفجر ركع وسجد ثم خفف في الركعة الثانية، ويخفف القيام في الركعة الأولى في الليلة الثانية فإذا ركع بقي راكعاً فإذا أحس بالفجر سجد ثم خفف في الركعة الثانية، وفي الليلة الثالثة يخفف القيام والركوع في الأولى ثم يسجد فيطول السجدة الأولى فإذا أحس بالفجر سجد الثانية ثم صلى الركعة الباقية وخفف فيها.

١١٢٤ ــ وقال له رجلٌ: ما لي أراك مريضاً؟ فقال: وما لأويس أن لا يكون مريضاً يطعم المريض وأويس غير طاعمٍ، وينام المريض وأويس غير نائمٌ.

١١٢٥ ــ وروي عن الربيع بن خثيم، قال: أتيت أويساً القرني يعني هذا فوجدته قد صلى الصبح وقعد، فقلت لا أشغله عن التسبيح، فلما كان وقت الصلاة قام فصلى إلى الظهر، فلما صلى الظهر صلى إلى العصر، فلما صلى العصر قعد يذكر الله إلى المغرب، فلما صلى المغرب صلى إلى العشاء، فلما صلى العشاء صلى إلى الصبح، فلما صلى الصبح جلس فأخذته غيبةٌ، ثم أتيته فسمعته يقول: اللهم إني أعوذ بك من عينٍ نوامةٍ، وبطن لا تشبع. وأويس هذا مشهورٌ في التابعين.

١١٢٦ ــ وهو الذي ذكره رسول الله ﷺ فقال: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر»[1]. وهو مذكور في كتاب مسلم بن الحجاج.

وأنشدوا:

ابـــرأ إلـــى الله مـــن النـــوم	فـــي ليلـــة يغشـــاك أو يـــوم
غيـــر غـــذاءٍ تغتـــذيـــه	وإن أوذيـــت بـــالعتـــب واللـــوم
وقـــم إذا امتـــد جنـــح الـــدجـــى	وغمضـــت الأجفـــان بـــالنـــوم
وأنـــت مـــن ذنبـــك فـــي روعـــةٍ	ينهـــد منهـــا أجلـــد القـــوم
واقطـــع مـــدا عمـــرك ســـومـــاً	وسـم نفسـك فيهـا شـر مـا سـوم
واستنشـــق الجنـــة ريحـــانهـــا	وحـــم عليهـــا أيمـــا حـــوم
فـــربمـــا نلـــت بتـــرك الكـــرى	ونلـــت عـــذب الـــورد بـــالصـــوم

١١٢٧ ــ وقال أحمد بن حربٍ: «عجباً لمن تُزين الجنة فوقه. وتستعر النار فوقه، كيف ينام بينهما».

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم برقم (٢٥٤٢/ ٢٢٤)، دون قوله: «ابن عامر»، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

١١٢٨ ــ وقال هشام بن بشرٍ: «مكث منصور بن زاذان يصلي الصبح بوضوء العشاء الآخرة عشرين سنة».

١١٢٩ ــ وقال عمرو بن ميمون: وكذلك مكث هشيم يصلي الصبح بوضوء العشاء الآخرة عشرين سنة.

١١٣٠ ــ وكان ببيت المقدس رجل من المتعبدين يصوم النهار ويقوم الليل، وكان حمالاً يحمل للناس، فما أصاب من أجرة أخذ منها قوته وتصدق بالباقي، وكان إذا صلى الصبح في الجماعة قعد حتى تشرق الشمس ثم يصلي ركعتين ويتحدل على الأرض ثم يقول:

عند الصباح تحمد القوم السرى

وهذا البيت في رجزٍ قديم قاله خالد بن الوليد حين سرى به رافع بن خديج إلى حرب القادسية، فأخذ الناس يتمثلون به ويزينونه في أشعارهم.

وأنشد بعضهم:

ما رأى من نفسه ما قد رأى	وخاف من غارات فرسان الورى
وبعدما بعد من أهوال اللقا	وما يرى وما يرى وما يرى
شمر للأمر الذي قد شمرا	وقطع الليل صلاةً ودعا
وعبرة ممزوجة من الحشى	وزفرة كأنها نار لظى
وكلما يخافه إذا دجى	من كسل في جسده أو من ونا
أشد ما قاله من قد مضى	عند الصباح تحمد القوم السرى

وتشتفي العينان من طيب الكرى

١١٣١ ــ ويروى أن قوماً دخلوا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله يعودونه، وإذا فيهم شابٌ ناحل الجسم متغير اللون، فقال له عمر: يا فتى ما صنع بك ما أرى؟ قال: أمراضٌ وأسقامٌ يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: نشدتك بالله إلا ما أخبرتني فقال: يا أمير المؤمنين ذقت الدنيا فتمررت عند حلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها، وكأني أنظر إلى عرش ربي تبارك وتعالى والناس يساقون إلى الجنة والنار، فأظمأت لذلك نهاري وأسهرت له ليلي وقليل حقير كلما أنا فيه من جنب ثوب الله وعقابه. كان هذا الشاب معروفاً عندهم.

١١٣٢ ــ وقال يزيد الرقاشي: أما أن أقوم الليل كله فما أستطيع، ولكن إذا نمت من الليل ثم استيقظت لم أرجع إلى النوم ثانية فلا نامت عيني، وكان يقول في أيام الصيف: السلام على الماء البارد، وكان قد صام أربعين سنة، وكان كثير البكاء.

١١٣٣ ــ ودخل وكيع بن الجراح عبادان فعطل كل عابدٍ كان فيها كان يبيت ليلة قائماً

يصلي إلى الصبح، ثم يسبح حتى تطلع الشمس، ثم يحدثهم حديث النبي عليه السلام حتى يرتفع النهار ثم ينام إلى الظهر، ثم يصلي الظهر إلى العصر، ثم يحدثهم حديث النبي عليه السلام من العصر إلى المغرب، فإذا صلى المغرب صلى العشاء الآخرة، فإذا صلى العشاء صلى إلى الصبح فما زال ذلك دأبه حتى خرج منها.

١١٣٤ ــ وقال حسان بن أبي الأسود: رأيت رجلاً يصلي الليل كله، فتتبعت أمره، فإذا هو مملوك يحمل على رأسه للناس فقلت له: يا هذا أجنيٌّ أنت أم أنسيٌّ، أما تستريح تحمل بالنهار وتقوم الليل، فقال: اسلك يحرمه المؤمن، ألا ما كتمت عني، أنا عبدٌ مملوكٌ أؤدي الضريبة لمولاي من خدمتي وهو مخلوقٌ فكيف بالخالق سبحانه والأمر أسرع من ذلك، ثم دخلت عليه بعد ذلك فوجدته مريضاً قد اجتمع عليه الذباب وليس أحدٌ وهو يقول: الساعة الساعة، ثم جعل يقول: الأمر أسرع من ذلك، الأمر أسرع من ذلك، فلم أزل حتى مات رحمة الله عليه.

١١٣٥ ــ وقال عبد الله بن وهبٍ: كل ملذوذٍ له لذةٌ واحدةٌ إلا العبادة فإن لها ثلاث لذاتٍ: إذا كنت فيها، وإذا تذكرتها، وإذا أُعطيت ثوابها.

١١٣٦ ــ قال بعضهم: من علم ما يطلب من ربه هان عليه ما يبذل من نفسه. ثم أنشد:

جلت مطالبه فهانت عنده أوصابه وحياته ومماته

وكانوا يقولون: المؤمن يتحامل. أي يتحمل المشاق في طاعة الله عزّ وجلّ.

١١٣٧ ــ قال الأوزاعي: طفت مع عبدة بن أبي لبابة فقعد يستريح ثم قال: قم فإن المؤمن يتحامل.

١١٣٨ ــ وقال عبيد الله بن عبد الله بن عمر: «تجد المؤمن مجتهداً فيما يطيق، متلهفاً على ما لا يطيق».

١١٣٩ ــ وقال أبو مسعودٍ رضي الله عنه: «ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله عزّ وجلّ ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فكَأَنْ به».

١١٤٠ ــ وكان أبو ريحانة يقول: سبحانك ما أمن من عرفك راحةٌ دون لقائك.

١١٤١ ــ وروي أن الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى إنه إن انقطع حبلك مني لم يصل بحبل غيري فاعبدني، وقم بين يدي مقام، واذمم نفسك فهي أولى بالذم واذكر أنك ساكن القبر، وليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات».

١١٤٢ ــ ومما يذكر أنه في الزبور: «يا داود قم الليل وقد سنى فيه وأكثر ذكري، فإن نوافل الليل نوافل توجب الجنة. يا داود اتل كتابي واخل به خلوة خليلٍ يحب خليله».

١١٤٣ ــ وروي عن العلاء بن كثير قال: «من أدركت من سلف هذه الأمة ما يرضون من أبدانهم إلا بأشد ما يقدرون عليه من العبادة، يتعبون أنفسهم في ليلهم ونهارهم».

١١٤٤ ــ ونظر رجلٌ إلى الحسن بن أبي الحسن البصري وهو يتحامل إلى المسجد في المطر وشدة الوحل فكلمه في ذلك فقال: أي أخي إنما هو الاجتهاد أو الهلكة.

١١٤٥ ــ وقال يزيد بن خالد الأودي: قال أبي: أي بني من أيقن ثواب عمله هانت عليه مشقته، ومن يصبر ينل ما يحب إن شاء الله.

١١٤٦ ــ ويروى أن عيسى عليه السلام قال: «حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر على المشقة، ويبعدان العبد عن راحة الدنيا».

١١٤٧ ــ وقال مجمع بن يحيى: في بعض كتب الله تعالى: أيحسب راعي إبلٍ أو غنمٍ إذا جنه الليل انجدل أن أجعله كقائم الليل وساجده وأنا الحكيم.

١١٤٨ ــ وذكر ميمون بن الحكم بن عبد الله بن إبراهيم، عن أبيه قال: سافر المغيرة بن حكيم إلى مكة أكثر من سبعين سفرة صائماً محرماً حافياً، وكان مع ذلك كله لا تفوته صلاة السحر يقوم إلى الصلاة ويرحل الناس، فإذا فرغ لحق متى لحق، وكان حزبه في صلاة الضحى من البقرة إلى سورة هود، ومن الزوال إلى العصر من هود إلى سورة الحج، ومن الليل من الحج إلى آخر القرآن، فكان يختم القرآن في يومه وليلته.

١١٤٩ ــ وقال إبراهيم بن عبد الله: احتمل العاملون لله الصبر على المكاره، وأنسوا بالوحدة، واستوحشوا من الخلق، وزهدوا في معاشرة الناس، ومقتوا الدنيا فلم يلتفتوا إلى طيب عيشها.

وقال بعض المتعبدين: إني لأكره أن أعطي عيني شهوتها من الليل. وأنشدوا:

يا راقد الليل ملء مقلته	وما كذا ذو بصيرة رقدا
هل أنت من صرفه على ثقةٍ	من أن ترى غرة الصباح غدا
أو هل تحصنت من مكارهه	إن هو إياكم بها قصدا
هيهات كم نائم قد أقصده	في نومه ذاك منه سهم ردا
فلم يفق من لذيذ رقدته	إلا إلى غصةٍ لغير مدا
ولم يجد من جميع ما ذخرت	يداه إلا تنفس الصعدا

وحسرة في الضلوع قد صدعت | أكبـاده عنـد ذاكـم كمـدا
يـا نـائمـاً والمنـون تطلبـه قـد | مـد رجـلاً لأخـذه ويـدا
ويـك تيقـظ والليـل فـي سعـةٍ | والنـوم فـوق الجفـون قـد ركـدا
واقـدح لجنبيـك نـار تـذكـرة | تـأكـل منـك الفـؤاد والكبـدا
وامـزج بخـديـك دمعهـا بـدمٍ | مـن قلـب حيـران فـارق الجلـدا
قـد تـرك الـدار منـه مقفـرةً | وأوحـش الأهـل منـه والـولـدا
واضـرع لمـن جـوده ونـائلـه | جـارٍ علـى الخلـق دائمـاً أبـدا
لعلـه والمنـى بـه علقـت | إذ لـم نجـد عـن ذراه ملتحـدا
يعطيكهـا تـوبـة مجليـةً تجلـو | الـذي فيـك مـن قـذا وصـدا
فليـس إلا رجـاؤه أمـلاً | وليـس إلا جـزاءه معتمـدا

١١٥٠ ــ قال سفيان: «كان يقال الموت راحة العابدين».

١١٥١ ــ وقيل لبعض الصالحين وكان يتعب ويجتهد أما تستريح؟ فقال: ليس هذا زمان الراحة، هذا زمان التعب، الراحة أَمَاماً.

١١٥٢ ــ وكان بعض الصالحين إذا سمع بموت عابدٍ يقول: استراح المتعب وتم التعب.

١١٥٣ ــ وقال مالك بن دينارٍ: «ما من عمل من أعمال البر إلا ودونه عقبةٌ، فإن صبر صاحبه أفضت به تلك العقبة إلى روحٍ وراحةٍ، وإن جزع ولم يصبر رجع».

١١٥٤ ــ وذكر ابن وضاحٍ من حديث أبي عثمان مرسلاً، عن النبي ﷺ: «من حمل على نفسه ما تكره فله أجران»[١].

١١٥٥ ــ ومن مراسيل الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى جهدتهم العبادة»[٢].

١١٥٦ ــ قال عمر بن عبد العزيز: «قوة المؤمن في قلبه، وقوة المنافق في بدنه».

١١٥٧ ــ وقال سليمان التيمي: أتاني آتٍ في منامي فقال لي: يا سليمان إن قوة المؤمن في قلبه.

---

(١) ضعيف: وعلة ضعفه أنه مرسل، والمعروف كما في علم مصطلح الحديث أن الحديث المرسل ضعيف.

(٢) ضعيف: وعلته الإرسال.

١١٥٨ ـ وقال قتادة: يا ابن آدم إن كنت تريد أن تأتي الخير الأعلى نشاطٍ، فإن نفسك إلى السآمة والفتور والكسل أميل، ولكن المؤمن هو المتحامل، والمؤمن هو المتقوي، والمؤمن هو المتشدد، والمؤمنون هم العجاجون إلى الله تعالى آناء الليل وآناء النهار، والله ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجاب لهم.

١١٥٩ ـ وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يقول: «اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر فيه شدةٌ كنتم قد أخذتم بالوثيقة لأنفسكم، وإن يكن الأمر فيه لينٌ كانت أعمالكم درجاتٍ وقرباتٍ».

١١٦٠ ـ قال مثنى بن الصباح: مات عمٌ لي فرأيته في النوم وهو يقول: الدنيا غرور والآخرة سرور، ولم نر شيئاً مثل اليقين والنصح لله والمسلمين، لا تحقرن من المعروف شيئاً، واعمل عمل من يعلم أنه مقصرٌ.

١١٦١ ـ وقال ثابت البناني: «لا يسمى العابد عابداً حتى يكون في الصلاة والصيام كأنهما من لحمه ودمه»، وكان قد حببت إليه الصلاة، وكان يقول: «اللهم إن كنت أذنت لأحدٍ أن يُصَلى في قبره فأذن لي».

١١٦٢ ـ وكان داود الطائي أحد الفقهاء يتعبد ودأب واجتهد، وكان جعل غذاءه شُرب الفتيت وترك أكل الخبز، فقيل له في ذلك فقال: بين شرب الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية. وكان كثير الصلاة والسهر، كثير المداومة على العمل، لا ينام الليل فإذا غلبته عيناه بات مُحتبياً. وقال له رجل: ألا تستريح لجنبك؟ قال: إني إذاً لفارغ. ودخل عنده رجل فقال: أرى في سقف بيتك خشبةً مكسورةً، فقال: يا ابن أخي إن لي فيه عشرين سنة ما نظرت إلى سقفه. وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام.

١١٦٣ ـ ورثى محمد بن السماك داود الطائي هذا بكلامٍ بعد موته، وقال: يا داود ما كان أعجب شأنك، ومما يزيد في العجب أنك ألزمت نفسكَ العدل حتى قومتها وأتعبتها وإنما تريد راحتها، وأجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنما تريد ريها، وخشنت اللباس وإنما تريد لينه، وأمت نفسك قبل أن تموت، ودفنتها قبل أن تدفن، وغيبتها عن الناس لكي لا تذكر، وأخملتها كيلا تشتهر، ولا ستر على بابك، ولا فراش تحتك، ولا إناء عندك تبرد فيه ماءك، ولا وعاء ترفع فيه طعامك، أما كنت تشتهي من الماء باردةً، ومن الطعام طيبةً، بلى ولكن زهدت فيه لما رغبت فيه من البر لأمر آخرتك، ولما خفت من عذاب ربك، ما أيسر ما بذلت، وأصغر ما أعطيت في جنب ما طلبت، أما أنت فظفرت بروح الله في العاجل، وسعدت إن شاء الله في الآجل، فمن سمع بمثلك صبر كمثل صبرك وعزم مثل عزمك، لا

أحسبك إلا قد لحقت بالأولين، ولا أظنك إلا قد فضلت الآخرين، ولا أراك إلا قد أتعبت من يأتي بعدك من العابدين.

١١٦٤ ــ وفي خبرٍ آخر عنه: أن داود نظر إلى ما بين يديه من آخرته فأَعشى بصر قلبه من النظر إلى الدنيا فلم ينظر إلى ما إليه نظرتم ولا نظرتم إلى ما إليه نظر، فأنتم منه تعجبون وهو منكم أعجب، فلما رآكم مفتونين مغرورين قد أذهبت الدنيا عقولكم، وأماتت بحبها قلوبكم، استوحش منكم فترككم.

١١٦٥ ــ وقال هناد بن السري: رأيت داود بعد موته في النوم، فقلت له: أبو سليمان قال: أبو سليمان. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: رضي عني وأتحفني وزوجني وأطعمني طعاماً طيباً، وسقاني شراباً طيباً وطيبني، وقال لي: نم كما كنت تسهر، وافرح كما كنت تحزن، واشبع كما كنت تجوع.

١١٦٦ ــ وقالت أم سعيد بن علقمة: كان بيننا وبين داودٍ الطائي حائط قصير، فكنت أسمع حسه عامة الليل لا يهدأ ولا يفتر، وربما سمعته يقول: همك عطل عليَّ الهموم وحالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوثق من الشهوات وحال بيني وبين اللذات، فأنا في سجنك أيها الكريم مظلومٌ. قالت: وربما ترنم بالآية فأرى أن نعيم جميع الدنيا جُمع في ترنمه. وكان يسكن وحده وكان لا يسرج سراجاً في بيته.

١١٦٧ ــ وكان سليمان التيمي من العلماء العاملين المجتهدين، ويذكر أنه صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة. وقال يحيى بن سعيد: ما رأيت أخوف لله من سليمان التيمي.

١١٦٨ ــ وقال رقبة بن مصقلة وكان من الصالحين: رأيت رب العزة في النوم، فقال: «وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي لأنه صلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة». وروي أنه كان من مذهبه أن النوم إذا خامر القلب وجب منه الوضوء.

١١٦٩ ــ وكان أبو مالك ضيغم بن مالك من المجتهدين في العبادة، وكان ورده كل يومٍ أربعمائة ركعةٍ، ولقد انتصب يوماً راكعاً فما قدر أن يرفع رأسه وما رفع رأسه إلا بعد جهدٍ، وكان يقول: إنما قوى العابدون على العبادة بما جُعل في قلوبهم من حلاوة العبادة. وكان قد سُلط عليه البكاء، وربما انتقل في بيته من موضعٍ إلى موضعٍ من كثرة ما كان يبل الأرض بدموعه، ولما نزل به الموت قيل له: أوصنا، قال: بلى أوصيكم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأوصيكم بصلة الرحم، وحسن الجوار، وادفنوني مع المساكين.

وأنشد بعضهم:

قـام مـن الليـل حيـن قـامـا ... ودمعـه مـرسـلٌ سجـامـا
وبيـن جنبيـه نـار ذكـرى ... تمتحـش للحـم والعظـامـا
لا لحشـاه حشـا مـروعٌ ... قـام عليـه الأسـى قيـامـا
مـا بـالـه لا يـذوق غمضـاً ... مـا بـالـه حـرم الطعـامـا
وكلمـا زدتـه مـلامـا ... زادك فـي أمـره مقـامـا
لعلـه ذاكـرٌ ذنـوبـاً ... قـد ألبسـت قلبـه ظـلامـا
وأثقلـت ظهـره فـأضحـى ... غيـر مطيـق بهـا قيـامـا
وعـرضتـه لهـول يـومٍ ... تـاه لـه ذو الحجـا وهـامـا
إن كـان هـذا فـلا تلمـه ... فمـا لـه اليـوم والمـلامـا
ودعـه يبكـي حتـى يبكـي ... مـن عـابـه فـي البكـاء ولامـا
فـلا رأى دمعـه انسكـابـا ... ولا رأت عينـه منـامـا

١١٧٠ ــ وقال حفص بن حميدٍ: أجمع العلماء والحكماء، أن النعيم لا يلتمس بالنعيم.

يريد أن النعيم لا يطلب إلا بالجد والتشمير، والتعب والنصب، ولا يكون إلا بترك النعيم، قال تبارك وتعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته﴾ [مريم: ٦٥]. وقال عزّ وجلّ: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ [طه: ١٣٢]. فجعل العبادة بالاصطبار.

١١٧١ ــ وقال يحيى بن معاذٍ: «ليس محباً من لم يكن فيه ثلاث خصالٍ: يؤثر القرآن على كلام الخلق، والخلوة على مجالسة الخلق، والعبادة على خدمة الخلق».

١١٧٢ ــ وقال بعض الصالحين: «يستعان على قيام الليل بثلاثةٍ: بأكل الحلال، والاستقامة على التوبة، وغلبة خوف الوعيد أو شوق الموعود. والذي يُحَرمُ به العبد قيام الليل ويعاقب بطول الغفلة من أجله: أكل الحرام، والإصرار على المعاصي، وغلبة هم الدنيا على القلب».

١١٧٣ ــ وقال القاسم بن راشد الشيباني: كان ربيعة نازلاً بالمحصب، وكان له أهل وبنات، فكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً، فإذا كان السحر نادى بصوته: أيها المعرسون أكل هذا الليل تنامون، ألا تقومون فترحلون. قال: فيتواثبون من هٰهنا باكٍ، ومن هٰهنا داعٍ، ومن هٰهنا قاريءٌ، ومن هٰهنا متوضيءٌ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته:

عند الصباح تحمد القوم السرى

١١٧٤ ــ وكانت معاذة العدوية تُحيي الليل كله، وكانت تلبس في البرد ثياباً رقاقاً ليصيبها البرد فيمنعها النوم، وكانت إذا جن الليل عليها، قالت: «هذه ليلتي التي أموت فيها» فإذا غلبها النوم جالت في الدار وهي تقول: «يا نفس النوم أمامك لو قَدمُت لطالت رقدتك في قبرك، إما على حسرة أو سرور».

١١٧٥ ــ وروي أنها لم تتوسد فراشاً بعد زوجها أبي الصهباء حتى ماتت، وكانت تقول: عجباً لعينٍ تنام وقد علمت طول الرقاد في ظلمات القبور. وروي أنها كانت تصلي بالنهار ستمائة ركعةٍ.

وأنشدوا:

بلج الصباح وأنت جذعٌ راقدٌ ... كالميت الملقى وغيرك جاهدُ
ملئت جفونك نومةً لو قسمت ... في أمةٍ ما كان فيها ساجدُ
في ليلةٍ عرضت وطال زمانها ... فالكل من أقطارها متباعدُ
شهدت عليك بغفلةٍ وبطالةٍ ... كل عليك بشومه متعاضدُ
شهدت عليك بذاك زهر نجومها ... والله ربك فوق ذلك شاهدُ
يا راقداً ملأ الكرى أجفانه ... وإذا تيقظ فهو أيضاً راقد
هلا أفقت وفي شبابك فضلةٌ ... والموت لم يجفاك منه رايدُ
وقطعت أسباب الهوادة في الهوى ... إذ ليس إلا ما يسؤك عايدُ
بل قد وصلت وقد وصلت وكلما ... بقي عليك وأنت فيه واحدُ
فاستدركن ما فات منك بتوبةٍ ... منها عليك دلايل وشواهدُ
ونحول جسم قد تراه صبابةً ... ومصادرٌ محمودةٌ ومواردُ
وإذا الرجا ألقى إليك رداءه ... ودعتك غيدٌ للفراش نواهدُ
فاهجر فراشك عند ذلك فإنما ... فرش اللبيب هنالك طرفٌ ساجدُ
واضرع لمن سلطانه لا ينقضي ... أبداً وسبب عطائه متزايدُ
فلعله يعطيكها مقبولة ترقى ... بها ذاك البلا وتشاهدُ
ويعود مر العيش في مرضاته ... حلواً ويدنو من هناك مباعدُ
وإذا أتتك من المليك عنايةٌ ... فالكل ساعٍ في هواك وجاهدُ

١١٧٦ ــ وكان كرز بن الحارث يصلي كل يوم وليلةٍ ألف ركعةٍ، وإن كان العصفور ليقع على ظهره يرى أنه جدارٌ يعني من طول سجوده، وهذا إنما يكون في بعض السجدات

لأن تطويل السجود لا يمكن مع كثرة الركعات.

١١٧٧ ــ وكذلك كان عيسى بن عقبة يسجد ويطول حتى تبول العصافير على ظهره ما كانت تحسبه إلا جَدرَ حائطٍ، ولم أسمع أنه كان يصلي هذا العدد.

١١٧٨ ــ وكان العلاء بن زيادٍ يختم كل ليلةٍ ختمةً، فقال لامرأته: إني أجد الليلة ثقلاً فإذا كان من الليل كذا لوقتٍ سماه فأيقظيني فأيقظته لذلك الوقت، فوجد ثقلاً عظيماً فقال: دعيني ساعة، ثم نام فإذا بآتٍ أتاه في المنام فأخذ بمقدم شعر رأسه، فقال: يا ابن زيادٍ قم فاذكر ربك يذكرك، فانتبه فزعاً، ولم تزل تلك الشعرات في مقدم رأسه قائمةً إلى أن مات رحمه الله.

١١٧٩ ــ وكان عبد الله بن حنظلة من المجتهدين، ولم يكن له فراشٌ ينام عليه، إنما كان يصلي فإذا أعيا توسد ذراعيه ورداءه ثم هج شيئاً.

١١٨٠ ــ وكان محمد بن كعبٍ القرظي من المجتهدين، فقالت له أمه: يا بني لولا أني أعرفك صغيراً طيباً، وكبيراً طيباً لظننت أنك قد عملت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك، فقال: يا أماه وما يؤمنني أن يكون الله عزّ وجلّ قد اطلع عليَّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني وقال: لا أغفر لك مع أن عجائب القرآن توردني على أمورٍ حتى أنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي. وكان محمد بن كعب هذا من بني قريظة من اليهود.

١١٨١ ــ وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج في الكاهنين رجلٌ يدرس القرآن دراسةً»[1]. والكاهنان: قريظة والنضير. ويقال: إن هذا الرجل هو محمد بن كعب هذا المذكور.

١١٨٢ ــ وقال بعض الصالحين: «إن في القرآن قصوراً وخاناتٍ إذا مر بها المتعبدون عرجوا عليها ونزلوا عندها وتدبروها وتفكروا فيها فتشوقوا إلى الجنة وتخوفوا من النار، وإذا تلوها في ظلمة الليل وقفوا عند عجائبها وبكوا عليها».

١١٨٣ ــ ويروى عن بعض الصالحين قال: نمت ليلةً عن حزبي الذي كنت أصلي، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول:

عجبت من جسمٍ ومن صحةٍ ... ومن فتى نام إلى الفجرِ
والموت لا تؤمن خطفاته ... في ظلمة الليل إذا تسري
من بين منقولٍ إلى حفرةٍ ... يفترش الأعمال في القبرِ

(١) لم نقف على هذا الحديث فيما لدينا من كتب؛ والله أعلى وأعلم.

وبيـن مـأخـوذٍ علـى غـرة   بـات طـويـل الكبـر والفخـرِ
عـاجلـه المـوت علـى غفلـةٍ   فمـات محشـوراً إلـى الحشـرِ

١١٨٤ ــ وكان سليمان بن عميرة من الصالحين، وكان يختم القرآن كل يومٍ ثلاث مراتٍ.

١١٨٥ ــ وكان سعيد بن أبي الحسن إذا جن عليه الليل توضأ ثم عمد إلى محرابه فلم يزل يصلي حتى يصبح. قال: فنمت ذات ليلةٍ عن وقتي الذي كنت أقوم فيه فإذا بشابٍ جميل الوجه قد وقف عليَّ فقال: قم يا سعيد إلى خير ما أنت قائم إليه، فقلت: وما هو رحمك الله؟ قال: قم إلى تهجدك فإن فيه رضا ربك وحظ نفسك وهو شرف المؤمنين عند مليكهم يوم القيامة. قال: فحدثت به الحسن أخي فقال: لقد أطاف بي هذا الشاب الذي أطاف بك قديماً فما ذكرته لأحد حتى الآن، ولولا أنك أخبرتني ما أخبرتك.

١١٨٦ ــ وكان بقرطبة رجل من صالحيها يسمى عيسى بن أحمد، يكنى أبا الأصبغ، وكان إذا غلبته عينه عن القيام إلى حزبه من الليل على عادته صاح به صائحٌ يا أبا الأصبغ، فيقوم عند صياحه، وربما صاح به فلم يسمعه وسمعه بعض أهله فأيقظه وقال: قم قد صيح بك.

١١٨٧ ــ ويروى عن زياد النميري، قال: أتاني آتٍ في منامي فقال لي: قم يا زياد إلى عادتك من التهجد وحظك من قيام الليل فهو والله خيرٌ لك من نومةٍ توهن بدنك وينكسر بها قلبك. فاستيقظت فزعاً فأتتني والله النومة مرة أخرى فأتاني ذلك، أو غيره فقال: قم يا زياد فلا خير في الدنيا إلا للعابدين. قال: فوثبت فزعاً.

١١٨٨ ــ وقال عثمان بن عمروٍ البجلي: سمعت عمر بن ذر يقول وذكر قيام الليل: «لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم، ونظروا إلى أهل السآمة والغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم قاموا لله عزّ وجلّ فرحين مستبشرين بما وجب لهم من حسن عبادتهم وحسن التهجد لربهم، فاستقبلوا ظلمته الليل بأبدانهم، واستقبلوا بصفحات وجوههم، فانقضى عنهم وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم بربحٍ وغبن، أصبح هؤلاء وقد نالوا الراحة الفانية، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل، وشتان ما بين الفريقين، فاستعملوا أنفسكم رحمكم الله في الليل وسواده، فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم. ووبالاً على الآخرين بالغفلة عن أنفسهم فأحيوا أنفسكم بذكره فإنما تحيـى القلوب بذكر الله عزّ وجلّ، وكم من نائمٍ قد ندم على طول نومته لما رأى

كرامة الله تعالى للعابدين، واتساع رحمته للمجتهدين، فاغتنموا مقر الساعات في الليالي وفي الأيام رحمكم الله تعالى.

وأنشدوا:

لـو يعلـم الـراقـدون إذ رقـدوا	مـا فـاتهـم ويحهـم ومـا فقـدوا
مـا طعمـت فـي الظـلام أعينهـم	غمضـاً ولا فـي النهـار مـا قعـدوا
ولا أثنـى عـزمهـم إذا عـزمـوا	أهـلٌ ولا صـاحـبٌ ولا ولـدُ
ولـو دروا ويحهـم نـدامتهـم	علـى زمـانٍ ضيـاعـه قصـدوا
لتصـدعـت حسـرة قلـوبهـم	وخـانهـم عنـد ذاكـم الجلـد
لكنهـم مـا دروا ففـاتهـم	مـا ليـس يـأتيهـم بـه الأبـد
ومثـل ذا الغبـن ويـح أمهـم	لا يـرتضيـه لنفسـه أحـد

١١٨٩ ــ وقال بكر العابد: كنا نكون عند زرعة ــ يعني العابد ــ فهو في أول الليل في سورة البقرة وفي آخر الليل في المفصل، ورأيته يوماً يرفع يديه وقال: «اللهم لا تجعل حظي منك أكلةً ولا شربةً ولا لبس هذه المرقعة».

١١٩٠ ــ وكان سفيان بن عيينة يبكي ويقول: يا بكر كيف قال زرعةُ.

١١٩١ ــ وقال أبو يعقوب إسماعيل بن زيادٍ: قد رأيت العابدين والمجتهدين فما رأيت أحداً قط أصبر على صلاة الليل والنهار من مسروق بن أبي عوانة، كان يصلي لا يفتر، وقدم علينا مرة فاعتل بعلةٍ فقال: أخرجوني إلى الساحل حتى أنظر إلى الماء لكي لا أنام.

١١٩٢ ــ وقال عمار بن عمرو البجلي: خرجنا مع محمد بن النضر الحارثي إلى مكة، فما كنا نستيقظ إلا رأيناه على محمله قاعداً يصلي، فإذا نزل بالنهار إنما كان في خدمة أصحابه، فكانوا يقولون له: يا أبا عبد الرحمن نحن نكفيك فيقول: أتأسفون عليَّ بالثواب، فكنا نرى أنه مات في ذلك الطريق.

١١٩٣ ــ وحج ثابت البناني من البصرة إلى مكة، قال هشام بن حسان: فكنا إن نزلنا ليلاً فهو قائم يصلي حتى يصبح، وإلا فما شئت أن تراه أو تحسن به إن سرينا رأيته باكياً أو قارئاً، وكان يقول: «ما من شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل».

١١٩٤ ــ وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يصلي بالليل، فإذا أصابه كَلاَلٌ أخذ سوطاً قد أعده فضرب به ساقيه وقال: قومي يا نفس فأنت أولى بالضرب من الدابة، والله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون الكلال منك لا مني. وكان يقول: أيظن أصحاب محمدٍ ﷺ أن يستأثروا به دوننا، والله لنزاحمنهم زحاماً حتى يعلموا أن قد خلفوا خلفهم رجالاً.

وكان أبو مسلم الخولاني هذا يخوف نفسه بذلك السوط ويذكرها به سوق الزبانية أهل النار بسياط أهل النار.

١١٩٥ ــ وقال الربيع بن عبد الرحمن: قال الحسن البصري: «لقد صحبنا أقواماً يبيتون لربهم في سواد الليل سُجداً وقياماً، يقومون هذا الليل على أطرافهم، تسيل دموعهم على خدودهم، فمرة ركعاً ومرة سجداً يناجون ربهم في فكاك رقابهم، لم يملوا كملال السهر لما خالط قلوبهم من حسن الرجاء في يوم المرجع فأصبح القوم بما أصابوا من النصب لله في أبدانهم فرحين، وبما يؤملون من حسن ثوابه مستبشرين، رحم الله امرىء نافسهم في مثل هذه الأعمال ولم يرض من نفسه لنفسه بالتقصير في أمره، واليسير من فعله، فإن الدنيا من أهلها منقطعة، والأعمال على أهلها مردودة». قال: ثم يبكي حتى يبل لحيته بدموعه.

١١٩٦ ــ وقال الحسن أيضاً: «إن لله عباداً هم والجنة كمن رآها فهم فيها متنعمون، والنار كمن رآها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، أما الليل: فصافي أقدامهم مفترشي جباههم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، وأما النهار: فحلماء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف فهم أمثال القداح، ينظر الناظر إليهم فيقول مرضى وما هم بمرضى، ويقول قد خلطوا وما خلطوا، وقد خالط القوم أمر عظيم».

١١٩٧ ــ وقال الهيثم بن محمد البكاء: قال أبو محمد حبيبٌ ــ هو العجمي ــ ليزيد الرقاشي بالفارسية كلاماً هذا معناه: بأي شيء تقر عيون العابدين في الدنيا؟ وبأي شيء تقر عيونهم في الآخرة؟ فقال له يزيد: يا أبا محمدٍ، أما الذي تقر به أعينهم في الدنيا فما أعلم شيئاً أقر لعيونهم في الدنيا من التهجد في ظلمة الليل، وأما الذي تقر به أعينهم في الآخرة فما أعلم شيئاً من سرور الجنة وخزها ألذ عند العابدين ولا أقر لعيونهم من النظر إلى ذي الكبرياء العظيم إذا رفعت تلك الحجب وتجلى لهم الكريم جل جلاله. قال: فصاح حبيبٌ صيحة خر مغشياً عليه.

١١٩٨ ــ وقال إبراهيم بن بشارٍ خادم إبراهيم بن أدهم: بؤسي لأهل النار لو نظروا إلى زوار الرحمن وقد حشروا وفداً، وزفوا إلى الله عزّ وجلّ على النجائب زفاً، وقد نصبت لهم المنابر ووضعت لهم الكراسي، وقد أقبل عليهم الجليل جل جلاله بوجهه الكريم يسرهم ويكرمهم ويرضيهم، وهو يقول لهم: إليّ عبادي المخلصين، إليّ أوليائي المطيعين، إليّ أحبائي المشتاقين، إليّ أصفيائي المحزونين، هأنذا فاعرفوني، من كان مشتاقاً أو محباً أو متملقاً فليتمتع بالنظر إلى وجهي. فوعزتي لأفرحنكم بجواري، ولأشرفنكم بقربي،

ولأمنحنكم كرامتي من الغرفات تشرفون وتتكئون على الأسرة فتتحدثون، تقيمون في دار الكرامة أبداً لا تظعنون، آمنون فلا تخافون، فرحون فلا تحزنون، تصحون فلا تسقمون، تتنعمون في رغد العيش فلا تبئسون، وتحيون فلا تموتون، وتعانقون الحور العين فلا تملون، فكلوا واشربوا هنيئاً، وتمتعوا كثيراً بما أنحلتم الأبدان، وأنهكتم الأجسام، ولزمتم الصيام، وسهرتم بالليل والناس نيام.

١١٩٩ ـــ وقال عباد بن كثيرٍ: للمصلي ثلاث خلالٍ: تحف به الملائكة من قدميه إلى عنان السماء، ويتناثر عليه البر من السماء إلى مفرق رأسه، وينادي منادٍ: لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل. يعني ما انصرف من صلاته.

١٢٠٠ ـــ وكان مغيث بن ثابتٍ من القائمين لله في ظُلم الليل، قال: رأيت في منامي امرأة لا تشبه نساء الدنيا، فقلت: من أنت يا أمة الله؟ قالت: حوراء، قلت: زوجيني نفسك، قالت: اخطبني إلى سيدي وامهرني، قلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد.

١٢٠١ ـــ وروي عن يحيى بن بسطامٍ، عن عبد الملك بن صبيحٍ، عن أبيه، عن هرمز بن حيان ـــ وكان من الصالحين ـــ قال: قمت من جوف الليل فقرأت ثلاثاً من الحواميم، ثم غُلبت فنمت، فإذا أنا في منامي بجوارٍ أربعٍ وقفن على مزيناتٍ فقلن: يا هرمز بن حيان أيحل لك أن تفرق بيننا وبين إخواننا، فقلت: من أنتن؟ قلن: نحن الأربعة البواقي من الحواميم التي تقرأنا، قال: فاستيقظت. والحواميم معروفة أولهن سورة غافر وآخرهن سورة الأحقاف.

١٢٠٢ ـــ وقال عبد الواحد بن زيدٍ ـــ وكان من العابدين ـــ أصابتني علةٌ في ساقي، فكنت أتحامل عليها للصلاة، قال: قمت عليها فأجهدت وجعاً، فجلست ثم لففت إزاري في محرابي ووضعت رأسي عليه ونمت، فبينما أنا كذلك وإذا بجاريةٍ تفوق الدنيا حُسناً تخطر بين جوارٍ مزيناتٍ حتى وقفت عليَّ وهن خلفها، فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا تُهجنه، قال: فأقبلن نحوي فاحتملنني على الأرض وأنا أنظر إليهن في منامي، ثم قالت لغيرهن من الجواري اللاتي معها: افرشنه ومهدنه ووطئن له ووسدنه، قال: ففرش تحتي سبع حشايا لم أر لهن في الدنيا مثلاً ووضعن تحت رأسي وسائد خُضراً، ثم قالت للذي يحملنني: احملنه على الفُرش رويداً لا تهجنه، قال: فجعلت على تلك الفرش وأنا أنظر إليها وما تأمرهن من شأني، ثم قالت: احففنه بالريحان فجئنني بياسمين فحف به الفرش، ثم قامت إليَّ فوضعت يدها على موضع علتي التي كنت أجد في ساقي فمسحت ذلك المكان بيدها، ثم قالت: قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرورٍ، قال: فاستيقظت والله وكأني نشطت من عقالٍ، فما اشتكيت العلة بعد ليلتي ولا ذهب حلاوة منطقها من فمي، قم شفاك الله إلى صلاتك غير

مضرورٍ. ذكر هذه القصة أبو بكر بن أبـي الدنيا، قال: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا حكيم بن جعفرٍ، قال: نا يحيـى بن حبان الأسود، قال: حدثني عبد الواحد بن زيدٍ.

١٢٠٣ ــ وقال أبو بكر ــ أيضاً وذكر بعض المجتهدين ــ حدثنا أحمد بن عمران، حدثنا حفص بن غياث، نا محمد بن إسحاق، قال: قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود بن زيدٍ حاجاً فاعتلت إحدى قدميه فقام يصلي على قدمٍ حتى أصبح. قال: وصلى الصبح بوضوء العشاء. وقدم علينا ليث بن أبـي سليم فصنع مثله.

١٢٠٤ ــ وقال بعضهم: يا ابن آدم لو علمت مقدار صلاتك بالليل لأكثرت على فوقها من العويل والويل، ولو علمت تنوير هذا الظلام للقلوب والأجسام لقمت في سواده، وتقلبت في حداده، ورغبت في طوله وازدياده.

وأنشدوا:

سـائل الليل عله أن يقيما ... ونجوم السماء أن لا تريما
واقدح النار فيه بين ضلوع ... حملت من حواك أمراً عظيما
وإذا ما المنام خالط جفناً ... فاحذرن أن تنام أو أن تنيما
واسكب الدمع فوق خدٍ قريحٍ ... ترك الدمع منه فيه رسوما
وقليل وإن تصدع قلبٌ بين ... جنبيك حسرة وهموما
الأمور جنيتها معقباتٍ لك ... بعد الممات خُسراً وشوما
لم تخف ما جنيت منها حديثاً ... لا ولا ما جنيت منها قديما
أنسيت الحديث أم قد تناسيت ... وقد كنت قبل ذاك عليما
أو ما أنت ذاكر سقطانٍ لم تدع ... منك عظماً إلا رميما
شوهت خلقك الجميل وألقت ... بين عينيك سفعة وحميما
فالبس الحزن في الظلام شعاراً ... واشددن للقيام فيه حزيما
وأسألن واضرعن وناد كريما ... دائم الجود والسماح رحيما
يا إلهي ومن مددت إليه كف ... واهي القوى حقيراً ذميما
أثقلت ظهري الذنوب صغيراً ... وكبيراً فجاء نضواً سقيما
يرتجي فضلك العظيم وسيباً ... لم يزل للعصاة غمراً عميما
ينعس البائس الفقير ويُحيي ... بتباشيره الحطيم الهشيما
وإذا لم يصبه منك نصيب ... فله الويل ظاعناً ومُقيما
ولك الحمد عند ذاك وهذا ... خصراً كان ورده أو وخيما

١٢٠٥ ــ قالت عبدة بنت أبي سؤال ــ وكانت من خيار إماء الله ــ كانت رابعة العدوية تصلي الليل، فإذا طلع الفجر هجعت في مُصلاها هجعةً خفيفةً حتى يُسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من رقدتها: ويلك يا نفسُ إلى كم تنامي، وإلى كم ترقدين، أوشك أن تنامين نومةً لا تقومين إلا بصرخة النشور. قالت عبدة: فكان هذا دأبها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتني فقالت: يا عبدة لا تؤذني بموتي أحداً، وكفنيني في جبتي هذه لجبة شعرٍ كانت تصلي فيها من الليل فكفناها في تلك الجبة وفي خمار صوفٍ كانت تلبسه رحمة الله عليها قالت: فرأيتها بعد ذلك بسنةٍ أو نحوها في منامي وعليها حُلةٌ من سندس أخضرٍ لم أر شيئاً قط أحسن منها، فقلت: يا رابعة ما فعلت تلك الجبة التي كفناك فيها، فقالت: نزع ذلك عني وبدلت به هذا الذي ترين عليَّ، وطويت أكفاني ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابي يوم القيامة، فقلت لها: ما لهذا كنت تعملين في أيام الدنيا. قالت: وما هذا عندنا رأيت من ثواب الله وكرامته لأوليائه، قلت: فما فعلت عميرة بنت أبي كلام؟ قالت: سبقتنا والله إلى الدرجات العُلى، قلت: وبم ذاك وقد كنت أنت في الناس أكثر منها ــ تعني أكثر عملاً؟ قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حالٍ أصبحت من الدنيا، قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصورٍ؟ قالت: بخٍ بخٍ أُعطي والله فوق ما كان يأمل، قالت: فقلت: أوصني بشيءٍ أتقرب به إلى الله عزّ وجلّ، فقالت: أكثري ذكر الله تعالى، وعليك بذكر الموت فإنه يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك.

١٢٠٦ ــ وقال عبد العزيز بن سليمان: «ما للعابد وما للنوم، لا نوم والله في دار الدنيا إلا نومٌ غالبٌ».

١٢٠٧ ــ وعن سهل بن حاتم وكان من العابدين قال: بت ليلةً في مسجد بيت المقدس، فقمت في آخر الليل فقضيت وردي، ثم جلست فإذا قائل يقول:

أيا عجباً للناس لذت عيونهم ... بطاعم غمضٍ بعده الموت منتصب
فطول قيام الليل أدنى مؤنة ... وأهون من نارٍ تفور وتلتهب

وقد قيل: كثرة النوم تبلد الذهن وتورث الوهن وتفسد من صاحبها المقلة والجفن. وأنشدوا:

أكحل الجفن بكحل السهاد ... قبل أن يفسدها بالرقاد
وإذا ما خيف هذا فعين ... القلب أدنى عندهم للفساد
ومن الأدواء داءٌ قريب ... وعضالٌ أبداً في ازدياد
فلتبادر هجمات المنايا ... باعتزام صادق واجتهاد

وإذا مـا الليـل أرخـى سـدولاً | وتطعمـت لـذيـذ المهـاد
فلتثـب وثبـة شـاةٍ غفـولٍ | نهشتهـا فـي الحـال قِشـاء واد
وافـض عبـرة بـاك ذنـوبـاً | جعلتـه ذا حيـرة فـي العبـاد
وتـذلـل وتضـرع ونـاد | فعسـاه يسمـع صـوت المنـاد
يـا كـريمـاً وسـع الخلـق جـوداً | دائـم السيـب خفيـاً وبـاد
عبـدك البـائـس وافـاك نضـوا | مثقـل الظهـر ضعيـف العمـاد
مضمـرٌ بيـن الحشـايـا حـديثـاً | بـات منـه فـوق شـوك القتـاد
واعـد ثـم عـد ثـم ردد | صـوت مضطـرٍّ مـروع الفـؤاد
وإذا لبـاك لبـاك مـا فـي | ملكـه مـن نـاطـقٍ أو جمـاد

١٢٠٨ ـ وكان عبد العزيز بن سليمان ـ هذا ـ لا ينام إلا مغلوباً ولم يكن له فراشٌ ينام عليه.

١٢٠٩ ـ وقال عبد السلام: ما رأيت أحداً أصبر على سهر الليل من خلف بن حوشبٍ، لقد سافرت معه إلى مكة فما رأيته نام بليلٍ حتى رجع.

١٢١٠ ـ ويروى أن الله عزّ وجلّ أوحى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام: «اذكرني في الدنيا أذكرك في الآخرة، وتيقظ في ساعات الليل واسمعني لذاذة الإنجيل في مساجدي، ولتخشع جوارحك وليضطرب قلبك خوفاً مني، وقل لقومك إذا دخلوا مسجداً لا يدخلوه إلا بقلوبٍ خاشعةٍ، وأبصارٍ خافضةٍ، وأيدٍ طاهرةٍ، وأخبرهم أني لا أقبل دعاء ظالمٍ حتى يرد المظلمة إلى صاحبها. يا عيسى إني ذاكر من ذكرني أجزي المحسن وألعن الظالم. يا عيسى لا تجالس الخطائين فإن مجالستهم معصية تقي القلب، وتوبوا إليه تعالى بمفارقتهم».

١٢١١ ـ وكان كرز بن وبرة من المجتهدين، وكان من المقيمين بمكة، وكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً وفي الليل مثل ذلك، فحسب ذلك فكان ثلاثين ميلاً، ويصلي لكل أسبوع ركعتين فتلك مائتان وثمانون ركعة سوى ما يصلي من نوافل الليل والنهار، ويختم القرآن في اليوم والليل ثلاث مراتٍ.

١٢١٢ ـ ودخل عليه بعض أصحابه فوجده يبكي فقال: ما لك أتاك موت بعض أهلك قال: أشد، لم أقرأ حزبي البارحة. وقد تقدم بأكثر من هذا في الكلام الآخر.

١٢١٣ ـ وقال ابن شبرمة: كان كرز بن وبرة قد سأل الله تعالى أن يعطيه اسمه الأعظم على أن لا يسأل به شيئاً من الدنيا فأعطاه الله إياه، فسأل الله به أن يقويه على أن يختم القرآن في اليوم والليل ثلاث مراتٍ.

١٢١٤ ــ وقال أبو جعفر السائح: سمعت أبا بشر يقول: كان كرز بن وبرة من أعبد الناس وأخشى الناس في زمانه، وامتنع من الطعام حتى أنه لم يوجد عليه من اللحم ما يوجد على العصفور، وكان يطوي أياماً، وكان إذا دخل في الصلاة نسي مواقيتها من كثرة اشتغاله بالصلاة وفكرته فيها. وقال له سليمان الأعمش وليث بن أبي سليم: يرحمك الله كيف نشاطك للصلاة؟ قال: ما أظن واجداً يسمع بذكر الجنة والنار تأتي عليه ساعةٌ إلا يكون فيها راكعاً أو ساجداً أو داعياً. ودخل مكة فقال عُبَادُهَا لما رأوا من عبادته وصبره: نشهد أنك أعبد أهل الأرض.

١٢١٥ ــ ويروى أنه الله عزّ وجلّ أوحى إلى بعض الأنبياء: «إن لي عباداً من عبادي يحبوني وأحبهم، ويذكروني وأذكرهم، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، وينظرون إليَّ وأنظر إليهم، فإن حذوت حذوهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك» قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يُراعونَ الظلال بالنهار كما يُراعي الراعي غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطيرة إلى أوكارها، فإذا جن عليهم الليل وخلى كل حبيبٍ بحبيبه نصبوا إلي أقدامهم وافترشوا إلي وجوههم وناجوني بكلامي، وتملقوني بأنعامي، فبين صارخٍ وباكٍ، وبين متأوهٍ وشاكٍ، بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي، أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم، والثانية: لو كانت السموات السبع والأرضون في موازينهم لاستعللتها لهم، والثالثة: أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبل بوجهي عليه يَعْلم أحدٌ ما أعطيه».

١٢١٦ ــ وقال بعضهم: نهارك وليلك رأسمالك فلا تصرفهما إلا فيما هو أعود عليك ولا تقطعهما إلا فيما هو أرجح لك، ولا تضيعهما فيذهبا من يديك فيتنافى عضدك، واغتنم منهما النفس الواحد واللحظة الواحدة فربما كان فيهما ربحك وفي تضييعهما خسرانك.

١٢١٧ ــ زار قيس بن مسلم محمد بن جحادة بعد صلاة العشاء فوجده قائماً يصلي فأحرم قيس بالصلاة في ناحيةٍ من المسجد ورأى أن لا ينتظره قاعداً دون صلاة، فلم يعلم محمد بن جحادة فلم يزل هذا يصلي وهذا يصلي حتى طلع الفجر، فلما طلع رجع قيس إلى محلته وكان إمام قومه فصلى بهم الصبح في مسجدهم، فلما صلى محمد بن جحادة الصبح قيل له: زارك البارحة أخوك قيس بن مسلم فلم تلتفت إليه، فقال: ما علمت بمكانه، ثم مشى إليه فلما رآه قيس مقبلاً قام إليه حتى تلقّاه فاعتنقا فجعلا جميعاً يبكيان.

وأنشد بعضهم:

يا نائم المقلة والقلب ... وغافلا عن صرعة الذنب

هلا تيقظت وجنح الدجى مُدَّ من الشرق إلى الغرب
وقمت فيه ساكباً عبرة كأنها تُسكب من سُحب
وبين جنبيك لظى حسرة تشتد من جنبٍ إلى جنب
على ليالٍ بتها مرسلا خليلك في لهوٍ وفي لعب
سكران من خمر الهوى قانياً عطفك من زهو ومن عجب
تسر باللذة جهلاً وإن مرت كمر الريح في الهب
وربما كان سرور الفتى معقب كرب أيما كرب

١٢١٨ ــ وكان موسى بن أبي عائشة من القائمين بالليل، وكان يُدعى المجتهد من كثرة سهره وطول قيامه.

١٢١٩ ــ وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: «إن سفر الآخرة لا يقطع بالراحات بل تحمل النفس فيه على التعب والمشقات».

١٢٢٠ ــ وأقام أبو بكر بن عياش خمسين سنة لم يفترش له فراشاً.

١٢٢١ ــ وروي عن واثلة بن الأسقع صاحب النبي ﷺ قال: «من قام من الليل فتوضأ فصلى باهى الله تعالى به الملائكة، يقول: انظروا إلى عبدي قام من فراش وطيءٍ إلى ماءٍ باردٍ ملتمساً رحمتي لا رحمته لا رحمته».

١٢٢٢ ــ وكان عبد الله بن الزبير ابن عمة النبي ﷺ لا ينام الليل، وكان يقرأ القرآن في ليلته، وكان يواصل الأيام صياماً، ولما صلبه الحجاج بن يوسف وقف عليه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال: السلام عليك يا أبا خبيبٍ أما والله إن كنت لصواماً قواماً وصولاً للرحم.

١٢٢٣ ــ وقال مخلد بن الحسن وكان ثقة حدثني هشام بن حسان، قال: كان منصور ابن زاذان يصلي إلى جانبي في رمضان بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخرون العشاء إلى ربع الليل، فكان يختم القرآن مرتين، وفي الثالثة يبلغ الطوالتين، قال: وكانت له عمامةٌ فكان يحلها كوراً كوراً ويمسح بها دموعه، فإذا ابتلت وضعها بين يديه. قال مخلدٌ: فلو أن غير هشامٍ حدثني بهذا الحديث ما صدقته. قال: وكان أول ما يبلى من ثوب منصور موضع ركبته من كثرة سجوده. قال: وكان يختم القرآن في صلاة الضحى، وكان يختم أيضاً من الأولى إلى العصر.

١٢٢٤ ــ وعن العلاء، قال: أتيت مسجد واسط فأذن مؤذن الظهر، وجاء منصور بن زاذان فرأيته سجد إحدى عشرة سجدةً قبل أن تقام الصلاة. وقال ابن حربٍ: لو قيل

لمنصور بن زاذان: إنك تموت غداً ما كان عنده مزيدٌ.

١٢٢٥ ــ وكان عبد الله بن الوليد المزني أعبد الناس، وكان بالحيرة، وكان رهبانها يقولون: ما كنا نظن أن في الحنيفية مثل هذا كأنه جذعٌ قائمٌ الليل كله.

١٢٢٦ ــ وكان ورادٌ العجلي من العابدين، وكان يقطع عامة ليله بكاءً وتضرعاً، وكان إذا قرب الفجر سجد ثم بكى، ثم قال: مولاي عبدك يحب الاتصال بطاعتك فأعنه على ذلك بتوفيقك، أيها المنان عبدك يحب اجتناب سخطك فأعنه على ذلك بمنك، أيها المنان عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه منه يوم يفرح بخيرك العابدون. هذا ونحوه من الدعاء والتضرع، ولا يزال كذلك حتى يطلع الفجر، وكان قد عاهد الله عزّ وجلّ أن لا يضحك حتى يرى وجهه الكريم جل جلاله.

١٢٢٧ ــ وكان أبو يونس المقبري من العابدين، قال ابن وضاح: قال وكيع بن الجراح ذات يومٍ: حدثنا أبو يونس المقبري عن الحسن، فقيل له: أبو يونس المقبري؟ قال: ذاك الذي بكى حتى عمي، وصلى حتى احدودب، وطاف حتى أُقعد.

١٢٢٨ ــ وكانت حفصة بنت بشر ابن أخت محمد بن سيرين من العابدات القانتات من ثقات النساء اللاتي يؤخذ عنهن حديث رسول الله ﷺ، وروى عنها ثقات المحدثين، قال هشام بن حسان: كان فراش حفصة بنت سيرين مصلاها أربعين سنة. قال: وكانت تسرج سراجها من الليل ثم تصلي فربما طفيء السراج فيضاء لها البيت حتى تُصبح.

١٢٢٩ ــ وقال مهدي بن ميمون: مكثت حفصة بنت سيرين في مصلاها ثلاثين سنة ما تخرج إلا لقايلةٍ أو لقضاء حاجةٍ. يقول: لا تخرج منه إلا لنوم القايلة التي يستعان بها على صلاة الليل، أو لقضاء حاجة الإنسان التي لا بد منها.

١٢٣٠ ــ وقال محمد بن هشامٍ: كانت حفصة تقول لنا: يا معشر الشباب خذوا منه واعملوا للآخرة فإني والله ما رأيت العمل إلا في الشباب. قال: وقرأت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة، وماتت وهي بنت تسعين سنة.

١٢٣١ ــ وقال أبو سليمان الداراني: سمعت رابعة العدوية تقول في جوف الليل: يا دليل المتحيرين في الفلوات، وأنيس المستوحشين في الخلوات، بك أنسي إذا أنس البطالون بسواك، إلهي قد انكدرت النجوم ونامت العيون وأنت الحي القيوم لا تأخذك سنةٌ ولا نوم، وقد غلقت الملوك أبوابها وأرخت ستورها وخلا كل حبيبٍ بحبيبه، وكل أنيس بأنيسه وخلوت بمناجاتك يا محبوب فوعزتك وجلالك لو قطعتني قطعاً وصببت عليَّ العذابَ

صبا ما تزيدت في قلبـي إلا حباً، ثم قالت: الله أكبر فقرأت القرآن كله في أربع ركعاتٍ.

١٢٣٢ ـــ وقال مسمع بن عاصم: قالت رابعة يعني هذه اعتللت علةً قطعتني عن قيام الليل، ثم رزقني الله العافية، وأعقبتني العلة فترة فكنت قد سكنت إلى قراءة حزبـي بالنهار وانقطع عني قيام الليل، فبينما أنا ذات ليلةٍ رأيت في منامي كأني رفعت إلى روضةٍ خضراء ذات قصورٍ وقبابٍ حسان، فبينما أنا أجول فيها وأتعجب من حسنها إذا أنا بجاريةٍ تطارد طائراً أخضر كأنها تريد أخذه يشغلني حسنها عن حسنه ـــ تريد حسن الجارية عن حسن الطائر ـــ فقلت لها: ما تريدين منه دعيه فوالله ما رأيت طائراً أحسن منه، فهل لك أن أريك شيئاً هو أحسن منه؟ قلت: بلى. فأخذت بيدي فأدارتني في الروضة حتى أتت بـي إلى باب قصرٍ فاستفتحت ففتح لها، قالت: افتحوا لي بيت المقة ـــ أي بيت المحبة ـــ ففتح لها بابٌ شاع منه شعاعٌ استناره من نوره ما بين يدي وما خلفي فدخلت إلى بيت يحار فيه البصر يتلألأ حُسناً ما أعرف له في الدنيا شيئاً يشبهه، قالت: فبينما نحن نجول فيه إذ رفع لنا بابٌ ينخرق إلى بستانٍ، قال: فأهوت نحوه وأنا معها فتلقانا وصفاء كأن وجوههم اللؤلؤ بأيديهم المجامر، قالت: أين تريدون؟ قالوا: نريد فلاناً قتل شهيداً في البحر. قالت لهم: أفلا تبخرون هذه المرأة تعنيني أي يبخرونني بذلك البخور الذي كان في المجامر، قلن لها: قد كان لها حظٌّ من قيام الليل فتركته. قالت: فأرسلت يدها من يدي ثم أقبلت عليَّ فقالت:

صـــلاتـــك نـــورٌ والعبـــاد رقـــود ... ونـــومـــك ضـــدٌ للصـــلاة عنيـــد
وعمـــرك غنـــمٌ إن غفلـــت ومهلـــةٌ ... يسيـــر ويفنـــى دائمـــاً ويبيـــد

ثم غابت عني واستيقظت، قالت رابعة: فما ذكرتها إلا طـاش عقلي وأنكرت نفسي، قال: مسمعٌ: فحدثني دهثم العجلي قال: ما نامت رابعة بعد هذه الرؤيا حتى ماتت رحمها الله.

١٢٣٣ ـــ وكانت منيفة العابدة إذا هجم الليل، قالت: يا نفس قد جاء سرور المؤمنين فتقوم في محرابها كأنها الجذع القائم حتى تصبح، فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة قامت تصلي، فهي في صلاةٍ إلى العصر، فإذا صلت العصر نامت فكان ذلك دأبها. فقيل لها: لو جعلت هذه النوبة بليلٍ كان أهدأ لبدنك، فقالت: والله لا أنام في ظلمة الليل أبداً، فكان ذلك دأبها أربعين سنة حتى ماتت رحمة الله عليها. وكانت تسكن البحرين.

١٢٣٤ ـــ قال عامرٌ ـــ من أهل البحرين ـــ رأيت منيفة هذه في النوم بعد موتها فقلت لها: يا منيفة كيف حال الناس هنالك، فقالت: وعن أي حالٍ تسأل، الدار واحدة لأهل الطاعة لكنهم يتفاوتون فيها بالأعمال، ولا تسأل عن حال أهل النار، ثم وليت فاتبعني صوتاً يا عامر عليك بالجد والاجتهاد لعلك تسلك مسالك السابقين وتسعى سعي المجتهدين،

فمرضت والله من رؤياي هذه شهراً.

١٢٣٥ ــ وقال أبو سليمان الداراني: «ما اشتد عمل قط ولا ثقل مع قوة العزيمة على عمله وأيأس النفس من تركه».

١٢٣٦ ــ وقال: سأل الحواريون عيسى عليه السلام فقالوا له: كيف لنا أن ندرك جماع الصبر ومعرفته؟ فقال: قدموا عزمكم في الأمور كلها واستعملوه قبل أعمالكم، واتخذوا كتاب ربكم أمامكم فيما تعملون من أعمال دينكم.

١٢٣٧ ــ وفي الزبور: «من أحب الله أحبه، ومن ناجاه بقوة العزيمة قَبلَهُ».

١٢٣٨ ــ وقال بعض الحكماء: «من أراد الجنة وحورها ونعيمها وقصورها والنظر إلى وجه العلي الأعلى فيها فليستعمل العزم على الزهد في الدنيا، وعلى التوبة من الذنوب، وعلى الاجتهاد في قيام الليل، فإنما الحظ لأهل العزائم».

١٢٣٩ ــ وقال أحمد بن الحواري: قال أبو سليمان الداراني: يا أحمد اصبر على حرٍ قليلٍ وبردٍ قليلٍ، وسفرٍ قليلٍ، وعطش قليلٍ تقطع الدنيا بأعمالٍ صالحةٍ تغتبط بها في الآخرة، وإنما سورة الجوع والعطش والسهر ساعةٌ، فإن صبرت في تلك الساعة وعزمت أدتك إلى راحةٍ واغتباطٍ.

١٢٤٠ ــ عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لتعملون أعمالاً تغرب عنكم إلى يوم القيامة، ويوشك العوازب أن تؤوب إلى أهلها فمسرورٌ ومكظومٌ»[(١)]. تغرب: تغيب، وتؤوب: ترجع، والمكظوم: الحزين.

١٢٤١ ــ **مناجاة ليحيى بن معاذٍ رحمه الله تعالى:** يا من يأوي كل معتمدٍ إليه ويستغني به كل منقطع إليه. يا من جعل ديني توحيده، وعبادتي تمجيده، وجعل ساعاتي منه خلواتي، وألذ أوقاتي منه أوقات مناجاتي. يا من أعزني بالفهم عنه ولني بالخوف منه، يا من أفردني عن أصحابي وأقرني وعزني في معارفي وجيراني، لقد هان لي فيك هجر الإخوان وترك الأوطان، وإني لأتبرم بكلام الورى ويضيق لي جحر الدنيا، وإني في حبس الحياة مأسورٌ، وفي قيد الأحزان مصبورٌ، سيدي ومولاي وغايتي ومناي، إن كان صوتي ممقوتاً لأملأن فمي تُراباً ولألبسن من حزني وذلي جلباباً، ولئن كان محبوباً ليزدادن ظمأي منه شراباً، وإني على خوفي من ذلك لأرجو عفوك هنالك. يا من جعل قلبي مأوى الأحزان، وصدري معدن الأشجان ظمأي لا يرويه إلا رؤيتك، وأملي لا يحققه إلا مشاهدتك. إلهي كم

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (١٤١٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣١): «فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف» اهـ.

تكون الأستار بيني وبين القرب منك منسدلة، والهموم بسبب ذلك إلى قلبي منجعلة، طال وقوفي يا رب الأرباب عاكفاً بالباب منتظراً للقبول ورفع الحجاب. إلهي قسا قلبي وجهلت أمري وبخلت بالماء عيني، ذهبت حياتي ودنت وفاتي وكأني بالقبور قد زيد فيها قبري وأقبلت الديدان نحوي وبادرت مسرعةً إلى ما قدر لها من الرزق في بدني ومزقت لفائف كفني فلها نشيشٌ فيما بين جلدي ولحمي واختلافٌ في مفاصلي وعظمي تُأكل فلا تمنع مني ولا تصرف بكيد الآدميين عني، يا ويح نفسي إن تحيرت على الصراط غداً، وسُد عني الطريق إلى جنة المأوى. يا ويح نفسي إن سقطت عن الصراط إلى لظى وصرت إلى نار دخانها نارٌ للدنيا. سيدي أبعد الإيمان تعذبني، ومن مقطعات النيران تُلبسني، وفي جهنم مع الأشقياء تحشرني، وإلى مالكٍ خازنها تسلمني، وفيها يا ذا العفو والإحسان تدخلني، وعفوك الذي كنت أرجو تحرمني، ويحي وكيف تحتمل أغلال النيران عنقي، وسرابيل القطران جسمي، فيا أكرم الأكرمين قوِ وهني، وفك ما غلق من رهني، واستعملني عمل من استيقن حضور أجله، بل من قد مات فرأى سوء عمله ثم أُخر ساعةً من نهارٍ ليعمل للجنة أو للنار. يا ولي المؤمنين يا أرحم الراحمين.

١٢٤٢ ــ ومن مناجاته أيضاً إلهي كيف أدعوك وقد عصيتك، وكيف لا أدعوك وقد عرفتك، مددت إليك يداً بالذنوب مملوءةً، ويميناً بالرجاء مشحونة، حق لمن دعاك بالندم تذللاً أن تجيبه بالكرم تفضلاً. إلهي لو علمت أن غيرك يتولى حسابي لزهقت من المخافة روحي غير أني أعلم أنك تحاسبني ولا تطلع الخلق على ما كان مني. إلهي أرجوك مع الذنب وأخافك مع الطاعة لأن الطاعة لا تؤمنني والذنب لا يؤيسني، وإني لأرجوك مع الذنب بالعفو لأنك بالعفو معروفٌ، وأخافك مع الطاعة لأني بالآفات موصوف. إلهي يكون من الفقير المحتاج الدعاء والمسألة، ويكون من العَفُو الجواد النيل والعطية.

١٢٤٣ ــ ويروى أن غلبة الشوق إلى الله عزّ وجلّ أخرجت سمنون المحب ليلةً من مصلاه، قال: فلما بلغت المقابر الشونيزية سمعت في بدءٍ من الليل صوتاً له أنينٌ وحنينٌ فقربت منه فسمعته يقول: الخوف أقصاني، والرجاء أدناني، والحب حيرني، والشوق هيمني، وأنا فيما بينهما أسيرٌ، وخلاصي عليك يسيرٌ. قال: فوجد قلبي وقصدته فلم أجد أحداً فعدت إلى موضعي وإني لأهيم بما كنت.

١٢٤٤ ــ وقال ذو النون المصري رحمه الله: سمعت ريحانة المجنونة ليلة جمعةٍ تناجي وقت السحر وتقول: إلهي أنت سيدي وأملي ومن به تمام عملي، أعوذ بك من بدنٍ لا ينتصب بين يديك، وأعوذ بك من عينٍ لا تبكي شوقاً إليك إلهي أنت الذي صرفت عن جفون المشتاقين لذيذ النعاس، وأنت الذي سلبت قلوب العارفين من اعتراض الوسواس، وأنت

الذي خصصت أولياءك بخصائص الإخلاص، وأنت الذي توليت احباءك واطلعت على سرائرهم، وأشرفت على مكنون ضمائرهم وسري عندك مكشوفٌ وأنا إليك ملهوفٌ، وأنت عليَّ رؤفٌ فارحمني بكرمك يا أكرم الأكرمين، يا أرحم الراحمين.

١٢٤٥ ــ وكان يوسف بن الحسين رحمة الله عليه يقول في مناجاته: إلهي توبة أو مغفرة فقد ضاقت عليَّ أبواب المعذرة. إلهي خطيئتي خطيئة صماء، وعاقبتي عاقبةٌ بهماء، فلا الخطيئة أحسن الخروج منها ولا العاقبة أهتدي بالرجوع إليها، ومن شأن الكرماء الرفق بالأسرى، ثم ينشد على إثرها:

وأذكركم في السر والجهر دائباً　　وقلبي كئيبٌ في الوثاق أسير

لتعلم نفسي قدرة الخالق الذي　　يدبر أمر الخلق وهو شكور

١٢٣٦ ــ ومن مناجاة ذي النون الأخميمي رحمه الله: إلهي سمع العابدون بذكر عذابك فخشعوا، وسمع المذنبون بحسن عفوك فطمعوا. إلهي إن كانت الخطايا اسقطتني لديك فاعف عني بحسن توكلي عليك. إلهي لك تسبح كل شجرةٍ ولك تسجد كل مدرةٍ، ولك تسبح الطير في أوكارها، والوحوش في قفارها، والحيتان في قعر بحارها بأصواتٍ خفيه، ونغماتٍ بكية. اللهم إني أثبت بين يديك قدمي، وأشخصت إليك بصري، ورفعت إليك جوانحي، وبسطت إلى مواهبك يدي، وخضع لك قلبي وجسدي، وصرخ إليك صوتي وأنت الكريم الرؤوف الرحيم الذي لا يضجره النداء، ولا يبرمه إلحاح الملحين بالدعاء، ولا يخيب رجاء المرتجين. يا رب هب لي من حلمك وعفوك ما يكفيني هم ذنوبي، ويستر عليَّ عيوبي، وتنجيني من عذابك، وتجيرني من سخطك وعقابك يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين.

١٢٤٧ ــ ويروى عن مسمع بن عاصم، قال: سمعت عابداً من أهل البحرين يقول في مناجاته: سمعته من جوف الليل من حيث لا يعلم بمكاني قرة عيني وسرور قلبي، ما الذي أسقطني من عينيك مانح العصمة ومنزل الرحمة، ثم صرخ وبكى وقال: طوبى لقلوبٍ ملأتها خشيتك واستولت عليها محبتك فخشيتك قاطعةٌ لها عن كل معصيةٍ خوفاً لحلول سخطك ومحبتك، مانعةٌ لها من كل لذةٍ غير لذة مناجاتك، نافية لها عن كل ما يشغلها عن ذكرك، محببة إليها الاجتهاد في خدمتك، ثم بكى وقال: يا حزناه من خوف فوت الآخرة حيث لا رجعة إلى الدنيا، ولا عثرة تقال ولا حيلة ولا توبة تنال. يا رب أشرقت بنورك السموات وأنارت بنور وجهك الظلمات، وحجبت جلالك عن العيون فوصلت به معارف القلوب، واستويت على عرشك فناجاك من بسيط الأرض النبيون والصديقون، فسمعت النجوى وعلمت السر وأخفى. سيدي خضعت لك رقبتي وخشع لك قلبي لتدخلني في

رحمتك بعزتك وتنظر إليَّ نظرة تجيرني بها يا كريم.

١٢٤٨ ــ وكانت امرأةٌ من العوابد تقول في مناجاتها: سبحانك ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله وما أوحش البلاد على من لم تكن أنيسه.

١٢٤٩ ــ وكان ذو النون رحمه الله يقول في مناجاته: يا من لطفه بالرحمة جنب الشكوى، ويا من لقربه أمكنت النجوى، ويا من بالركون إلى أنسه طابت السكنى، أذقني برد الثقة بك وراحة التفويض إليك والتوكل عليك.

١٢٥٠ ــ ويروى عن أبي عبد الله الساجي، قال: تزوجت امرأة تسمى جوهرة فأعلمتني أن معها ثلاثة آلاف دينارٍ، فكرهت صحبة من تريد الدنيا وتؤثر غير الله تعالى، فابتدأتني وقالت لي: قد عزمت على أن أفرق ما معي على الفقراء والمساكين، وأصحبك على التجريد والإيثار والفقر، ففعلت ذلك والتزمت قيام الليل وصيام النهار، وكانت لا تسألني حاجةً إلا ابتدأتها فاستعرضت حوائجها يوماً فسألتني أن أحج بها فأخدمها على التجريد والإيثار، فبينما نحن بالنباح سمعت صوتاً حزيناً ينادي وهو يقول: يا حبيب من تحبب إليه، يا قرة عين من لاذ به وانقطع إليه، يا سيدي يا مولاي غلقت الملوك أبوابها وأوقفت عليها حجابها، وخلا كل حبيبٍ بحبيبه وقلوب العارفين تأبى إلا حبك والأنس بك، وإني قد جئتك هذه الليلة من غير ادلالٍ بعملٍ ولا استحقاقٍ بموهبةٍ، وقد تركت الجنة لطالبها، والنعيم لسائله، أسألك أن تتفضل عليَّ بقربك، ولا تحرمني طول مناجاتك وجزيل العطية من الأنس بك. يا إلهي بالتحقيق، يا إلهي بالتصديق. قال: فقلت: يا جوهرة ما هذا الصوت الشجي في الليل الهادي؟ فقالت: لا علم لي حتى أسأل، قال: فأخبرت أنها سلامة السوداء، وأنها تعبد الله سبحانه على التجريد والإيثار منذ زمان يسمع صوتها ولا يعرف موضعها. قال: وسلامة كانت من العابدات القانتات المتجردات، وهي قد سأل الله تعالى إبراهيم بن أدهم أن تكون زوجته في الجنة لتجريدها وإيثارها.

١٢٥١ ــ وقال حكيم بن جعفرٍ: سمعت أبا عبد الله البراثي غير مرةٍ يقول: كرمك أطعمنا يا سيدي في عفوك، وجودك رجانا في فضلك، وذنوبنا تأسينا من ذلك وقلوبنا لمعرفتها بك تأبى أن ينقطع رجاها منك، فتفضل أيها الكريم وجد بفضلك يا رحيم.

١٢٥٢ ــ وقال بعض الصالحين: كنت في الطواف ليلةً فسمعت أنين شابٍ يئن في حال سجوده ومناجاته لمعبوده وهو يقول: إلهي نامت العيون وصدقت بمكارمك الظنون. إلهي مَنْ العبد الذليل حتى يناجي الملك الجليل مهما تصرفت في عبدك فلا تشمت به الشيطان الحاسد ولا تجمع بينه وبين العدو الجاحد.

١٢٥٣ ــ وكانت شعوانة العابدة تقول في مناجاتها: إلهي ما أشوقني إلى لقائك، وأعظم رجائي في ثوابك، وأنت الكريم الذي لا يخيب لديه أمل الآملين، ولا يبطل عنده شوق الشايقين. إلهي: إن كان أتى أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائلي، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك، وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك. إلهي: قد أخذت على نفسي في النظر لها، وبقي لها حسن نظرك، فالويل لها إن لم تسعدها. إلهي: إنك لم تزل بـي براً أيام حياتي فلا تقطع برك عني بعد مماتي، ولقد رجوت من تولاني في حياته بإحسانه أن يسعفني بعد مماتي بغفرانه. إلهي: كيف أنيس من حسن نظرك بعد مماتي، ولم تولني إلا الجميل في حياتي. إلهي: إن كانت ذنوبـي قد أخافتني فإن محبتي لك قد أجارتني. إلهي: لو أردت إهانتي لما هديتني، ولو أردت فضيحتي لما سترتني. إلهي ما ظنك تردني في حاجةٍ أفنيت فيها عمري. إلهي: لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت من عقابك، ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك.

١٢٥٤ ــ وقال محمد بن عبد العزيز: كانت شعوانة قد كبرت وضعفت وقعدت عن العمل فأتاها آتٍ في منامها فقال:

اذري جفونك أما كنت شاجيةً ... إن البكاء شفاء من كل محزونا
صومي وصلِ سواد الليل دائبةً ... إن الدؤوب لمن فعل المطيعينا[1]

وكانت من أحسن الناس صوتاً إذا قرأت أو بكت أو ناحت على نفسها، وكان يجتمع إليها صنوف الناس من القرَّاء يأخذون من حسن صوتها ونغمته، وكذلك أصحاب النياحة وأصحاب الحدوِ وغيرهم، ولم يكن عندها شيءٌ من الألحان إنما كان حُسناً رزقته من غير تكلفٍ ولا تعمدٍ.

١٢٥٥ ــ وكانت عجردة العابدة إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم دخلت محرابها فصلت إلى السَّحَر، ثم قعدت تدعو إلى الفجر فقال لها بعض أهل الدار: لو نمت شيئاً، فبكت وقالت: ذكر الموت لا يدعني أنام.

١٢٥٦ ــ وقال سعيد الأزرق: أتيت مكة ليلاً فبدأت بالبيت فبينا أنا أطوف إذا بامرأة رافعةٍ يديها ملتزمةٍ بالبيت قد علا نشيجها وهي تقول: يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون، ولا تغيره الدهور ولا يخاف الدوائر، ولا يخشى العواقب، عالم مثاقيل الجبال

---

(١) البيتان والقصة في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٧٢)، ورواية البيت الثاني فيه كذا:

جدّي وقومي وصومي الدهر دائبة ... فإنما الدّوب من فعل المطيعينا

ومكاييل البحار، وعدد الأمطار، وورق الأشجار، وما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار، أسألك يا من استكانت لعظمته السموات والأرض، أسألك أن تجعل خير عمري آخره، وخير عملي خاتمته، وخير أيامي يوم لقاك، وخير ساعاتي ساعة خروجي من دار الفناء إلى دار البقاء التي تكرم فيها من أحببت من أوليائك، وتهين فيها من أبغضت من أعدائك، أسألك يا إلهي عافيةً جامعةً لخير الدنيا والآخرة، ثم صرخت صرخةً غشي عليها.

١٢٥٧ ـ ويروى عن بكرٍ العابد، قال: تعبد شابٌ صغيرٌ من أهل الشام فبالغ في العبادة والاجتهاد، فقالت له أمه: يا بني عملت بنفسك ما لم يعمده أحدٌ من الناس، أما تريد أن تنام في ليلٍ ولا نهارٍ، فقال لها: يا أماه ليتك بـي كنت عقيماً، ليتك لم تلدني يا أماه، إن لابنك في القبر رقاداً طويلاً، وفي عرصات القيامة موقفاً مهولاً فقالت له: يا بني لولا أني أعرفك صغيراً وكبيراً لظننت أنك أحدثت حدثاً موبقاً، وأذنبت ذنباً مهلكاً لما أراك تصنع بنفسك، فقال لها: يا أماه وما يدريني أن يكون الله عزّ وجلّ قد اطلع عليَّ وأنا في بعض ذنوبـي فمقتني وقال: اذهب فلن أغفر لك، ثم صرخ صرخةً خر ميتاً رحمه الله.

١٢٥٨ ـ ويروي أبـي عمرو بن حرب الله، قال: كنت في محرسٍ من محارس الشام، فسمعت رجلاً ينشد هذه الأبيات بالليل:

لـو يعلـم الـراقـدون مـا رقـدوا ... لمـا تهنـا منـامـه أحـد
يـا أيهـا النـائمـون ويحكـم قـد ... فـاز مـن فـي الظـلام يجتهـد
إن كنتـم نـومـاً فـإن لـه رجـال ... صـدق بـه قـد انفـردوا

قال: فقام الناس من كل جهةٍ لما سمعوه يصلون ويجتهدون.

١٢٥٩ ـ ومَرَّ قومٌ براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من الاجتهاد فكلموه في ذلك فقال: وما هذا عند ما يراد بالخالق من ملاقاة الأهوال وهم غافلون قد عكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم، فبكى القوم عن آخرهم.

١٢٦٠ ـ ويروى أن الله عزّ وجلّ يأمر ملكاً من الملائكة في الليل فيقول: انزل إلى بلد كذا فيه فلاناً فإني أحب مناجاته، وأنم فلاناً فإني أكره مناجاته.

١٢٦١ ـ وقيل: إذا لم يرض الله تعالى مقام عبدٍ حرمه لذة مناجاته. اللهم لا تجعلنا من المحرومين وجد علينا برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٢٦٢ ـ وقال أبو خزيمة القاضي ـ قاضي مصر ـ كنت بالإسكندرية فأتاني آتٍ في منامي فقال لي: قم فصل، ثم قال: أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزانها.

١٢٦٣ ــ وقال منصور بن عمارٍ الواعظ: لو علمت من عصيت لما نمت أو تسترضيه ولفررت بالنهار عن معاصيه.

١٢٦٤ ــ ويروى عن ذي النون المصري رحمه الله قال: بينما أنا بشاطىء البحر إذا أنا بجارية والصبيان يتبعونها ويرمونها بالحجارة، فكففتهم عنها، فنظرتْ إليَّ وقالت: يا ذا النون فوقفت لها، فقالت لي: ما علامة المجتهدين يرحمك الله، فقلت لها: نهارهم صيامٌ وليلهم قيامٌ، فقالت: هذا هو، قلت: نعم. فقالت:

يا حبيب القلوب أنت الحبيب ... أنت أنسي وأنت مني قريب

يا طبيباً بذكره يتداوى ... كل علة فنعم الطبيب

طلعت شمس من أحبك ليلا ... فاستنارت فما تلاها غروب

إن شمس النهار تغرب بالليل ... وشمس القلوب ليس تغيب

فإذا ما الظلام أسبل ستراً ... فإلى ربها تحن القلوب

ثم قالت: كيف يلذ في ظُلم الليل المنام من علم أن حبيبه لا ينام، أما تقوم العيون للعيون النائمة إليه لعساه يقسم لها من رحمته ما تتنعم به، أو كلاماً يرجع إلى هذا، ثم قالت وهي تبكي: حيائي منك أمرضني، وحبي لك أسقمني، فإن فكرت في إحسانك لم أبلغ بفكري إلى كنهه، وإن ذكرت سترك عليَّ لم أقم بشكره، فيا عجباً لقلوب العارفين كيف لم تنقطع إجلالاً لك إذ عرفوك، وإعظاماً لقدرك إذ وصفوك، فتباركت ما أجهل من عصاك وأغر بحلمك مع علمه بأنك ناظرٌ إليه مطلع عليه.

١٢٦٥ ــ وقال مالك بن دينارٍ: الصلاة خدمة الله في الأرض، ولو علم الله أن شيئاً من عبادته أفضل من الصلاة لما قال: ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾ [آل عمران: ٣٩].

١٢٦٦ ــ قال غيره: وقال نبينا محمد ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ» وقد تقدم هذا الحديث.

١٢٦٧ ــ قال سفيان بن عيينة: قدم علينا يوسف بن يعقوب كان قاضياً لأهل اليمن فذكرناه أخبار الحكم بن أبان فأثنى عليه خيراً، وقال: كان يصلي بالليل فإذا غلبه النعاس نزل في البحر فقعد فيه يسبح الله فيه ويقول: أسبحه مع دواب البحر، أذكره مع الذاكرين، وأسبحه مع المسبحين، سبحان المسبح بألسنة الأولين والآخرين من أهل السموات والأرضين والخلائق أجمعين.

١٢٦٨ ــ وقالت ابنة عامر بن عبد الله لأبيها: يا أبة ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا

تنام؟ فقال: إن حاجتي لا تدعني أن أنام. وعامر هذا معروفٌ في العارفين من المجتهدين وقد تقدم ذكره.

١٢٦٩ ــ وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ بات ليلة بدر يصلي قائماً إلى الصبح ويدعو ربه تبارك وتعالى [.....] ما كان فيه من الدعاء والاستنصار بالله عزّ وجلّ عن النوم.

١٢٧٠ ــ وكان عمران بن زيد قد عاهد الله تعالى أن لا ينام بليلٍ إلا مغلوباً، وكان يقول: حببت إليّ طاعة الله فلولا الركوع والسجود وقراءة القرآن ما أحببت البقاء في الدنيا، فلم يزل مجهوداً مجتهداً حتى مات، فرأته ابنته في النوم فقالت له: يا أبت لا عهد لي بك منذ فارقتنا فكيف حالك؟ قال: خير حالٍ يا بنية، قربنا في المنازل، ومهد لنا المضاجع ونحن هٰهنا يُغدا علينا ويراح برزقنا من الجنة، فقالت: وما الذي بلغكم هذا؟ قال: الصبر الصالح وكثرة التلاوة للقرآن.

١٢٧١ ــ وقال بعضهم لابنه وهو يوصيه: يا بني اتق الله بالليل والنهار، والسر والعلانية وعليك بخلوة الليل وطول السهر ففي ذلك حياة القلب وصلاح البدن.

١٢٧٢ ــ وقال يحيى بن معاذٍ الرازي رحمه الله: ما وجدنا في الفضائل عملاً أفضل من قيام الليل، ولا ورثوا عن شيء من تلك الأعمال، أوثق عن قيام الليل به، وجدوا القلوب وزايلوا الذنوب، ووقعوا على الطريق إلى علام الغيوب.

١٢٧٣ ــ وكان حسان بن أبي سنان من المجتهدين المشمرين، كان ورعاً كثير الصلاة كثير الصيام، فنحل وسقم حتى صار كهيئة الخيال، فلما مات وأُدخل مُغسلهُ ليُغسل وكشف عنه الثوب فإذا هو كالخيط رقةً ونحافةً، فجعل أصحابه حوله يبكون. قال يحيى بن سليمان وإبراهيم العيشي: لما نظرنا إليه وهو كذلك قد أبلاه الدأب والاجتهاد أكبرنا ذلك وبكى أهل البيت وعلت أصواتهم فسمعوا قائلاً من ناحية البيت:

تجـــوع لـــلإلـــه لكـــي يـــراه نحيـل الجسـم مـن طـول القيـام
وقـــام لـــربـــه فـــي الليـــل حتـــى لأذهـــب جسمـــه طـــول القيـــام

فوالله ما رأينا إلا باكيةً، وتفقدنا قائل هذا فلم نر أحداً، وكانوا يرون أن بعض الجن رثاه.

١٢٧٤ ــ وقال بعض الصالحين: سمعت قائلاً يقول ليلاً من جانب البحر، ينشد بيتين فقصدت الصوت فلم أجد أحداً ولا رأيت أحداً فعلمت أنه هاتف بالحق، وهما هذان البيتان:

لـولا رجـال لهـم ورد يقـومـونـا وآخـرون لهـم سـردٌ يصـومـونـا

لزلزلت أرضكم من تحتكم سحراً   لأنكــم قــوم ســوءٍ لا تُبــالــونــا

١٢٧٥ ــ ويروى عن محمد بن عبد الواحد وكان من الصالحين قال: ركبنا البحر فأصابتنا أهواله فألقتنا إلى جزيرة من جزايره، فخرجنا إليها فإذا رجلٌ يعبد صنماً من دون الله عزّ وجلّ، فقلت له: من تعبد؟ فقال: هذا وأومأ بيده إلى الصنم، فقلنا له: ما هذا إله هذا لا شيء، عندنا في المركب من يعمل مثله وخيراً منه، قال: وأنتم من تعبدون؟ قلنا: نعبد الله الملك الذي في السماء عرشه، وفي الأرض مشيئته، وفي البر والبحر قدرته، وفي الموتى قضاؤهُ، وفي الأجنة في بطون أمهاتها ينفذ حكمه. قال: وما علمكم بهذا الذي تقولون؟ قلنا: بُعث إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك. قال: وما فعل ذلك الرسول؟ قلنا له: أدى الرسالة وأدى الأمانة ثم قبضه الله إليه، واختار له ما لديه. قال: فهل عندكم من علامةٍ؟ قلنا: نعم، ترك عندنا كتاب الملك. قال: فاقرؤوني كتاب هذا الملك فإنه ينبغي لكلام هذا الملك في سلطانه وجلاله أن يكون حسناً، فأتيناه بالمصحف، فقال: لا أعرف هذا اقرؤوه، فقرأنا عليه منه فبكى، فلم نزل نقرأ عليه وهو يبكي، فلما فرغنا قال: ينبغي لصاحب هذا الكتاب أن لا يعصى ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله ــ صاحب هذا الكتاب ــ وأشهد أن محمداً رسول الله الذي جاء به، فعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن، وحملناه معنا في المركب فلما صلينا العشاء الآخرة ذهبنا ننام، فقال: يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه أينام إذا جنه الليل؟ فقلنا: هو عظيم شأنه، عزت أسماؤه، وجل جلاله، فقال: بئس العبيد أنتم إذ تنامون ومولاكم لا ينام يريدون لا ينام أحدٌ إلا مغلوباً فأقبل على العبادة والاجتهاد يصلي الليل والنهار، فأعجبنا كلامه واجتهاده، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي: هذا رجلٌ قريب العهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه إياها، فقال: ما هذا؟ قلنا: تنفقها وتستعين بها على عبادة ربك. قال: لا إله إلا الله، دللتموني على طريقٍ لم تسلكوها أو سلكتموها ثم نسيتموها، أنا كنت في جزيرة من جزاير البحر أعبد صنماً من دونه فلم يضيعني وأنا لا أعرفه ولا أعبده فكيف يضيعني اليوم وأنا أعرفه وأعبده، فلما كان بعد أيامٍ قيل لنا: أدركوه فإنه لُمّا به، فأتيته فوجدته في سكرات الموت، فقلت له: هل من حاجةٍ؟ فقال: قد قضى حاجتي الذي جاء بكم إلى الجزيرة حتى أخرجتموني، فبينما أنا معه وهو يعالج سكرات الموت غلبتني عيني فرأيت في المنام روضة خضراء فيها قبةٌ، وفي القبة سريرٌ عليه جارية لم ير الراؤون مثلها وهي تقول: سألتك بالله ألا ما عجلت به إليّ فقد اشتد شوقي إليه، فاستيقظت مرعوباً فإذا هو ميت فغسلناه وكفناه وواريناه التراب، فلما كان في النوم رأيت ذلك الروضة فيها تلك القبة وفيها ذلك السرير وعليه تلك الجارية وهو إلى جنبها، وهو يكرر هذه الآية: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ [الرعد:

.[٢٤

١٢٧٦ ــ وقال سفيان بن عُيينة: تعبد شاب صغير من بني تميم، فكان يحيي الليل كله بالصلاة لا ينام، فقالت أمه: يا بني لو نمت شيئاً، فقال لها: يا أماه ما شئت إن شئت نمت اليوم ولا أنام غداً، وإن شئت لم أنم اليوم لعلي أدرك القيامة غداً مع المستريحين من عُسر الحساب والآمنين من خوف العذاب، فقالت له: والله يا بني ما أريد إلا راحة الآخرة والنجاة من شدائدها والفوز بنعيمها، يا بني راحة الآخرة أحب لك من راحة الدنيا، فدونك فحالف السهر لعلك تنجو من عسر ذلك اليوم وما أخالك ناجياً، فصرخ الشاب صرخةً خر ميتاً بين يديها، فاجتمع إليها نساء بني تميم فجعلت تقول: وابنياه، واقتيل يوم القيامة.

وأنشد بعضهم في ذلك:

رفعت عليك دخانها الأيام	فعلاك منها كدرةٌ وظلام
وأصاب حلمك بالخطيئة صابٌ	ورقت له من غيرك الأحلام
ولقد أتتك نصيحةٌ من مخلصٍ	عزا فوق سنامها أعلام
فلئن قبلت فلقد ذهبت بخيرها	ولئن رددت فما عليه ملام
فاقبل هديت وإن يكن بملامةٍ	فلرب ودٍ ساقه اللوّام
والبس من الظلمات سابغ درعها	والناس فيه هجرٌ ونيام
واقدح زناد الخوف بين جوانحٍ	عبثت بها الأوجاع والآلام
وإذا نزفن دموع عينك فابكين	بدمٍ له من مقلتيك سجام
من قلب أهيم لا يقر قراره	حتى ترى ما خطت الأقلام
والبس لهذا الموت جلة خائفٍ	قد ضاق عنه مسلكٌ ومقام
لا تأمنن عليك من إقدامه	فله على هذا الورى إقدام
واكحل جفونك بالسهاد من أجله	فالسهد حل والمنام حرام
ألا غذاء كالغذاء تناله	لولا الضرورة ما وجدت تنام
ومن العجائب أن تراه نائما	من طالبوه ساهرون قيام

١٢٧٧ ــ ويروى أن الله عزّ وجلّ يقول لملائكته: «ما بال عبادي المجتهدين؟ فيقولون: إلهنا خوفتهم شيئاً فخافوه، وشوقتهم شيئاً فاشتاقوا إليه، فيقول تعالى: لو رأوني عبادي كانوا أشد اجتهاداً».

١٢٧٨ ــ وقال الجنيد: ما رأيت أعبد من السرى السقطي، أتت عليه ثمانٌ وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت يريد الجنيد والله أعلم أن هذا كان في الأكثر من

أحواله والأغلب من أموره لأنه إن اضطجع مثلاً في السهر مرة لم يكن مناقضاً لما قال، لأن مثل هذا لا يعتد به والعرب لا تعتد بالشيء اليسير يقول فلان لا يمسك شيئاً من المال وقد يمسك منه شيئاً ولو ثوباً زائداً على ما يحتاج أو ديناراً أو درهماً أو عرضاً من العروض مما لا يحتاج إليه في الوقت.

١٢٧٩ ــ وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يصوم شعبان كله، كان يصومه إلا قليلاً»[1] لما كان فطره فيه ﷺ قيل لا لم تعتد بذلك، وقالت: كان يصوم شعبان كله ثم تبينت بعد ذلك والكلام الأول صحيحٌ عند العرب لم تنبت الأرض شيئاً ولا بد أنها قد أنبتت ولكنه قليل لا يعتد به.

١٢٨٠ ــ ويروى عن أبي محمدٍ الحريري أنه اعتكف بمكة سنة فلم ينم ولم يستند إلى عمودٍ ولا إلى حائطٍ ولا مد رجليه، فمر أبو بكرٍ الكناني وكان من العابدين فسلم عليه وقال: بم قدرت على هذا؟ قال: على صدق باطني فأعانني على ظاهري، فأطرق أبو بكر ثم مشى متفكراً. وهذا أيضاً لا بد له أيضاً من قيامٍ إلى حاجة الوضوء والصلاة، ولا بد له من أكلٍ، ولا بد له من إغفاءٍ وسِنَةٍ، وإنما هذا على ما تقدم والله أعلم.

١٢٨١ ــ وكذلك ما يروى عن أبي يزيد البسطامي، أنه قيل له: حدثنا عن رياضتك في بداية أمرك، فقال: دعوت نفسي إلى الله عزّ وجلّ فجمحت عليَّ فعزمت على أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فرقت لي. ولعل أبا يزيد رحمه الله اجتزى بشرب اللبن في هذه المدة عن شرب الماء، وإذا كان الأكل قليلاً كان الاحتياج إلى الماء قليلاً، وربما أكل المبردات في الأكثر، وقد يعين الله من يشاء على ما يشاء، ويختص من يشاء بما يشاء.

١٢٨٢ ــ ويروى أن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله لما حاصرهم الصفار أقام في محرابه سبعة عشر يوماً بلياليها فلم يخرج منه ولا قام إلى حاجةٍ ولا أكل ولا شرب ولا توضأ، فلما كان في اليوم السابع عشر التفت إلى من وراءه وقال: قضيت الحاجة فاصطلحوا في ذلك اليوم ووضعت الحرب ثم رفع عنهم.

وقد سمعت رحمك الله هؤلاء المجتهدين والذين لم تسمع بهم أكثر، ولعل ما سمعت سيوقظ منك نائماً، وينبه منك غافلاً، وإذا كنت بالليل تنام ملء جفونك وبالنهار تغفل عن إصلاح شؤونك فأنت كما قال الأول:

وقد أخبر البواب أنك نائمٌ ... وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٩٦٩ ــ ١٩٧٠: ومسلم (١١٥٦/١٧٦)، واللفظ الوارد في «الكتاب قريب من لفظ مسلم، أما لفظ البخاري فبمعنى ما في الكتاب.

ولربما كان النوم أحسن لك وأعوذ بالسلامة عليك. وأنشدوا:

يــــا راقـــد الليــــل والنهــــار … وبــائــع الـــربـــح بــالخســـار
وصـــاعـــداً زورق الأمـــانـــي … وهـــو منـى العمـر فـي انحـدار
وغـــافـــلاً والمنـــون ردت … إليـــه مسنـــونـــة الشفـــار
ويـــك تيقـــظ فـــإن جـــاراً … جـــاورت منهـــا أشـــر جـــار
وليـــس ينجيـــك فضـــل مـــالٍ … ولا رجـــــالٌ ذوو اقتـــــدار
ولا جيـــادٌ مضمـــراتٌ تخـــرج … مـــــن كبـــــةِ الغبـــــار
وإن مـــن نـــام وهـــو خلـــقٌ … عـــن ذكـــر هـــذا لفـــي اغتـــرار
فقـــم وثـــوب الظـــلام صـــافٍ … وأنـــــت مستجمـــــع الإزار
ومـــاء عينيـــك فـــي انسكـــابٍ … ونـــار جنبيـــك فـــي استعـــار
فـــاضـــرع لمـــن جـــوده عميـــمٌ … يسكـــب بـــالليـــل والنهـــار
عســـاه يعطيكمـــا نصـــوحـــاً … تصلـــح مـــا كـــان مـــن عـــوار
وتقبـــس النـــار فـــي فـــؤادٍ … كـــأنـــه ملبـــس بقـــار
ونـــاد يـــا مـــن بـــه استنـــارت … فـــي الفلـــك سبعـــة الـــذراري
ومـــن بـــه قـــام كـــل شـــيء … فـــي الخلـــق مـــن جـــامـــدٍ وبـــارد
عبـــدك وافـــاك فـــي ذنـــوبٍ … يسبـــح منهـــن فـــي بحـــار
ليس لها.
فامنن عليه بفضل عفوٍ.
أولا فمـــن ذا ســـواك يـــرجـــو … ومـــن إلـــى فضلـــه نجـــارى

تم كتاب التهجد للإمام العالم العامل الحافظ أبـي محمدٍ عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الاشبيلي قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه بمنه.

أنهاه نسخاً حامداً لربه ذي المنن، مصلياً مسلماً سالم بن الحسن الشافعي مذهباً البعلبكي الوطن في عام ٨٤١ ومذ منه في شعبان ذي التيمن.

الحمد لله على نعمه الوافرة(١)

ليس لها.
فامنن عليه بفضل عفوٍ.

(١) تم التحقيق والحمد لله تعالى، وبمنّه ونعمته تتم الصالحات.

الفهارس

فهرس أطراف الأحاديث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهرس الموضوعات

